﴿ الجزء الاول ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

غرّان

مجلة دينية علمية أدبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

﴿ أصحاب امتيازها ﴾

حسين بك تيمور وشركاؤه ﴾

(تصدر فى آخر كل شهر قمري)

﴿ بدل الاشتراك ﴾

﴿ ستون قرشاً صحيحاً فى القطر المصري ﴾

(واربعون قرشاً للطلبة والدفع سلفاً)

« وعشرون فرنكا فى الخارج »

﴿ الرسائل ﴾

(ترسل برسم مجلة الهداية)

(أو باسم منشئها فى القاهرة)

(ولا ترد لمرسلها بحال)

(مطبعة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر)

(اعلان)

ترجو ادارة مجلة الهداية عموم حضرات مشتركي المجلة بجميع الجهات ان يتكرموا بارسال المتأخر طرف حضراتهم من بدل اشتراك المجلة عن سنة ١٣٢٨ الماضيه لداعي تصفية حسابها كذلك ترجو رسال بدل اشتراك سنة ١٣٢٩ الحاضرة للادارة التي مركزها بشارع رحبة عابدين او تسليم ذلك الى حضرة وكيل المجلة بالجهة المقيم بها المشترك ويعتمد ايصال البوسته او ايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة وبتوقيع امضاء الوكيل المذكور

(الى حضرات المشتركين)

ترجو ادارة مجلة الهداية حضرات عموم مشتركيها بالقاهرة أن لا يعطوا بدل الاشتراك لاحد ما الا بايصال مطبوع أو ممهور بامضاء رئيس الشركة والمستلم واذا ظهر خلاف ذلك يكون لاغيا وليعلم حضرات المشتركين أيضا أن الوكيل الوحيد لمجلتنا هذه فى القاهرة هو حضرة عبده أفندى خليفه فنرجو اعتماده فقط

(الوكلاء)

(١) حسن أفندي محمد بمدريات الغربيه والمنوفيه والقليوبيه والدقهلية والبحيرة ومركزه طنطا

(٢) الشيخ مصطفي نوح بمديرية الشرقيه مركزه أبو كبير

(٣) ابراهيم أفندي صالح زكي بالاسكندريه وضواحيها ومركزه بالاسكندرية بادارة العلم

(٤) حضرة الشيخ أحمد عزت وكيلا ومحصلا لمديرية المنيا وأسيوط وبنى سويف وجرجا وسكنه سوهاج

(٥) الشيخ سيد سعودي مطر وكيل مدريات الجيزه وبنى سويف والفيوم واقامة الجيزة

الهداية تباع بمكتبة المعارف والهلال بالفجاله والتأليف باول شارع عبد العزيز والمكتبة العباسية بشارع محمد علي

تباع غنية المؤدبين بمكتبة مصر الفتاة بالاسكندرية

(المطبوعات)

جميع الكتب والجرائد والمجلات ترسل برسم مجلة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر

(اعلان)

سنزيد في الهداية المواد الآتية

تاريخ الاسلام — وتاريخ أوربا من بدء القرن السادس عشر — وأيضاً سنفتح بابا لتقريظ وانتقاد الكتب التي ترسل لادارة الهداية لنعطي كل ذي حق حقه

﴿ الجزء الاول ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

غزلان

﴿ القاهرة فى محرم سنة ١٣٣٠ هـ يناير سنة ١٩١٢ م ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة الثالثة للمجلة

الحمد لله الذى تبارك الاعمال باسمه الكريم والصلاة والسلام على رسوله الصادق الامين وعلى آله وصحبه البررة المصلحين (وبعد) فقد منّ الله تعالى جده وتبارك اسمه بأن أبرز للعالم الاسلامى هذه المجلة مبتغياً بها المثوبة لدى من وعد العاملين لخير المسلمين احسانه وأجره . غير مبال بما قد يرميني به المتنطعون المتفيهقون من الهنات فان الله يعلم أننى ما رغبت في شيء من شكرهم ولا أجرهم ولا ابتغيت الا أن أعمد الى القرآن الكريم فأنفض عنه غبار التأويل الذى حجبه عن أعين المبصرين وآذان المستمعين . فلقد تصدى لكتاب الله أقوام أساءوا بيانه وأغمضوا جليّه وأغمدوا نصوصه فى

قراب من الشبهات فلم يبد منه لرائيه سوى الاعوجاج ولم يكفهم جميع ما فعلوه من تلك السيئات المنكرة زعموه ناقصاً يحتاج الى الاتمام وهنالك عمدوا الى الاسرائيليات المفتريات التي أفسدت قبل ذلك التوراة فجعلوا يشوهون بها القرآن ويلوثون بحمأتها جمال دين الفطرة زاعمين أن جلال الله وبالغ قدرته لا يتجليان الا بتلك الخرافات ولا يثبتان الا بما يفترون من خوارق العادات جاهلين أن فى كل ذرة من ذرات هذا الكون أنطق دليل بوجوده ووحدانيته وان فى كل حركة آية على تدبيره وربوبيته

فما لهم عموا عن هذه الآيات البينة والتمسوا الله فى ظلمات الشبهات والشكوك وما لا يحيط به العقل من الخوارق التى استحدثوها وملؤا بها بطون الصحف ثم لم يفهموها

أنزل الله القرآن بلسان عربى مبين ذلك بأنه أراد أن يتدبره الناس فيهتدوا بهديه ويسيروا على سنته ولم يرد الله تعالى أن يخاطب الناس بما لا تسعه عقولهم من الاحاجى والالغاز فان ذلك لا يلائم حكمة الحكيم ولا يتأدى به بلاغ الله ورسالاته

« وان فريقاً منهم ليلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

وبالجملة فان ما غصت به بطون التفاسير من التحريف والتأويل قد أبعد عامة المسلمين عن فهم كتاب ربهم ولولا أنه حال بينهم وبينه لرؤا وسمعوا كل ساعة من آياته البينة ما هو كفيل بسعادتهم فى الدنيا والآخرة

فاذا أنا تصديت لتفسير القرآن فما ذلك الا لأنني أحاول رفع تلك الحجب

التي سترت أسرار كتاب الله عن بصائر المسلمين حتى يعتادوا الاستقلال في تدبره وتفهم بشاراته ونُذرِه عسى أن يعينهم ذلك على تقويم شؤونهم المعاشية والمعادية ويظاهرهم على اعادة الاسلام الى سالف عهده فحسبنا ما أصاب جماعة المسلمين من البلاء والرزايا حتى طمعت فيهم أحقر الامم شأناً وأقلها عدداً . ذلك لأنهم أعرضوا عن الكتاب الكريم واستمسكوا بما شوهته طائفة أساءت تأويله وحرمت على العقول تدبر محاسنه والتماس عظاته وأمثاله

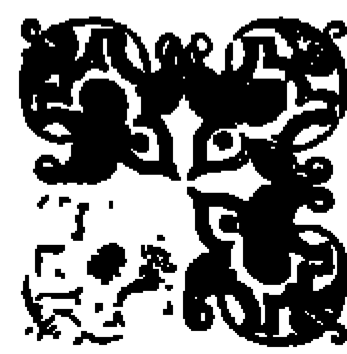
ولقد جرأني على المثابرة على ذلك مع كثرة أعمالي وخلوّ يدى واضطراب شؤوني من جراء الارتباك والخلل السياسيين في الديار المصرية انني رأيت بعيني ثمرات ما قصدته فلقد ازداد عدد النابتين التائبين الى ربهم المعتصمين بحبل كتابهم منذ أخذ المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ينشر في مصر آثار هديه

ولقد اقتفى آثاره المبينة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده فجاهد في سبيل الله حق جهاده ولم تفتر له يوماً ما عزيمة عن التزام الدعوة الى القرآن والتعرض لدفع شبهات المبطلين عنه والحث على الاخذ بآياته الشريفة وما زال كذلك حتى عاجلته المنية ولو أنه وقف أواخر سني حياته على هذا العمل الجليل لجاء في خدمة الاسلام والمسلمين بما لم يسبقه اليه أحد من المصلحين على أنه رحمه الله تعالى لم يمت حتى فتق من الابصار وأطلق عن الالسن وفتح السبيل لمن رزقوا القدرة على اقتفاء أثره

ولما كان حقاً على كل مسلم قادر على الدعوة والاصلاح أن يأخذ

بأيدى هذه الامة التى عثر جدها وضل قادتها كى يخرجها من هذه الورطة التى كادت تؤيس الحكماء والمفكرين وتلحقها بالغابرين الهالكين لم يصدفني صادف عن التعرض لكتاب الله تعالى أنفى عنه القذى وأصونه عن اللوثات التى الصقها به الجاهلون

ولقد ضاعف عزمي وشد ساعدى ما رأيته من كثرة المهتدين بالبيان الذى سبق نشره فى هذه المجلة مما زحزح حجب الشبهات وطهر الآيات من سيئات الخزعبلات وسخافات الاسرائيليات فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والله أسأل أن يجعل التوفيق رائدي والاصلاح غاية مقصدى فما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب



أسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

جاءت هذه الآية الكريمة بالتاسع من آلاء الله ونعمه على بني اسرائيل تذكيراً لأولئك الجاحدين لرسالة خاتم النبيين بما أسبغ الله على آبائهم من النعم وتبيانا لان كل شيء مرجعه الى خالق الكائنات ومبدع الارض والسموات وأنه اذا اختص سلفهم بشيء من الكرمات والمزايا فما كان ذلك من كسبهم ولا من ثمرات مجهوداتهم

ضل بنو اسرائيل في التيه كما تبين من الآيات السالفة فجاءوا موسى يطلبون منه ما ينقع غلة عطشهم ويرطب جمود ألسنتهم فأما موسى فقد ألهمه الله تعالى أن يضرب حجراً من جبال جزيرة الطور بعصاه. هنالك جعل موسى يضرب عصاه فيرسلها فى أعماق تلك الارض فتخرج المياه على أثرها ينابيع متفجرة. وما زال يفعل ذلك حتى أوجد لكل قبيلة من الاسباط الاثني عشر مشربا اختصها به وحرم على غيرها وروده والدنو منه

فلما بثق الله لهم العيون في الارض وأنزل عليهم المنّ والسلوى وظلل عليهم الغمام أوحى الله اليهم وألقى فى قلوبهم أن كلوا واشربوا من رزق الله الذى لم تحصلوا عليه بكدكم واجتهادكم ولم تحدثوه بارادتكم وتدبيركم ولكنه فضل الله واحسانه أسبغه عليكم واختصكم به فما كان لكم بعد ذلك أن تعثوا فى الارض مفسدين فتنتهكوا الحرمات وتأخذكم العزة بالاثم فما كان لبشر أن يؤتيه الله من فضله رزقا واسعاً ثم يَرِم أنفه ويضيق بالكبر صدره ثم يمشى فى الارض مختالا فخوراً . وانما على الانسان اذا ما اجتباه الله وأفاض عليه من صنوف احسانه أن يستزيد احسان الله بالشكر ويستديم رضوانه بالاقرار والحمد فلا تبطره النعمة ولا يفضى به التقلب في مهاد الاحسان الى نسيان المحسن .

واذا اختص الله طائفة من عباده بجميل احسانه فما كان لسلفهم وسلالتهم أن يفرطوا في المفاخرة بهم والعجب بما تقلبوا فيه من نعمة حتى ينسوا بذلك أن سلفهم ما أصابوا أسباب العزة ولا اشتملوا بمطارف النعم الا فيض الله ونعمته ما أصابوا وما اشتملوا فما كانوا بالخالقين ولا كان حقاً على الله تعالى أن يغمرهم بآثار رحمته وانما ذلك منه منة محضة وتفضل بحت . اذاً فما كان لبني اسرائيل على عهد رسول الله أن تنفر نفوسهم من دعوته أو أن يستكبروا عن قبول آياته فان الله تعالى أن يؤتى الحكمة من يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لما قضاه وقدره بعلمه .

(تحذير)

قد خلط المفسرون كثيراً في هذه الآية وحاولوا أن يحملوها على أن تكون رامية الى بيان معجزات موسى عليه السلام . ولا تسل عما صور لهم

الوهم اذ أخذوا يشرحون حقيقة العصا وأنها من آي الجنة وانها التي نزل بها آدم واذ جعلوا يصفون الحجر بما لا يطابق الا أوهامهم المحضة فقد جعلوه ذا أوجه وزعموا أن موسى ضربه بعصاه فجعل ينبت بعد كل ضربة كثدي المرأة وكذلك زعموا أن موسى كان وضع عليه ثيابه وهو يغتسل فلما رماه بنو اسرائيل بأنه آدَرُ فرّ الحجر بالثياب حتى تمكن هؤلاء من رؤية عورته فتبينوا سلامته من ذلك المرض . ولقد رووا فى هذا الباب من أمثال هذه الخرافات التي وضعها بنو اسرائيل ما شوهوا به وجه القرآن فليحذرها المسلمون فانها ضلال وبهتان .

أما رأينا في هذه العصا وفي الحجر فانا نرى اليوم ما كان يعرفه الاقدمون ونستعمل ما كانوا يستعملون . نرى كثيراً من العصيّ المتخذة من الحديد تستعمل فى امتحان الارض وسبر أغوارها لمعرفة الطبقات المائية فيها وطعم ما تبلغه تلك المسابر من المياه حتى اذا امتحن المسبار فدل على أن هنالك ماء عذبا على بعد ما من سطح الارض ركبت هنالك أنابيب مجوفة تصعد فيها المياه الى سطح الارض . وقد لا تحتاج الى هذه الانابيب بل يكون مجرد تشقق الحجر والصخر كافياً فى انبثاق الماء وتفجره وذلك يكون منحدرا الى باطن الارض من جبال عالية مرتفعة عن سطح الارض التي وقع فيها تكسير الصخر وتشقيقه . يعرف ذلك من يعلم كيف تسير المياه فى باطن الارض وكيف تنحدر وتصعد طبقاً للقاعدة المقررة المسلمة قاعدة توازن السوائل .

ولقد جاء القرآن باطلاق كلمة الحجر على ما يشمل الكتل الحجرية كبيرة كانت أو صغيرة . صخرية صلبة كانت أو رخوة هشة . فليس الحجر فى

الآية الا ذلك المعنى فأما دعوي أن اللام فى الحجر للعهد وأن المراد به في الآية ذلك الذى زعموا فانما هى دعوى باطلة سخيفة لا تعتمد الا على تلك الخرافات التى اقتطفنا لك نبذا منها .

والخلاصة أن الآية لا تدل الا على أن موسى أمره الله اذ استسقاه لقومه أن يضرب الارض الحجرية التى كان بها بعصاه « التي يجوز أن تكون من حديد » فضرب بها الحجر الى أن بلغت مياها عذبة كانت تسير فى جوف الارض منحدرة من جبال مرتفعة فلما تشققت عنها الارض بعصا موسى صعدت الى سطح الارض منفجرة مروية أولئك الاقوام الذين كاد يقتلهم الظمأ . وبذلك تمت نعمة الله على بنى اسرائيل اذ أفاض عليهم قبل ذلك من رزقه الذى منّ به عليهم ثم أنقذهم من فتكات العطش بما فجّر لهم من عيون الارض . وبذلك تمت نعمة الله على بني اسرائيل فكان حقاً عليهم أن يبدلوا الشكر بالكفر والاعتراف بالبطر وأن يعلموا أنه لولا رحمة الله ونعمته لما أكلوا وشربوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

ولقد يقرأ كلماتى هذه من طبع الله على قلبه وأعمى بالجهالة بصره فيزعم أننى أحاول جحد المعجزات والحط من كرامة الانبياء أو يزعم أننى ذاهب مذاهب الطبيعيين الذين لا يقولون بغير ما يريدون من النواميس التى تسير بقوابينها الارض والكواكب العلوية . أما أنا فلا أرجو لمثل هذا الغبي الا أن يكشف الله عن بصيرته وأن يوفقه الى ادراك أسرار الخالق فى خليقته فان لوجود الله وعظمته وجلاله آيات يستكشف عنها الخلائق العظيمة والحقيرة والعاديات المألوفات والخوارق المعجزات فاذا تجلى الله تعالى لخليقته في الكائنات غير المألوفة فانه يتجلي فى كل شئ لطالبي أسرار خليقته ومتدبرى

حكمته في بريته لا فرق في ذلك بين الطير المحلق فى السماء والذر المنبث فى الهواء ولا بين الانسان البديع التركيب والدود المتخلق في قليب

وفى كل شئ له آية   تدل على أنه الواحد

فما حاجة الله الى أن تدل على المعجزات أو تشهد بربوبيته خوارق العادات وهو الذى ينطق كل كائن عظم أوصغر بوجوده ووحدانيته والذى يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده

وفى هذه الآية الكريمة ما يدل على أن للانسان أن ينعم بما أسبغ الله عليه من الرزق فما كان لأحد أن يتحرج عن الطيبات من الرزق ويعكف على البلغة الخشنة من العيش واللباس فان الله لا يعطى خلقه مواهبه الا ليرى آثارها عليهم . ذلك ما يشير اليه قوله تعالى « كلوا واشربوا من رزق الله» وقوله « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »

أجل ان الله لم يحرم على خليقته شيئاً من الطيبات ولكن (إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)

(وإذْ قُلْتُمْ يامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثَّائِها وفُومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها قالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ)

هذه الآية تقص علينا الحلقة العاشرة من سلسلة النعم المتواصلة التى شمل بها بني اسرائيل . وقد خاطب القرآن بهذه الآية أولئك اليهود الذين كانوا على عهد المصطفى لا لأنهم هم الذين خاطبوا موسى وطالبوه بتلك الاصناف النباتية ولكن ذلك لأنهم كانوا نسوا ما أسبغ الله على آبائهم من الرحمة والاحسان دون أن يتخذوا عند الله عهداً وميثاقا يوجب عليه أن يخرجهم من تلك الارض الرملية الجرداء المرداعة الي الامصار الجميلة الشاملة لضروب النعيم وصنوف الترف ذات الاسواق التى تعرض بها المآكل خشنها وناعمها . وباردها وحريفها . حلوها وحامضها

أرسل الله لبنى اسرائيل لذائذ الطعوم وعذب المياه ومكنهم من الاستمتاع بها بقوله « كلوا واشربوا من رزق الله » حتى اذا ملتها نفوسهم التى جعلت تصبو الى ما ألفوه في الامصار من العدس والبصل والثوم والقثاء ومن الكرفس والنعنع والكراث ونحوها من بقول الارض جاءوا موسى ضجرين متألمين أن يقصروا على السلوى ونحوها مما من الله به عليهم وابتغوا اليه أن يبتهل الى الله تعالى أن يخرج لهم تلك الاصناف التى صبت اليها نفوسهم بعد اذ ألفوها قديما . فلما أصروا على ذلك وأبوا الا أن يستبدلوا تلك النباتات الخشنة بما كانوا يستمتعون به من اللذائذ أمروا أن ينزلوا باحد الامصار حيث الاسواق غاصة بما اشتهت نفوسهم . وبذلك مكنهم الله تعالى من نعمته وأجابهم الي طلبتهم فأباح لهم دخول الامصار والاستمتاع بمختلف الطعم من النباتات ولم يحل بينهم وبين ذلك ما ركبوه من الآثام والجرائم وعبادة العجل وبالغ البغى والعناد

رزقهم الله ما شاءوا من الماء والطعام ونهاهم أن يعيثوا فى الارض بالفساد

فبدل أن يقابلوا نعمة الله بالشكر ويذكروا ما اختصهم الله به من الاحسان والفضل كفروا بآيات الله وقتلوا بغير الحق بعض الانبياء كيحيي وشعياء وزكرياء أمعنوا في هذه الكبائر التي يسرها عليهم كثرة عصيانهم لأوامر الله واعتدائهم على حدود شرائعه ونواميسه الالهية: ولا جرم أن الاقتراب من المحارم والاقدام على المعاصى والمآثم يسهل التدرج فى سبيل الكفر بالآيات واجتراح عظائم السيئات . ولهذا كان من الناس من يتباعد عن الشبهات خوف الوقوع فى المحظورات ومنهم من يتجافى الصغائر حذر التورط فى الكبائر وذلك أن النفس ما حلت منزلة الا تطلعت الى ما فوقها فالنفوس الابية الشريفة كلما نالت منزلة من المجد والعظمة تطلعت الى ما يليها علواً ورفعة والنفس الخاطئة اذا اقترفت اثما زلت قدمها حتى تبلغ ما يليه من المحارم وهكذا يتدرج من صغيرة الى كبيرة . ومن كبيرة الى أكبر حتى ينتهى بمجمع الرذائل وعماد الضلال ذلك هو الشرك بالله تعالى الذى لم يكن الله ليغفره ولا يهدى صاحبه سبيلا (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبينا)

قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله وكفر به) وقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكّرُوا به)

فبما اجترحوا من السيئات وما ارتكبوا من المظالم انقلبت قلوبهم قاسية فلا يخشعون لذكر الله ولا يبالون أن يحرفوا كلمات التوراة ويسيئوا تأويلها بل كلما ذُكّرُوا بها أعقلوا منها ما لا يطابق بيوتهم وشهواتهم حتى لا يعودوا يذكرونه . ولقد أفرط أولئك اليهود فى بغيهم وعصيانهم حتى استخفوا بالانبياء فقتلوهم وبآيات الله فكفروا بها ولما لم تفدهم العظات ولم تهدهم

الآيات ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وردّهم بغضب منه لا يقيهم دونه واق ولا يعصمهم منه عاصم . ذلك معنى قوله تعالى

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ . ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) .

فاستخفافهم بالتكاليف يسّر عليهم العصيان والعدوان . فلما أسرفوا فى المعصية « وما المعصية الا بريد الكفر » قتلوا الانبياء بغير الحق وجحدوا آيات الله واستكبروا عنها . ولكن أملى لهم الله تعالى حتى ظنوا أنهم غالبوه فحاربوه جهرة وكفروا به عناداً ولكن الله تعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة فهدم صروح مجدهم ونقض أساس ملكهم ومكن ذوى الملل الاخرى من رقابهم فلم يفلت واحد منهم من ربقة الاستعباد ولم يستطيعوا على وفرة أموالهم وكثرة عددهم أن يكونوا يوماما سادة أنفسهم وحماة مصالحهم . واذا صح أن المراد بقوله تعالى للسيد المسيح « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » هم بنو اسرائيل فقد كتب عليهم بهذا الوعيد ألاّ يقوم لهم مُلك ولا تعلو لهم كلمة حتى تقوم الساعة . ولقد رأينا من سلالة أولئك الاقوام من أحرزوا جميع قبائلهم وحاكوهم فى كل رذائلهم حتى أنهم ليستبيحون أموال غيرهم استباحة فلا يفتأون يتصيدون أموال الناس بفاحش الربا . ثم لا يالون أن يخربوا البيوت ويسوقوا مدينيهم الى المحاكم بعد أن يحوطوا أموالهم وأسبابهم بالتزوير والاحتيال ويستغرقوا بدينهم القليل الزهيد ما ملكت أيدى أولئك الجاهلين الاغرار

ولقد تتنبه لهم بعض الامم فتستبيح دماءهم وأموالهم أو تطردهم من أوطانهم وعقر ديارهم . ذلك كما فعلت الروسيا منذ نحو ثمانى سنوات اذ جاءت فى ايلامهم والبطش بهم ما أكسبهم رحمة القلوب القاسية وسخاء الايدى الشحيحة . ولقد تحن لهم القلوب أو ينزل بهم البلاء ويرهقهم الذل والشقاء ولكن كثرة مايكيدون للامم التى تؤيهم وتحنو عليهم قد بصرت بهم القلوب الغافلة وفتحت دونهم الابصار المغضوضة ومن شاء ان يعرف كيف يكيدون للمسلمين مثلا فليعتبر بما فعلوا معهم فى الجزائر وتونس ومايفعلون اليوم فى طرابلس . فانهم لايكادون يرتقبون احتلالا أجنبيا حيثما كانوا حتى يأخذوا للمكيدة عدتها ويلبسوا لكل أمة مغيرة لباسها حتى اذا جاءت ساعة الاغارة وجد المغير من بينهم من يرشده الى الخفايا والخبايا واتخذ منهم من يطلعه على العورات ومواطن الضعف ومكامن حماة الاوطان ومبلغ ماعندهم من آلات القتال ومقادير الاقوات وأين خزائن الاموال وكنوز النساء والرجال ولقد نزل الطليان بطرابلس فكم أسرفوا في القتل مدفوعين الى ظلم الابرياء بسعاية يهودي يريد أن يتخذ لديهم يدا تزيده مالا أو تكسبه جاها .

مارأينا فيما يسجل التاريخ ان يهوديا في البلاد الاسلامية انضم مرةالى صفوف الذائدين عن حياضهم الطالبين لاستقلالهم المجاهدين فى سبيل حريتهم . بل كم من مغير ظاهروه وغاصب مالؤه وكم من فتنة أوقدها كيدهم وأكبرها نفاقهم.

على ان موضع العجب فى تصرفاتهم هذه أنهم يأتونها وهم يعلمون انهم لا يرجون من ورائها ان يكون فيهم التاج ولا الصولجان ولاان يكونوا بين الامم المغيرة أعز شأناً مما كانوا بين تلك الامم التى عاشوا معها القرون

الطوال وسلبوها ماعز وتفس من الاموال . بل أنهم يعلمون فوق ذلك أنهم لا يزدادون الا ذلة ولا يجنون الا فقرا ومسكنة . فادام ذلك دأبهم يعصون أوامر الله ويعتدون على حقوق العباد فبشرهم بما ضرب الله على سلفهم من الذلة والمسكنة بما كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق وبما عصوا وكانوا يعتدون أما اذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. ولقد كان من آبائهم الاولين من أخبتوا الى ربهم واستجابوا له فائتمروا بأمره وانتهوا بنهيه مؤمنين بآياته مصدقين برسالاته مقرين باليوم الآخر فهل نقصهم الله شيئاً من أعمالهم ليهوديتهم ؟ كلا فكم يهودي ونصرانى وكم من صابئ يعبد الكواكب وأشباهها كم منهم من غضب الله عليه حتى اذا أناب الى الله وآمن باليوم الآخر وعمل الصالحات غفر الله سالف كفره وأجزل له العطاء وشمله باحسانه

(انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)

كذلك اتخذوا عند الله عهدا بايمانهم به وباليوم الآخر وعملهم الصالح غير الضار من الاعمال وما الله بمخلف أحدا وعده . فالاولئك اليهود الذين كانوا لعهد الرسول عليه السلام يغيرون ويبدلون ويسعون بالفساد في الارض ثم يكفرون بآيات الله ويجحدون رسالة رسوله ويتخذون من قبور أنبيائهم آلهة تعنو لها وجوههم وتعفر بترابها جباههم ثم لا يبالون مع ذلك ان يقولوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) ويقولوا (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) كأنهم

اتخذوا عند الله عهداً لا يخلفه أم يقولون على الله مالا يعلمون. فما بالهم يأتون المنكرات ويجترحون السيئات وينتهكون الحرمات ويجحدون الآيات وينكرون الرسالات ويؤذون الناس فى صنوف المعاملات ثم يرجون من وراء ذلك ان يتقبلهم الله بالحسنى فلا يجازيهم بما كسبت أيديهم وكيف وهو يقول فى قرآنه الكريم

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً)

العالم الاسلامي

حياة المسلمين في العصر الحاضر

أخذ العالم الاسلامى يستيقظ بعد أن مضى عليه مئات من السنين وهو في سبات عميق ونوم طويل وأخذ يلتفت يمنة ويسرة فيرى أعداءه واقفين له بالمرصاد يتآمرون على اقتسام دياره واستعباد بنيه . حقاً انها لحالة تدعو الى الحزن وان كانت لا تدعو الى اليأس والجزع . فهل ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

يستقبل المسلمون هذه السنة الجديدة والاسلام يجتاز أزمة سياسية شديدة من الازمات التى كثيراً ما اعترضته في طريقه وظن أعداؤه أنها

تكون القاضية عليه ولكن تغلب عليها بحمد الله وحسن توفيقه . « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره »

يجتاز الاسلام أزمة شديدة الوطأة فمن أقصى العالم الاسلامي الى أقصاه نرى الدول المسيحية الاوروبية تنشب أظفارها السامة فى البلاد التي سلمت الى الآن من بغيها وعدوانها فالمملكة المراكشية المتسعة الارجاء الغنية التربة المتباعدة الاطراف قد فقدت استقلالها واحتلت الجنود الفرنسية عاصمتها وصار سلطانها الشرعي ألعوبة فى أيديهم يحكمون البلاد التي تحت طاعته وأخذ الفرنسيون الآن بعد أن أقرتهم الدول الاوروبية على احتلالهم للديار المراكشية يضعون البرامج ويرسمون الخطط لحكم تلك الديار الاسلامية التي كانت فى القرون الوسطى تهدد جنوب أوروبا بالزحف من حين الى حين والتي كانت قديماً ممر الغزاة المسلمين الذين فتحوا الاندلس ودوخوا الدول المسيحية الاوروبية في ذلك العهد . فقدت تلك المملكة الاسلامية استقلالها بعد أن كانت الآمال معقودة بسلطان حكيم يهبه الله لها لمراكش كما وهب الله الامير عبد الرحمن خان لبلاد الافغان فيأخذ في اصلاح شؤونها ويعد لبلاده ما يستطيع من أسباب المنعة والقوة ليحصنها ويجعلها بمأمن من هجمات أعدائها الواقفين لها بالمرصاد من زمان طويل .ولكن أبى حظ تلك البلاد التعسة الا أن تشقى بسلطانها عبد الحفيظ كما شقي كثير من بلاد الاسلام بأمرائها فكان هذا السلطان لا يهمه منذ ولي الاحكام الا أن يحافظ على حياته ويبقى على أريكة سلطنته ولو ضاعت البلاد وضاع استقلالها

هذا ما يحصل الآن في البلاد المراكشية وفى طرابلس الغرب رأينا تلك الدولة الطاغية الباغية تجلب عليها بخيلها ورجلها وتعلن استلحاقها وترسل

اليها أساطيلها ومدافعها وجنودها راغبة فى فتحها وتقليص ظل السلطة الاسلامية من ربوعها — معاذ الله — وكادت الآمال في بقاء تلك البلاد الاسلامية ملكا للمسلمين تتلاشى أمام ايهامات دولة الطليان لولا أن هب المسلمون فى تلك الاصقاع يدفعون القوة بالقوة ويقسمون أن لا يهدأ لهم بال ولا يغمض لهم جفن الا اذا سحقوا أولئك الطغاة البغاة سحقاً وطهروا الارض منهم تطهيراً

وبينما أبطال الصحراء وغزاة العثمانيين فى طرابلس الغرب يدافعون عن أوطانهم بمهجهم وأرواحهم وقفت مصر موقفاً غريباً ومؤلماً معادل على أن أظافر الدولة الانكليزية قد امتدت الى احشاء مصر فصارت حكومتها لا ارادة لها الا كما يريد رجال السياسة البريطانية حتى ولو ظهرت الحكومة المصرية بمظهر خارق للقوانين والمعاهدات الدولية بل مناف لصفتها الاسلامية

كان الناس يعللون النفس بأن انجلترا مهما تداخلت فى شؤون مصر فهي تقف عند حد مركزها الدولى فلا تغيره ولا تمسه بسوء ولكن ظهر الآن فى الحرب الطرابلسية أن مركز مصر الدولى الحقيقي قد تغير تغيراً محزناً فان الدولة العلية لم تفاتح الحكومة المصرية فى أن تتبع مثلها فى قطع العلائق بينها وبين الحكومة الايطالية كما فعلت فى الحرب اليونانية وظل قناصل ايطاليا فى مصر كأنما هم في بلد على الحياد ليس بينه وبين الدولة العلية أى ارتباط ولا أى تبعية سياسية بل أعلنت الحكومة المصرية أنها متخذة

خطة الحياد فكأنها بعد الثلاثين عاما التي مرت على الاحتلال الانكليزي في مصر قد انسلخت أو كادت عن الدولة العلية حتى صارت تعتبر من البلاد التي على الحياد

أليس من المؤلم أن بلاداً اسلامية كمصر تفصل بين ولايتي طرابلس الغرب وسوريا تكون حجر عثرة في سبيل وصول الامداد الى الغزاة المسلمين في الاصقاع الطرابلسية كأنما هي بلاد أجنبية ومسيحية معاً لانه لا يعقل أن بلاداً اسلامية ذات حكومة اسلامية تكون حائلا دون وصول القوات العثمانية من الحدود السورية الى الحدود الطرابلسية ولكننا رأينا أنفسنا أمام حيدة غريبة مرت عليها فترة من الزمن كادت تنقلب الى شدة ومصادرة للحرية وزج فيها قسم في السجون ونفي آخرون لا لذنب عنده سوى اتهامهم باتصال الامداد والذخائر الى المجاهدين في طرابلس الغرب ثم خفت وطأة الحيدة أخيراً باعلان الحكومة في كل ذلك ونحن لا ندري لهذا التغير في سياسة الحكومة المصرية سببا ولا سراً بل لا يعلم ذلك رجال الحكومة الوطنيون أنفسهم بل مصدر هذا التغيير تغير موقف انجلترا في الحرب التركية الايطالية

يحصل ذلك في القارة الافريقية ثم نرى ما هو أشد ايلاما للنفس في الجزء الاسلامي من القارة الاسيوية . نرى المطامع الروسية قد ظهرت بمظهر وحشي في بلاد الفرس حيث أخذت حكومة القيصر تتملك بالحكومة الفارسية وتختلق المشاكل لتنتحل لنفسها عذراً تتداخل به في شؤون تلك الامة الاسلامية العريقة في المجد فاختلقت مشكلة المستر شوستر واجتازت

جنودها حدود فارس ووصلت الى تبريز فاحتلتها وارتكبت فيها من الفظائع ما تقشعر منه الابدان ولا تزال المملكة الفارسية الى الآن مهددة الكيان بين المطامع الروسية ومطامع الانجليز فى جنوبها وخشى الكثيرون على استقلالها من طغيان هاتين الدولتين القويتين

كل ذلك يصيب العالم الاسلامي فى وقت واحد بينما نرى العالم الاصفر قد نفض عنه غبار الموت وأخذ بأسباب الحياة دون أن تتخطفه الدول الأوروبية فتلك هى الصين بلاد أربعمائة مليون من الشعوب الصفراء قد أعلنت فيها أكبر جمهورية فى العالم وصار الحكم فيها فى يد رجال علماء لا يقلون فى كفاءتهم وعلمهم عن رجال أوروبا أعلنت الجمهورية فى الصين ولم تصبها ضربة من ضربات الدول الأوروبية ولا هاجمتها فى ديارها كما تفعل فى العالم الاسلامى . فهل كتب على المسلمين دون سواهم أن تكون بلادهم نهباً لتلك الدول الجشعة ؟

يحار الباحث فى معرفة ذلك السر الدفين لتلك الحالة السيئة ولكن الذى ينفذ بفكره الى صميم الحقائق ويخرق تلك السحب التى تبعث اليأس فى القلوب لا يلبث أن تقوى عزيمته ويقوى أمله أو على الاقل لا يسعه الا أن يعتقد أن ما ينتظر العالم الاسلامي من خير أو شر انما هو راجع الى ما يعمله المسلمون أنفسهم ومهما تألبت الدول الاوروبية عليهم وتآمرت على اقتسام بلادهم فلو عمل المسلمون على أن يحبوا حياة عزيزة لحالوا بعملهم دون أن تتحقق آمال الطامعين فيهم ولقضوا على أمانيهم ثم استردوا من ايديهم البلاد التى أوغلوا فيها وتحكموا فى شؤونها

لقد كان من سوء حظ العالم الاسلامى اقترابه من القارة الأوروبية فانه بهذا الموقع كان أول هدف للمطامع الأوروبية فلو أن العالم الاسلامي فى موقع عالم الشعوب الصفراء كالصين واليابان لكان يأمن من غزوات الدول الأوروبية أو لكان على الاقل أبعد عن الخطر الأوروبى لان مثل تلك الدول الأوروبية فى حملاتها على العالم الاسلامي كمثل متوحشي العصور القديمة الذين أغاروا على الدولة الرومانية القديمة فان أوروبا الوسطى وشمال ايطاليا كانت أول هدف لفتوحات متوحشي العصور القديمة من القبائل الهمجية وكان شمال أفريقية مع أنه من أملاك الدولة الرومانية أبعد عن خطر أولئك المتوحشين من البلاد التى صادفوها أولا فى طريقهم وما ذلك الا لبعدهم عنهم . فكذلك حال العالم الاسلامى حيال هجمات متوحشى العصور الحديثة من الدول الأوروبية لان هذه الغارات الاستعمارية التى أصيب بها العالم الاسلامى ما هى الا غارات وحشية منظمة لا يقصد منها الا السلب والنهب وسفك الدماء

ان من الخطأ الكبير أن نظن أن هذه الغارات التى أصيب بها العالم الاسلامى من شأنها أن تجعل المسلمين عبيداً فى بلادهم الى ما شاء الله: لان من ينظر الى هجوم الأوروبيين على الاسلام فى مظهره الاخير ويقارن بينه وبين مظهره فى القرن التاسع عشر يجد فرقاً كبيراً بين المظهرين يدل حقيقة على أن حيوية العالم الاسلامى قد ارتقت وقويت وانه وان كان المغيرون الأوروبيون لا يزالون أقوى من المسلمين عدداً وأكثر عدواً الا أن المقاومة التى يلقونها الآن فى هجومهم الاخير تقوى الامل في أن هذه الهجمات

المتوالية لا تستمر طويلا وأن استعبادهم للأمم الاسلامية لن يطول أجله

فى القرن التاسع عشر انتقصت أوروبا العالم الاسلامى من أطرافه واستولت على كثير من ممالكه ففقدت الدولة العلية معظم أملاكها فيأوروبا واستولت الروسيا على بلاد الشراكسة وامتدت بنفوذها وسلطانها الى ممالك وامارات التركستان الاسلامية ففقدت استقلالها ثم فتحت فرنسا بلادالجزائر وأعلنت حمايتها على تونس واحتلت انجلترا الديارالمصرية وفتحت السودان بجنود مصر ومالها وتوغلت فرنسا فى أواسط أفريقية واحتلت البلاد الاسلامية الواسعة الارجاء في تلك الجهات

أصاب الاسلام كل ذلك فيالقرن الماضي وقبل هذا القرن وما كانت الدول الأوربية تجد من جانب المسلمين مقاومة شديدة أو تضامناً فى العواطف من سكان الممالك الاسلامية المتباعدة .

نعم كان المسلمون فى بعض البلاد التى فتحتها الدول الأوروبية فىالقرن الغابر يدافعون عن أوطانهم دفاع الابطال ولكن الحق يقال ان الدول الأوروبية في كثير من المواطن ما كانت تلقى مقاومة شديدة ولم تكن تشعر بذلك الاحساس الذى يسرى الآن في جميع الامم الاسلامية عندما تهاجم دولة أوروبية أرضاً اسلامية فالمقاومة التي يلقاها الايطاليون مثلا في طرابلس الغرب ما كانت لتلقاها دولة أوروبية أخرى فى السنوات الماضية لان الدول الأوروبية في غاراتها على البلاد الاسلامية التى استولت عليها قديما ما كانت تسمي تلك الغارات بحروبات وما كانت تضطر الى تجنيد مائة ألف جندى كما تفعل الآن ايطاليا فى طرابلس الغرب بل كانت تسمي

غاراتها بحملات استعمارية تتكون من بضع عشرات الالوف من الجنود . وكذلك ما كانت دولة كبيرة مثل الدولة الروسية لتقف موقف المتردد حيال فارس فان الروسيا وان كانت قد اجتازت حدود فارس الا أنها لا يسهل عليها البتة أن تقضي علي استقلالها القضاء الاخير مثلما قضت على استقلال ممالك التركستان قديما لانها ستجد الآن مقاومة الشعب الفارسى نفسه تلك المقاومة التي تضطر دولة كبيرة كالدولة الروسية الى حشد مآت الالوف من الجنود لاذلال شعب كبير كالشعب الفارسى وليس من السهل على الروسيا فى الظروف الحاضرة أن تجند هذا العدد الكبير بينما العداوة بينهما وبين ألمانيا تزاد كل يوم

فهذان المثلان — مثل طرابلس ومثل فارس — يدلان المتأمل على أن الزمن الذى كانت أوروبا تنهب بلاد الاسلام وتستولى عليها غنيمة باردة قد مضى وانقضى وأن المسلمين قد بدءوا يشعرون بأن عليهم واجباً دينياً كبيراً ازاء هذا الخطر الأوروبى المحدق بهم وهو واجب التضامن وبذل الروح دفاعا عن بلادهم وهو شعور ما كان موجوداً وقت أن كانت أوروبا تتقاسم العالم الاسلامى والمسلمون في غفلة ساهون . فمن من المسلمين كان يتألم لما يتألم منه المجاهدون فى طرابلس الغرب ومن كان يجد فى نفسه باعثاً على مديد المساعدة الى الغزاة فى تلك الاصقاع ؟ ألم يجاهد الجزائريون عشرات من السنين دفاعا عن استقلال بلادهم وهل لم يظهروا فى ذلك الجهاد الشريف من الشهامة والاستبسال ما كان جديراً بأن يلتفت اليه العالم الاسلامى ويجمع حول أولئك الابطال اعجاب المسلمين ومساعدتهم ؟ ومع ذلك فهل

وجد سكان الجزائر تعضيداً من المسلمين كما يجد الآن سكان طرابلس الغرب كلا وربك بل ظلوا يجاهدون وحدهم حتى لم يجدوا مساعدة ممن كانوا بجوارهم من عرب الصحراء كما يجد الآن المجاهدون فى طرابلس الغرب

فالفرق كبير جداً بين مقاومة المسلمين الآن بهجمات الدول الأوروبية ومقاومتهم لها فى القرن الغابر وهذا ما يبشرنا بأن فكرة المقاومة ستتغلب شيئاً فشيئاً على مبدا الخضوع والاستسلام الذى كان سائداً في بلاد الاسلام والذى كان العامل الاكبر الذى استخدمته الدول الأوروبية فى اذلال المسلمين واستعبادهم

فيجيب علينا معشر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أن نبث فكرة المقاومة والحياة وأن نعمل متضامنين على الاخذ بأسباب القوة حتى نتبع سنن آبائنا الذين نزل فيهم قوله تعالى « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فلا نلومن الدهر ولا نسخطن على الظروف التى تحيط بنا بل لنتوجه الى قلوبنا ففيها الدواء من الحالة التى نشكوا النها وفى أعمالنا العلاج الشافى الذى نبتغيه . « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

المصرف الاسلامى

بالبوسنه والهرسك

فتوى اسلامية

أخذ المسلمون فى جميع أقطاب الارض يشعرون بتداخل الاجانب فى شؤونهم الحيوية بكافة الوسائل التى تصل اليها أيديهم لاسيما فى المسائل المالية والاقتصادية فينشؤون الشركات والمصارف التى يبتزون بها الاموال ويستنزفون ثروة البلاد التى يحلون فيها حتى ضاقت الامم الاسلامية ذرعاً من جراء ذلك التحكم فى حياة البلاد المادية

ولقد أخذت الامم الاسلامية تشعر بضغط اليد الاجنبية على مصالحها الحيوية لدرجة كادت تسوء بها الحال وحتى كادت تكون غريبة فى أوطانها حيث وضع الاجانب أيديهم على مرافقها التجارية والصناعية وغيرها

ولما كان أقوى الاساسات التى تبنى عليها حياة البلاد هى المصارف المالية التي هى دعامة المشروعات النافعة فى كل بلد والتى بها تحفظ الثروة من الانتقال الى بلد أجنبي عنها فقد أخذت البلاد الاسلامية تشعر بحاجاتها الى انشاء مصارف كبرى تضارع المصارف الاوربية في رأس مالها وأعمالها

بيد أنهم وجدوا من الشريعة الاسلامية السمحاء أحكاماً تطابق الزمان والمكان فنهضوا الى مباراة الامم الاخرى في انشاء تلك المصارف

من ذلك انه بناء على الفتوى الصادرة من المشيخة الاسلامية بالاستانة المبيحة انشاء المصارف بذل مسلمو البوسنه والهرسك قصارى جهدهم فى ايجاد عدة مصارف صغيرة متفرقة بعدة جهات حتى تحفظ للمسلمين أملاكهم الواسعة من الوقوع في أيدى المرابين من اليهود ونصارى النمسا ولكنهم رأوا فى الايام الاخيرة من منافسة مصرف (اغرار) النمساوى صاحب الاعمال الواسعة ورؤوس الاموال الكبيرة ما كاد يعرقل حركاتهم ويعطل مجهوداتهم الاقتصادية النافعة

ففى الايام الاخيرة اجتمع أغنياء المسلمين بالولايتين ومديروا المصارف الصغيرة الاسلامية وتناقشوا فى هذه المسألة الحيوية فقرروا عمل كل تضحية وبذل همتهم لانشاء مصرف اسلامي عام فوفقوا لجمع مبلغ ستة ملايين قرون جعلوها رأس مال مصرفهم المركزى المسمى (مسلمان سنترال بانق)

وسيبدأ هذا المصرف قريباً أعماله متخذا كل الطرق فى المحافظة على أملاك المسلمين وترغيبهم فى زراعة أراضيهم بانفسهم وترقية صنائعهم ويعمل جهده في استرداد كافة أراضي المسلمين المرهونة بالمصارف النمسوية بفوائد باهظة حتي لا تثقل عاتقهم وانا نسأل الله تسديد خطواتهم في سبيل الصواب ونتمنى أن نرى الممالك الاسلامية وخصوصاً مصر مقتفية أثرهم فى هذا السبيل المحمود

ولقد أرسل مسلموا البوسنه والهرسك الى المشيخة الاسلامية يسألونها رأيها في انشاء مصرف اسلامى ببلادهم سداً لحاجيات البلاد واحتفاظاً بمصالحهم الاقتصادية وسبب هذا السؤال أن انشاء المصارف من المسائل

المختلف عليها فى الشريعة الاسلامية فأحيل على باب الفتوى الجليلة فصدرت من لدنها بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٣٢٨ الجواب المهم الآتى

أن السؤال المقدم من فخر الدين دفيرفيك بتاريخ ١٠ شوال سنة ٣٢٨ المتضمن بيان المحسنات والفوائد الكثيرة العائدة من انشاء المصارف بالممالك الاسلامية والمستفتى عن جواز أو عدم جواز انشائها الذى سبق احالة فضيلة شيخ الاسلام على دار الفتوى قد قرىء . وبعد الاطلاع على النصوص الشرعية حررنا الجواب الآتى

أن مشايخ الاسلام السابقين قرروا أن مادامت الاموال المودعة بهذا المصرف والتى تستقرض او ترد والمبالغ التى تؤخذ أو تترك باى صورة ما دامت تعود بربح قليل وتسير حسب احدى الطرق التى نص عنها فقهاؤنا الكرام فهى والحالة هذه مشروعة محللة

اللغة والأدب

الادب الصغير

لابن المقفع

ظهر فى عالم المطبوعات كتاب جليل مملوء بالحكم العالية والآداب الراقية ونعنى به كتاب الادب الصغير لا بن المقفع الذى أخرجه الى عالم الظهور الاستاذ المحقق احمد زكى باشا صاحب الايادى البيضاء فى خدمة اللغة العربية وآدابها فكان خير ما يستخرج من الكتب النافعة لغة وموضوعاً

وقد رأينا نشر شيء مما تضمنه من الحكم البالغة شاكرين لمخرجه هذه الهدية الثمينة التى أهدى اللغة والادب اياها

وعلى العاقل أن يحصى على نفسه مساويها فى الدين وفي الاخلاق وفي الآداب : فيجمع ذلك كله في صدره أو فى كتاب . ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلفها اصلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفا من اصلاح الخلة والخلتين والخلال فى اليوم أو الجمعة أو الشهر

فكلما أصلح شيئاً محاه وكلما نظر الى محو استبشر وكلما نظر الى ثابت اكتأب

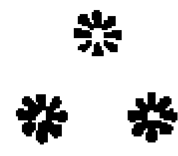
وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه ويتعهدها بذلك مثل الذى وصفنا فى اصلاح المساوى

*
* *

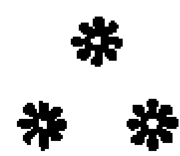
وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس — ما استطاع — الا ذا فضل فى العلم والدين والاخلاق فيأخذ عنه. أو موافقاً له على اصلاح ذلك فيؤيد ما عنده. وان لم يكن له عليه فضل

فان الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى الا بالموافقين والمؤيدين وليس لذى الفضل قريب ولا حميم أقرب اليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته

ولذلك زعم بعض الاولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب اليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال



وعلى العاقل أن لا يحزن على شئ فاته من الدنيا أو تولى. وأن ينزل ماأصابه من ذلك ثم انقطع عنه منزلة مالم يصب. وينزل ماطلب من ذلك ثم لم تدركه منزلة ما لم يطلب. ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها ولا يبلغن ذلك سكراً ولا طغياناً. فان مع السكر النسيان ومع الطغيان التهاون. ومن نسى وتهاون خسر



وعلى العاقل أن يؤنس ذوى الالباب بنفسه ويجرئهم عليها حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره ورأيه: فيستنيم الى ذلك ويريح له قلبه. ويعلم أنهم لا يغفلون عنه اذا هو غفل عن نفسه

وعلى العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأى. والزلل فى العلم

والاغفال فى الامور . فانه من استصغر الصغير أوشك أن يجمع اليه صغيراً وصغيراً فاذا الصغير كبير . وانما هي ثلم يثلمها العجز والتضييع . فاذا لم تسد أوشكت أن تنفجر بما لا يطاق. ولم نر شيئاً قط الا قد أوتى من قبل الصغير المتهاون به : قد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر به. ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذى لا يحفل به. ورأينا الانهار تنبثق من الجدول الذى يستخف به

وأقل الامور احتمالا للضياع الملك لانه ليس شئ يضيع — وان كان صغيراً — الا اتصل بآخر يكون عظيما

ومن نصب نفسه للناس اماماً فى الدين فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها فى السيرة والطعمة (١) والرأى واللفظ والاخدان . فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه . فانه كما أن كلام الحكمة يونق الاسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم

*
* *

الدنيا دول. فما كان لك منها أتاك على ضعفك. وما كان عليك لم تدفعه بقوتك

*
* *

اذا جعل الكلام مثلا . كان ذلك أوضح للمنطق وأبين فى المعنى وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث

*
* *

أشد الفاقة عدم العقل. وأشد الوحدة وحدة اللجوج . ولا مال أفضل

(١) أي وجه المكسب . يقال : فلان عفيف الطعمة . أي تقى المكسب

من العقل . ولا أنيس آنس من الاستشارة

* * *

مما يعتبر به صلاح الصالح وحسن نظره للناس . أن يكون اذا استعتب المذنب ستوراً لا يشيع ولا يذيع. واذا استشير سمحاً بالنصيحة مجتهداً للرأى واذا استشار مطرحاً للحياء منفذاً للحزم معترفا للحق

* * *

أفضل ما يعلم به علم ذى العلم . وصلاح ذى الصلاح أن يستصلح بما أوتى من ذلك ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله . وحب حكمته . والعمل بطاعته . والرجاء لحسن ثوابه فى المعاد اليه . وأن يبين الذى لهم من الاخذ بذلك والذى عليهم فى تركه . وأن يورث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت

* * *

الدين أفضل المواهب التى وصلت من الله الى خلقه وأعظمها منفعة . وأحمدها فى كل حكمة . فقد بلغ فضل الدين والحكمة أن مدحا على ألسنة الجهال . على جهالتهم بهما وعماهم عنهما

* * *

أحق الناس بالسلطان أهل المعرفة . وأحقهم بالتدبير العلماء . وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله . وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديباً . وأحقهم بالغنى أهل الجود . وأقربهم الى الله أنفذهم فى الحق علما وأكملهم به عملاً .

وأحكمهم أبعدهم من الشك فى الله . وأصوبهم رجاءً أوثقهم بالله . وأشدهم انتفاعاً بعامه أبعدهم من الاذى . وأرضاهم فى الناس أفشاهم معروفاً . وأقواهم أحسنهم معونة . وأشجعهم أشدهم على الشيطان . وأفلحهم بحجة أغلبهم للشهوة والحرص . وآخذهم بالرأى أتركهم للهوى . وأحقهم بالمودة أشدهم لنفسه حباً . وأجودهم أصوبهم بالعطية موضعاً . وأطولهم راحة أحسنهم للأمور احتمالاً . وأقلهم دهشاً أرحبهم ذراعا . وأوسعهم غنى أقنعهم بما أوتى . وأخفضهم عيشاً أبعدهم من الافراط . وأظهرهم جمالاً أظهرهم حصافة. وآمنهم في الناس آكلهم نابا ومخلباً . وأثبتهم شهادة عليهم أنطقهم عنهم وأعدلهم فيهم أدومهم مسالمة لهم . وأحقهم بالنعمة أشكرهم لما أوتى منها

أفضل ما يورث الآباء الابناء . الثناء الحسن والادب النافع والاخوان الصالحون

فصل ما بين الدين والرأى . أن الدين يسلم بالايمان . وأن الرأى يثبت بالخصومة . فمن جعل الدين خصومة . فقد جعل الدين رأياً . ومن جعل الرأى ديناً . فقد صار شارعاً . ومن كان هو يشرع لنفسه الدين . فلا دين له . قد يشتبه الدين والرأى فى أماكن . لولا تشابههما لم يحتاجا الي الفصل

العجب آفة العقل . واللجاجة قعود الهوى . والبخل لقاح الحرص . والمراء فساد اللسان . والحمية سبب الجهل . والانف توأم السفه . والمنافسة أخت العداوة

اذا هممت بخير فبادر هواك . لا يغلبك . واذا هممت بشر فسوّف هواك . لعلك تظفر . فان ما مضى من الايام والساعات على ذلك هو الغنم

*
* *

لا يمنعنك صغر شأن امرئ من اجتناء ما رأيت من رأيه صواباً . والاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريماً . فان اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذى استخرجها

*
* *

من أبواب التوفق والتوفيق فى التعلم . أن يكون وجه الرجل الذى يتوجه فيه من العلم والادب فيما يوافق طاعة ويكون له عنده محمل وقبول . فلا يذهب عناؤه فى غير غناء . ولا تفنى أيامه في غير درك . ولا يستفرغ نصيبه فيما لا ينجع فيه. ولا يكون كرجل أراد أن يعمر أرضا تهمة (١) فغرسها جوزاً ولوزاً وأرضاجلساً (٢) نخلا وموزاً .

*
* *

العلم زين لصاحبه فى الرخاء ومنجاة له في الشدة .

*
* *

بالادب تعمر القلوب . وبالعلم تستحكم الاحلام

*
* *

العقل الذاتى غير الصنيع كالارض الطيبة الخراب

---

(١) الارض المتصوبة الى البحر

(٢) الجلس : الارض الغليظة . وما ارتفع عن الغور

مما يدل على معرفة الله وسبب الايمان أن يوكل بالغيب لكل ظاهر من الدنيا (صغير أو كبير)عيناً : فهو يصرفه ويحركه . فمن كان معتبراً بالجليل من ذلك . فلينظر الى السماء فسيعلم أن لها رباً يجرى فلكها ويدير أمرها . ومن اعتبر بالصغير . فلينظر الى حبة الخردل فسيعرف أن لها مدبراً ينبتها ويزكيها ويقدر لها أقواتها من الارض والماء . يوقت لها زمان نباتها وزمان تهشمها . وأمر النبوة والاحلام وما يحدث في أنفس الناس من حيث لا يعلمون . ثم يظهر منهم بالقول والفعل . ثم اجتماع العلماء والجهال والمهتدين والضلال على ذكر الله وتعظيمه واجتماع من شك فى الله وكذب به على الاقرار بأنهم أنشئوا حديثاً . ومعرفتهم أنهم لم يحدثوا أنفسهم .

فكل ذلك يهدى الى الله ويدل على الذى كانت منه هذه الامور . مع ما يزيد ذلك يقيناً عند المؤمنين بأن الله حق كبير ولا يقدر أحد على أن يوقن أنه بالباطل .

*
* *

ان للسلطان المقسط حقاً لا يصلح بخاصة ولا عامة أمر الا بارادته . فذوا اللب حقيق أن يخلص لهم النصيحة . ويبذل لهم الطاعة . ويكتم سرهم ويزين سيرتهم ويذب بلسانه ويده عنهم . ويتوخى مرضاتهم ويكون من أمره المؤاتاة لهم والايثار لأهوائهم ورأيهم على هواه ورأيه . ويقدر الامور على موافقتهم وان كان ذلك له مخالفاً . وأن يكون منه الجد في المخالفة لمن جانبهم وجهل حقهم . ولا يواصل من الناس الا من لا تباعد مواصلته

اياه منهم . ولا تحمله عداوة أحد له ولا اضرار به على الاضطغان عليهم (١) ، ولا مؤاتاة أحـد على الاستخفاف بشئ من أمورهم والانتقاص لشئ من حقهم . ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم . ولا يتثاقل عن شئ من طاعتهم ولا يبطر اذا أكرموه . ولا يجترئ عليهم اذا قربوه . ولا يطغى اذا سلطوه ولا يلحف اذا سألهم . ولا يدخـل عليهم المؤونة . ولا يستثقل ما حمّلوه . ولا يعتز عليهم اذا رضوا عنه . ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه وأن يحمدهم على ما أصاب من خير منهم أو من غيرهم فانه لا يقدر أحد على أن يصيبه بخير الا بدفاع الله عنه بهم

(١) أي حمل الضغينة وهي الحقد

الحوادث والأجيال

تاريخ الباطنية

٦

(تابع ما قبله)

وصف الدعوة وترتيبها

(الدعوة الخامسة) — وهي مترتبة على ماقبلها — وذلك أنه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعى يقرر أنه لابد ان يكون مع كل أمام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الارض عليهم تقوم. وعدة هؤلاء الحجج أبدا اثنا عشر رجلا فى كل زمان كما أن عدد الائمة سبعة. ويستدل لذلك بأمور. منها أن الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثا ولابد في خلق كل شئ من حكمة والا فلم خلق النجوم التى بها قوام العالم سبعة وجعل أيضاً السموات سبعا والارضين سبعا والبروج اثنى عشر والشهور اثنى عشر شهرا ونقباء بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا ونقباء رسول الله من الانصار اثني عشر نقيبا وخلق تعالى فى كف كل انسان أربع أصابع فى كل أصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثني عشر شقا وأصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التي فى الاصابع كالحجج والابهام الذى به قوام جميع الكف وسدادالاصابع كالذى

يقوم الارض ويقدر مافيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار فى ظهر الانسان اثنتا عشرة خرزة اشارة الى الحجج الاثنتى عشرة وصار فى عنقه سبع فكان العنق عاليا على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والأئمة السبعة وكذلك الثقوب السبعة التى فى وجه الانسان العالى على بدنه . وأشياء من هـذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو مادعاه اليـه الداعى وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة السادسة .

(الدعوة السادسة) لاتـكون الا بعـد ثبوت جميع ما تقـدم فى نفس المدعو . وذلك أنه اذا صار الى الرتبة الخامسة أخذ الداعى فى تفسير معانى شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة الظاهر بعد تمهيده قواعد تبين فى أزمنة من غـير عجلة تؤدى الى أن هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد فى الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة في حسن سـياستهم لاتباعهم واتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هـذا الاعتقاد في نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وضـعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معانى أخر غير مايدل عليـه الظاهر نقله الداعى الى الكلام فى الفلسفة وحضه على النظر فى كلام أفلاطون وارسطو وفيثاغورس ومن فى معناهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك عنده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة — ويحتاج ذلك الى زمان طويل —

(الدعوة السابعة) لا يفصح بها الداعي مالم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة أعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال أن صاحب الدلالة والناصب للشريعة لايستغني بنفسه بل لابد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والآخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة الى العالم السفلى ولما يحويه العالم العلوى فان مدبر العالم فى أصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه أول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون اشارة الى الاول فى الرتبة والآخر وهو القدر الذى قال فيه انا كل شئ خلقناه بقدر . وهذا معنى مانسمعه من أن الله أول ماخلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب فى اللوح ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة فى كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد (وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخر فى كتبهم فان كنت ممن ارتاض وعرف مقالات الناس تبين لك ماذكرت) واذا تقرر ماذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة

(الدعوة الثامنة) — متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم — فاذا استقر ذلك عند المدعو دينا له قال له الداعي أعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق منهما على اللاحق تقدم العلة على المعلول وكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثانى بترتيب معروف فى بعضهم . ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز

وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والنفى يقتضى التعطيل . وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط فى كتبهم . فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعى أن التالى يدأب فى أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت فى الارض يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعى يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء .وهكذا تجرى أمور العالم فى ا كواره وأدواره . فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعى أن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوى معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة أنية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسراره من الجواهر والاعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بأفصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناه سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه فليس يوم القيامة الا حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة فى كتبهم . فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعى الى الدعوة التاسعة

(الدعوة التاسعة) هى النتيجة التي يحاول الداعى بتقرير جميع ما تقدم رسوخها فى نفس من يدعوه فاذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر فى كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد

الطبيعة والعلم الالهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال

(ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معانى المبادئ وتقلب الجواهر وأن الوحى انما هو صفاء النفس فيجد النبي فى فهمه مايلقي اليه ويتنزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذى ينظم به النبي شريعته بحسب مايراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته فانها اليقين الذى يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة بمعرفة الاغراض والاسباب. ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة وأن الامام انما وجوده في العالم الروحانى اذا صرنا بالرياضة فى المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أولياء ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم — وهذا حاصل علم الداعي ولهم فى ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ماتقدم ذكره — (هذا يقول ولم يعين شيئاً يرجع اليه)

هذا ما ذكره المقريزى فى بيان الدعوة الاسماعيلية في القاهرة وتعاليمها أما تعاليمها فى المشرق فلا تختلف كثيرا عنها كما نقله المؤرخون اذ كل ماعمله حسن بن الصباح ادخال بعض النظام فى هذه الدعاوى ووضع قيود وشروط لمن تلقى اليه .

قالوا أن أساس التعاليم الدينية التى وضعها حسن لطائفته (أن ليس شئ

صحيحا وكل شيء مستحل) أى انه كان أباحيا يدعو الناس للاباحة المطلقة .
ومنها أن جميع الرتب يجب أن تعطى لمختارين قليلين وأن الروح القدس يحل في الرئيس وأن أوامر الرئيس آتية من عند الله . وكان معظم أتباعه يعلمون مايكفى لتشويق عقولهم وجعلهم متعلقين أشد التعلق برئيسهم .

قالوا هـذا وقالوا انه كان يأمر بصرامة بالمحافظـة على كل الفروض الاسلامية (فانظر هذا مع قولهم أنه كانا أباحيا يدعو الناس للاباحة) .

أما القوانين التي وضعها حسن للدعاة ليسيروا عليها فهى

(١) الذوق وهو التفرس فى حالة المدعو هل هو قابل أولا ولذلك منعوا القاء البذر فى السبخة (أى دعوة غير الاهل) والتكلم فى بيت فيه سراج (أى فقيه)

(٢) التأنيس وذلك أن يستميل الداعى كل أحد بما يميل اليه من زهد وخلافه

(٣) التشكيك — وذلك أن يلقى اليه من الشرعيات أشياء غير بينة الحكمة مثل وجوب الصوم على الحائض دون الصلاة ونحوه مما قدمنا ذكره ليتعلق قلب المدعو بمراجعته في كشف سرها .

(٤) الربط — وهو أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده الا يفشى له سراً وأن يحيل كل ما أشكل عليه على الامام

(٥) التدليس — وهو أن يغر الداعى المدعو بادعاء أن أكابر الشريعة وأعاظم العالم على مذهبه وقائلون بقول الاسماعيلية (وهذا مايفعله البابية اليوم) .

(٦) التمهيد — وهو أن يلقى اليه مقدمات ليبني عليها ماسيلقيه اليه .

(٧) الخلع — وهو الطمأنينة الى اسقاط وجوب الافعال البدنية

(٨) السلخ — وهو الخروج عن جميع الاعتقادات وحينئذ يأخذون في الاباحة واستحلال اللذات وتأويل الشرائع .

هذا ماقيل عن الاسماعيلية القدماء أما اسماعيلية اليوم الموجودون فى الجهات التي قدمنا ذكرها فلا يوجد عنهم خبر صحيح يبين معتقداتهم لما هم عليه من شدة الحرص على أخفائها ولم يسمع أن واحدا منهم أفشى لهم سرا.

غير أن المشهور عنهم أنهم يعبدون مقدم المرأة وقيل لا بل يعظمونه ويتخذون المرأة قبلة لهم فى صلاتهم وليست كل امرأة تصلح لذلك عندهم بل لابد من أن يوجد فيها شروط مخصوصة

ولهم رئيس روحي يسمونه الداعي ومقره فى اليمن وقيل فى الهند وله عليهم نذور وعوائد يجمعونها في كل سنة ويذهب بعد مدة من السنين بما جمع من هذه العوائد شيخ مخصوص منهم الى مقر امامهم الداعي ويقدمها له ويجيء لهم بآثار مقدسة يتبركون بها — قيل أن هذه الآثار بعض طمث المرأة المعبودة — وقد ثبت ذلك بدعوى أقيمت على بعض المشايخ الذين ذهبوا لتقديم هذه العوائد الى الداعي بسبب انه لم يوصلها اليه

وهم يتهمون بأنهم فى الليلة الاولى من كل سنة يكون عندهم عيد فيجتمع رجال كل قرية في بيت يعدونه لذلك ويؤدون فيه بعض عبادات ودعوات ثم ينتهون بأطفاء المصابيح وفتح الابواب فتدخل اليهم نساء القرية فيأخذ كل منهم من يعثر عليها وربما كانت عن محارمه (ويسمى هذا عيد البقبيشة)

وأمثال هذه الاشياء المنسوبه اليهم كثير فى بطون الكتب نكتفي في الدلالة عليه بما أوردناه

ثم أنا لا ننتهي من هذا الفصل حتى ننبه القارئ الى أنا لا نظن بهذه الاشياء الا الافتراء المحض ولو كان الامر على خلاف مانظن لكان التهوس والجنون الذى يمكن أن يصل اليه الجنس البشرى لانهاية اليه .

هذا ما أمكن ايراده مما قيل من معتقدات الاسماعيلية ونحن نتركه للقارئ ينظر فيه بعين البصيرة ونظر المؤرخ الناقد ليرى فيه رأيه مستقلا عما نبديه له من رأينا وان كنا لا نتركه من تنوير الطريق له بختم هذه الرسالة بكلمة نبين فيها رأينا فى صحة هذه التعاليم وما يمكن ان يكون معقولا منها كما وعدنا بذلك سابقاً

فوائد الختان

ورد الينا هذا المقال من أحد الاطباء الافاضل فآثرنا نشره لاهميته :

الاسلام دين الفطرة لم يأمر الا بمقتضيات السنن الطبيعية والقوانين الصحية وكل مسألة لم نفقه المراد منها ولم نستكنه سر تشريعها لقصر معلوماتنا لاتلبث حوادث الزمن ومكتشفات أسرار الطبيعة أن تجلي لنا غامضها وتبين لنا حكمتها فتعنو الوجوه لقدرة الله ويعترف المكابر بان الاسلام دين العقل والحكمة

هذه مسألة الختان التى أمر الله عباده المطهرين باجرائها كانت مثار خلاف الطوائف المسيحية في هل يصح لاتباع الكنيسة الاختتان أولا وبعد عراك طال أمده واختلف سنده حرموا الختان لانه من مميزات

المسلمين واليهود وليس له من فائدة تذكر الا تشويه ما خلقه الله أما قوم موسى فيدعون بان الختان أمر الله به نبيه ابراهيم حتى يكون من المطهرين فى العالمين وكنا نعرف أن الاسلام ودين ابراهيم عليه السلام اتحدا اذ ما بعث من نبي ولا رسول الا داعياً الي دين الفطرة وقانون العقل والاسلام حتى اذا انحرف قومه عن جادة الصواب بدلوه وأخرجوه عن الحنيفية الاولى

الختان كان فاشياً بين سكان أوستراليا الاولين ولا يزال موجوداً بين قبائل الانتيز بامريكا والبونتوس بافريقيا وأثبت التاريخ أن قدماء المصريين عمموه فى بلادهم وسمعنا بعض العلماء الرحالة يقولون ان بعض القبائل الهمجية تختتن فمن كل ما تقدم يرى القارىء أن الاسلام لم يأمر الا بما توحيه الفطرة السليمة نعم أن بعض فلاسفة الغرب ادعوا بان الختان تتمسك به بعض القبائل كعلامة مميزة واشارة فارقة لهم عمن جاورهم من الشعوب وليس له حكمة أخرى ولكني أقول بان هذا التعليل سقيم اذ فى الاستطاعة اتخاذ غير هذه العلامة خصوصاً أن عملية الختان مؤلمة ومصحوبة ببعض الخطر عند الامم الجاهلية لجهلهم باصول الجراحة العقيمة ووسائل المطهرات

وادعى بعض فلاسفة الغرب أيضا أن الختان كالوشم من الزينة عند بعض الاقوام ولكني أقول باني ماسمعت بان الوشم عام فى أمة بل في أمم كما هو الحال فى الختان ولو عرف أولئك المتقولون أن الوشم أصل استعماله كان كدواء وهو لا يزال في البلاد التى لم ترق بعد في المدنية من أنجع طرق العلاج في الرضوض والآلام العصبية الموضعية وتمزق بعض الاربطة وغير ذلك لما نسبوه الى مجرد الزينة

وليت الدعي الذى ظن الوشم للزينة فقط زار قطراً شرقيا كمصر وتونس وطرابلس والسودان ليرى صدق قولى ويدرك أن الوشم ما خرج عن معناه الاصلى وأصبح يستعمل كزينة الا بعد تقدم الطب واكتشاف علاجات أسهل وأنجع منه

وفوق ماتقدم فشتان ما بين الوشم والختان حتى يقال للقول بان الختان لمجرد الزينة حتى لو سلمنا جدلا بان حكمة الوشم هى الزينة لان الختان اذا كان عند بعض الامم لمجرد الزينة أو انه علامة مميزة أو عادة لم يعرف لها سبب كما يدعى فلاسفة الغرب فهو فى الاسلام حكم مشروع وفريضة مطلوبة لم توضع عبثاً بل لغايات سامية وحكم عالية وقد جاء الطب الحديث يبين للناس نفعها ويثبت تحقيق ماقاله القرآن الكريم بشأن المكذبين (سنريهم آياتنا ظاهرة في الآفاق وفي أنفسهم وهم لا يشعرون) . نعم أن من حكمة الله وأصدق الادلة على أن القرآن كلامه القديم ان نرى الاطباء فى الغرب ينادون بوجوب الختان ويتخذونه من وسائل العلاج فى كثير من الامراض وجاءوا اليوم يبرهنون على انه من وسائل الوقاية في بعض الامراض المعضلة وانى أقدم للقارىء شواهد قليلة خالية من التطويل

(اولا) عند ما يدخل أحد المصابين بالسيلان الى المستشفى يجري الطبيب له عملية الختان اذا لم يكن مختوناً فى صغره وبهذه الواسطة لا يمكن اعادة عدواه من الجراثيم التى قد تبقى بالغلفة بعد التبول ليسهل على الطبيب اجراء الغسيل والتطهير الموضعى بخلاف الحالة عند وجود الغلفة

(ثانياً) عند الاصابة بقرح زهرية بالقضيب يستحسن أن يختن المريض

حتى يوضع العلاج على الجراح مباشرة فيتم التئامها بسرعة وعدا انه من المحتمل وجود القرحة الزهرية تحت الغلفة وربما لا يتألم منها المريض قد تبقى مخفية عن المريض حتى ينقضي الدور الاول بدون اتخاذ المركبات الزئبقية أو الحقن بمركب (٦٠٦) الجديد حتى يمنع التشويهات القطعية التي تصيب المريض في الدور الثاني وكلنا نعرف أن تخفيف وطأة المرض والتأثير على سيره المقبل في جسم المصاب يتوقف على المبادرة بتعاطي الدواء المكافح لهذا الداء ولذلك يستحسن اجراء عملية الختان للاولاد قبل بلوغ سن الحلم احتياطا لهذا الخطر

(ثالثا) قد يصيب الغلفة تضيقا وتصلبا يؤدي الى اختناق الحشفة وفضلا عن الآلام الناتجة عن هذه الحالة فقد تصاب الحشفة من جراء ذلك بتشويه دائم وأنجع طريقة لعلاج هذه العلة أن يختن المريض ولو كان المريض مختونا لما تجرع كاس الالم ولنجا من تشوه حشفته ولما أصيب بهذه العلة قط

(رابعا) قد تصاب الغلفة بالتهابات حادة تؤدي الى التصاقها بالحشفة دائما فهذه الحالة فضلا عن كونها تعيق الانتشار لدرجة معينة فلها تأثير سيء على المباضعة حتى قد تصل بالرجل الى عدم استطاعة حيوناته المنوية على تلقيح البويضات أي الى درجة العقم الغير طبيعي ولو كان الرجل مختونا لما حصل هذا الالتصاق ولا نتجت عنه هذه الاسباب

(خامسا) قد توجد في مياه الأنهار والبرك بويضات بعض الديدان المؤذية كالبلهارسيا وغيرها فاذا اغتسل الرجل فيها ربما تدخل في الغلفة بعضها وتبقى هنالك في حرارة تلائم أفراخها مع رطوبة ناشئة من فضلات البول

بالغلفة فاذا ما تم افراخها سعت حتى تدخل قناة مجرى البول وهنالك تبدأ في اتلافها أو تصل الى الدورة الدموية ومن ثم تسبب آثارها الضارة بالجسم وكل مصري يعرف ما توجده البلهارسيا من حصوات و نواصير الى أورام وفقر دم وقس عليها الديدان الاخرى التي لا تعرفها العامة ويدرسها الاطباء كل يوم فلو كان الرجل مختونا ماجدت البويضات مكانا ملائما لافراخها ولا دخلت ديدانها الجسم وأظهرت آثارها. ولقد كتب استاذ علم الامراض بجامعة شيكاغو مقالا عن الختان بمجلة (ذي ميدكال بريف) جاء فيه العبارة الآتية (ومما يثبت رقي قدماء المصريين في الطب وتمكنهم من دراسة علم الامراض بدقة أنهم عمموا الختان في بلادهم وهي خير طريقة للوقاية من العدوى بكثير من الديدان المائية وخصوصا البلهارسيا المتفشية بمصر والسودان وكثير من البلاد الحارة وقد أدرك عالم الطب اليوم ثاقب نظرهم واصابة فكرهم وعرف أن هذه العادة وضعت لقاعدة طبية لا للطقوس الدينية المجردة كما كنا نظن قديما) ثم أخذ ينصح لحكومات الدول المستعمرة التي يكثر ببلادها هذا المرض بختن الاهلين وجماعة الاوربيين الذين ينوون الاقامة بهذه الاصقاع وقاية لهم من هذا المرض العضال الذى لم نعرف له علاجا بعد ومن الحكم المأثورة (درهم وقاية خير من قنطار علاج) ما كان محمد من الساحرين ولا كان من اليهود بل كان نبياً أمياً ورسولا كريما أتى بدين الحق هدى ورحمة للعالمين وكفى دليلا أن في أمره بالختان ما ذكرته من الفوائد بكل ايجاز فضلا عن النظافة التامة ولربما كشف الزمان لنا حكما أضعاف مامر

أدب النفس بالنفس

شتان بين علاج ما يعترى الانفس فى أجسامها وعلاج ما يعتريها فى أخلاقها من العلل . اذا نجع العلاج فى الحال الاولى ما كان بيد الغير وأنجعه في الحال الاخرى ما كان من النفس واليها . ولذا قيل

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

ويروى عن عبد الله بن المقفع قوله انما تأدبت بنفسى. كنت أرى الخير فاتبعه وأرى الشر فاجتنبه

لم نعرف النفس بذاتها وانما عرفناها بصفاتها . عرفناها أمارة بالسوء ومطمئنة وانها كالطفل وأن الظلم من شيمها الخ فهى قابلة للخير والشر متأثرة بما يغلب عليها منها بالاكتساب أو التأديب أو المعالجة

غير أن أحب العلاج اليها ما كان بيدها (لا بيد عمرو) ولعل ذلك لما جبلت عليه من حب الاستبداد أو الحرية المطلقة فى الخير وفى الشر معاً

فى استطاعة كل امرىء أن يهدي نفسه الى الخير كما تقوده هى اليه الى الشر . غير أن ما فى سبيل الاول من المشاق وما له من خشونة الملمس من ذاته قد رغب باكثر الناس عن سبيله فهجروه فبعدت عليهم الشقة وضعفت فيهم ملكة الخير أضعاف ما قويت ملكة الشر حتى قيل

والناس أهدى فى القبيح من القطا وأضل فى الحسنى من الغربان

وقال المتنبي

انا لفي زمن ترك القبيح به   من اكثر الناس احسان واجمال

والا فالنفوس كلها أمام الخير والشر سواء كما ان هذين السبيلين ممهداً أمامها تسلك منهما ما تشاء « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين » والضمير عائد على الانسان

وليس انسان مهما كانت درجته في العلم أو الجهالة خاليا من بعض القواعد الادبية المنزلة علي النبيين والمرسلين أو الموضوعة على ألسنة الحيوان أو الجارية على لسان الانسان فى أى شكل من أشكال النظم والنثر الصحيح منه والفاسد ليدخل فى هذا الباب كثيرمن الامثال العامية منظومةومنثورة

وعلى فرض أن انساناً فاته كل شيء من ذلك فهيهات أن يفوت أحد من الناس (العقلاء) يقينه فى البادىء جل وعلا وهو الذى يقول « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروالذنوبهم » الآية « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » الآية

يقول ذلك في مقاممدحهم والامتنان بحسن جزائهم وجزيل مثوبتهم وفى الكتاب العزيز كثير من أمثال هذه الآى دالا على أن الذكرى أو التذكر أو الذكر بمعنى يقظة النفس من غفلة الشهوات من أكبر أسباب السعادتين

وما هذه اليقظة الا ما نقصده فى موضوعنا هذا . ومن أحوج منا الى مثل هذا الموضوع . وقد غمرتنا سفاسف الحياة فانستنا معاليها ففقدنا السعادتين وخسرنا الصفقتين

ان الهموم والشهوات لا تتمكن من النفس الا وهى فى غفلة عن تلك الذكرى طوعاً أو كرها . وربما كانت أقرب شيء اليها وأهون عمل عليها . وفى الحديث « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن » أو كما قال

***

تنزل بالانسان الفاجعة فتسد عليه منافذ الفضاء وتحجب عنه نور العقل الذى به يهتدى الى الصواب فى القول والعمل والاعتقاد حتى اذا راجع نفسه هنيهة أو سمع من جليسه كلمة أو وقع بصره على الحكمة فى كتاب أو التقطها من أى وعاء اذا به قد استرجع ربه وثاب الى رشده فصغرت المصيبة بل الدنيا فى عينه واستنار له سبيل الرشاد

يفجع الواحد منا فى ولده الفرد أو أمه أو أبيه أو زوجه أو أخيه فيخيل له أنه هو المنعي أو يظن ان لا حياة له بعد فقيده ولا سعادة له دونه وكل شيء بعده فى عينه أسود وكل نعيم قد استحال الى شقاء حتى اذا ذكر ان الله الذى رباه وجعل له زوجا وذرية ليس بعزيز عليه ان يعوضه خيرا مما فقد فى هذه الدار أو فى الدار الاخرى

ثم يفكر فيقول فى نفسه : لو شاء الله لسقاني هذه الكأس دون من فقدت . ومالى أجزع ولى أحسن الاسوة بمن سبق فقيدي من الانبياء والاصفياء ومن سيلحقهم من العظماء والكبراء . وانى ولا ريب عما قريب لاحق بسابق وسابق بلاحق

بل لو ذكر ان الموت بلاء منتظر وان وقوعه عاجلا خير من انتظاره آجلا كما قال ذلك أحد الفلاسفة لتلاميذه وقد جاءه نعي ولده الفرد وهو يلقي الدرس فلم يزد على ان حوقل واسترجع ثم تابع الدرس

يحل ببدنه الداء العضال فتوسوس له نفسه انه الواحد الفرد في هذا المصاب وان الله ما امتحنه به الا بعد أن جرده من نعيم الدنيا وأعد له عذاب الآخرة فتتضاءل نفسه عن حمل الداء والصبر على ألم الدواء ثم يستولى عليه اليأس من امكان الشفاء فيكره كل شيء حتى الحياة وقد يحاول قطع الصلة التي بينه وبينها

ولكن لفتة منه الى مثل قوله تعالى « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين » الآية وقوله حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام « الذى خلقني فهو يهدين والذى هو يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفيني » الآية تنقله الى زمرة الصابرين فلا يلبث بعدها ان يتأسى بالكثير من أمثاله ذوى العاهات وحملة الامراض والآفات وربما رأى نفسه أسعدهم حظا وانعمهم بالا . بل ربما استحال الى أستاذ في الصبر وقدوة في التأسي

بينا يكون المرء بين أهله وعشيرته يتقلب في النعيم ويعاقر كؤوس المسرة واذا بحادث نزل نفرق الاحباب وجميع الاوصاب وحال بين المرء وزوجه وأهله وولده اما الى غربة أو الى سجن فيضيق صدره ويستوحش مما هو فيه . ولكن كلمة من أمثال قوله

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

أو قوله

قالوا سجنت فقلت ليس بضائرى   سجنى وأى مهنـد لا يغمـد

تدع ليل الخطب نهاراً وضيق الازمة فرجا حتى ليكاد يستوى لديه ما صار اليه وما كان فيه . وكأنى به وهو يخاطب نفسه بقوله :

ما هذا الخور والقلق ؟ الست ذلك الرجل الذى انما خلق ليحمل الـكل ويحارب الدهر وهو ذلك الذى قال فيه الشاعر

كتب القتـل والقتال علينـا   وعلى الغانيـات جر الذيول

وقال الآخر

فان عليـات الامور مشوبة   بمستودعات من بطون الاسـاود

*
* *

يكون الرجل في أعلى المناصب آمنا في سربه واثقامن رئيسه أشد من ثقته بربه فما هى الاعشية أوضحاها حتى يحل الخوف محل الأمن فتضطرب سفن الامور وتتقطع الاسباب .

هنا لك تحدثه نفسـه بان عياله قد ماتوا جوعا أو هلـكوا ظماً وان أسبـاب الرزق قد انقطعت دونهم وأبواب السماء قد سـدت فى وجه عائلهم . وانه سيبقى عاطلا أبدالدهر . وفيما هو كذلك واذا بريح قد هبت من لدن اللطيف الخبير والذى يقلب القلوب والابصار ويولج النهار في الليل ويولج الليل فى النهار والذى بيده التنصيب والعزل والاعطاء والسلب فبددت تلك السموم وغلت عن قلبه الهموم . فيذكر عندئذ قول القائل

ربما تكره النفوس من الأ   مر له فرجة كحل العقال

يكد الطالب فى الدرس ويصل ليله بنهاره فى المذاكرة حتى اذا جاء الامتحان وأقيم الميزان كان نصيبه السقوط وحظ من هو أدني منه الصعود فتذهب نفسه حسرة وسرعان ما تجحد فضل ربها فى الماضى وتيأس من روحه فى المستقبل حتى انها لتحاول التقلص من مسكنها والتخلص من حالها ومستقبلها ناسية قول عالم الغيب والشهادة « ولا تقتلوا أنفسكم — ولا تبطلوا أعمالكم » الآيتين

ولولا أن ذلك الطالب رمي ببصره الى مستقبل من الرجاء فسيح الارجاء والى رحمة من الله عرضها الارض والسماء . بل لو ذكر أنه كذلك الجندى فى ساحة الوغى لا يليق به أن ييئسه الانكسار فى البيان ولا أن يبطره الانتصار في النهاية لرجع الى الحق يحمل سلاح العمل وهو يقول

على المرء أن يسعى الى الخير جهده   وليس عليه أن تتم المقاصد

ولو أن مثل هذا الطالب كان صحيح الايمان قوى العزيمة لأخذ لنفسه العدة قبل نزول البلاء فاعتصم بحبل التوكل على الفاعل المختار بعد قيامه بما ينبغى عليه من درس ومذاكرة . انه ان فعل ذلك استراح من عناء الطمع فى النجاح والجزع من السقوط . ولم يقلق بنفسه من ذلك الا اثارة من رجاء تخلفها مسكة من الصبر

على أن أبواب النجاح أكثر من أن تعد وأشهر من أن تذكر فليفزع الى غير أبواب الشهادات متى أعياه أمرها وليقل مع القائل

اذا لم تستطع أمراً فدعه   وجاوزه الى ما تستطيع

يتفق للرجل أن يكون ذا مال وجاه أو ذا أدب وعلم فيغلبه حب المال والاعجاب بالجاه والعلم على أن يتفضل على قومه بزكاة ما أعطاه الله من ذلك ناسياً قوله

ومن يك ذا فضل فيبخل لفضله   على قومه يستغن عنه ويذمم

ولكنى لا أخاله اذا ذكر الله الذى يقول « انما أموالكم وأولادكم فتنة — ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » الآيتين. ثم جرى على قلبه قول البحترى

وأري الجود نشاطا يعترى   سادة الاقوام والبخل كسل

ألا مسرعاً الى الدخول فى زمرة أولئك السادة منزعجاً عن الانتظام فى سلك الكسالى مستعيذاً مما استعاذ منه عليه الصلاة والسلام فى قوله « رب أعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل » الحديث

تعرض للمرء وهو رئيس أو مرءوس غنى أو فقير مواقف يلوّح له فيها العدل بالانتصار له ويتنمر له فيها الظلم طلباً للركون اليه

ولكن النفس المطمئنة لا تنزعج للقوة مهما أرعدت وأبرقت ولا تتجافى عن الحق وان كان نضو آلام وأسقام . وكأنه بالمتنبي وهو بجانبه فى تلك الساعة ينشده قوله

اذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم

(وقوله)

فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم

(وقوله)

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

وقوله

يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

ثم يرفع بصره فاذا هو بغلام أبي الطيب وهو يستفزه الى القتال ويدفعه الى أن يذب عن حوضه ويمنع حريمه مذكراً له بقوله

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فلم يلبث أن كر على عدوه وما زال يقاتل حتى مات شهيد الشهامة والحق

* * *

هذا بعض ما يقال في هذا المقام وللقارىء أن يقيس على ذلك ما يعرض له من المواقف وما يعترى نفسه من العلل. وله أن يدبر لها من الدواء ما يلائم الطبع والعادة ولا ينافي العلم والأدب حتى تكون نفسه كجسمه صحة وقوة. ولا يكن الى مداركة جسده بالعلاج أسرع منه الى مداواة نفسه فذلك من أكبر آفات الانسان ومن أعجب فعاله

ان الرجل منا (لا سيما في هذا العصر) ليس أقل عقلا ولا أضعف نفساً من ذلك الاعرابي الذي وقف للحجاج يتأول كلامه ويتلقى سخطه بالرضا وجهله بالحلم. فلما قال له الحجاج لأحملنك على الادهم (القيد) قال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب. قال. انما أردت الحديد. فقال: لان يكون حديداً خير من أن يكون بليداً

ولا هو أعلم بفضل العقل ولا أقدر للحرية من ذلك الذي حبسه الحجاج فجاء اليه أهله في السجن يحثونه على دعوى الجنون ليكون في ذلك مخلص

له من العذاب . فما كان منه الا أن قال لهم : معاذ الله ان أجحد فضله فاستبدل أقبح نقمة باكبر نعمة . انى اذن لمن الظالمين

وروى ان عمر رضى الله عنه مر بصبية يلعبون وفيهم عبد الله ابن الزبير فلما رأوا عمر فروا من وجهه الا عبد الله فانه ثبت مكانه فسأله ابن الخطاب لم لم تفر معهم . فقال له ليس الطريق ضيقا فاوسع لك ولا أنا مجرم فأخافك

وكم من مواقف لامثال هؤلاء لايكاد المرء يملك فيها نفسه دهشة وعجبا بل لا يكاد يصدق الخبر بوقوعها. وليس أكثر ذلك من طبيعة النفس وانما هو حكم العادة وثمرة التربية . وما ترويض النفس على خلع سيئ العادات ونبذ فاسد التربية على أحد ببعيد

ان أكثر مادرجنا عليه في عاداتنا وتربيتنا وقد وقف بنا عند وسائل الحياة فشغلنا بها عن مقاصدها السامية بل قدسناها تقديسا يكاد يبلغ حد العبادة ومن الذي ينكر فرط حبه المال والجاه والحياة لذاتها حتى اذا ماعرض له ان يضحى بالجزء عن الكل ويبذل الوسيلة دون المقصد أبى واستكبر أو جبن واستكان . وهو لا يدرى انه خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ومن ينكر انا أهملنا ملكات الشجاعة والحرية والنجدة والصبر في سبيل وفرة المال وجمال الحياة وخفض العيش واطمئنان القلب ونحن لا ندرى انا نحافظ على ما نفقد حالا أو مآلا ؟ ؟

لا يحصل الانسان على القليل مما يحب الا بالكثير مما يكره « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » فلا سبيل الي ان نحصل على سعادة تامة خالدة

الا بالانتفاع بتلك الملكات وان بذلنا جزءا من المال وشطرا من الحياة وأقلقنا النفس بضع ساعات طوعا أو كرها فردا أو جماعات

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يعدم والاقدام قتال
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة   والعز بين رسيم الانيق الذال

المواسم والاعياد

(دخل الديانة البوذية فى الديانة المسيحية)

قال في دائرة المعارف العربية فى شرح ديانة البوذية :

وقد كذب قسيسو النصارى الاوروبيون فى زعمهم ان البوذية مذهب من المذاهب النصرانية ومأخوذة عن (نسطور) وأتباعه وكذبهم ظاهر لان النسطوريين لما طردوا من بلاد الروم فى القرن الخامس للميلاد التجأوا الى بلاد فارس في حكم الساسان وديانة البوذية قديمة جدا ووارد ذكرها فى كتب سابقة على المسيحية بجملة أجيال . فالواجب اذن القول بأن النصرانية دخلها أمور من البوذية ولا عكس .

(الصليب من علامات المعبود بوذا)

قال فى دائرة المعارف العربية فى شرح صفات المعبود (بوذا) رب الهنود :

ويصورونه فى الاصنام واقفا على دولاب كبير ويجعلون تحت قدميه شمسية أو خرطوم فيل أو سدرة (شجرة سدرة المنتهى) أو هيئة جبل ﴿ ميرو ﴾ أو شمس أو قمر أو نمر أو ﴿ صليب ﴾ ثم يرسمون حول رأسه هيئة شعاع نور عظيم فى وسط الهواء وهيئة انتشار رائحة عطرية عظيمة منبعثة من صورته

﴿ استخدام الاختلافات الدينية فى سياسة الامم ﴾

من دائرة المعارف العربية للبستاني في شرح دين البوذية :

قال المؤلف : ولما كان دينه شديدا علي البراهمة مضيعاً لكثير مما كانوا يدعون فقد ساعد الاسكندر وخلفاؤه من المكدونيين على نشره فى الهند لاسقاط نفوذ البراهمة وبذلك آمنوا شرهم وتأثيرهم فى العامة بما كان لهم من النفوذ فى المذاهب القديمة الخ ومن ذلك يعلم أن لاغراض الملوك دخلا في مسائل الاديان والمذاهب

(رأى رجال الدين فى الامبراطور قسطنطين صاحب البدع المذكورة)

قال صاحب ريحانة النفوس في خاتمة كتابه :

ان الديانة المسيحية كانت في أول الامر بسيطة جدا وقد حصل فى القرن الرابع تغيير فيها عظيم. فانه بعد ارتقاء قسطنطين الكبير الى تخت السلطنة زيدت زيادات عظيمة على العوائد والطقوس الموجودة قبلا ومن جملتها اطالة العبادة في الكنيسة واستعمالها باحتفالات وزخارف خاصة . وليس خافياً على قارئ هذه الرسالة أن أكثر هذه العوائد قد ابتدأ من زمن قسطنطين وبعده

وجميع مؤرخي الكنيسة يشهدون بتكثير الطقوس بغتة وبنوع مفرط في القرن الرابع . وكثير منها قد نقل عن عبادة الاوثان نفسها . فان شلاغل الكاثوليكي المشهور يقول (لاشك ان قسطنطين ارتكب غلطات كانت في نتائجها مضرة للديانة المسيحية لانه أعطى الاكليروس الانعامات القديمة التي كانت لكهنة الوثنيين الخ)

هذا مايعترف به علماء الدين المسيحي أنفسهم فما بالك بما يخفونه مما لواعترفوا به لاضاعوا منزلتهم في نظر العامة وفقدوا مكاسبهم ومعاشهم

أما الكلام على ما يخفونه فنأخذه عن غيرهم من الفلاسفة والعلماء المتنورين الذين لاغاية لهم الا الحق وتجريد الاديان من الاباطيل.

(الباب الثالث)

(أقوال العلماء البروتستانت فى الاعياد والاعتقادات والطقوس)

ملخص من كتاب ريحانة النفوس فى أصل الاعتقادات والطقوس تأليف القس بنيامين شنيدر والكلام منقول كما هو ولم نغير منه الا ترتيب الابواب والفصول والفروع مع مراعاة الاختصار والاقتصار على الهام منها

(الفصل الاول)

قال في الباب الاول من الكتاب

انا قبل ان نشرع فى ذكر الامور الخصوصية من هذا الموضوع نذكر بعض أمور عمومية

(الاول) ان الاعياد لم يأمر المسيح بحفظها وليس لها ذكر بين أوامر الرسل . ولو كان قد حفظ منها فى قرون الكنيسة الاولي . ومما يستحق

الاعتبار ان المسيح لم يعين يوما لاجل تذكار شيء مامن حوادث حياته كميلاده وموته وصعوده الى غير ذلك ماعدا السبت الذى نقل (ربنا بأمره) من اليوم السابع الى اليوم الاول من الاسبوع تذكارا لقيامته . ومع ان هذه الحوادث هى من أعظم الامور التى ظهرت فى العالم والبعض منها قد تأسست عليه الديانة المسيحية لم نقرأ فى مكان أنه أمر بتذكارها فى يوم مخصوص اذ لم يعين يوما لصوم ولا يوما لعيد. وهكذا يقال أيضاً عن الرسل. وهو من القضايا المسلم بها التى لا يشك فيها مهما كانت الغاية ومهما استغربه بعض الناس

نعم ان المسيح ورسله كانوا يغتنمون الفرصة فى أعياد اليهود لكي يعلموا الشعب ولاجل هذه الغاية كانوا يدخلون المجامع والهياكل فى هذه الاعياد ولكن لا ينتج من ذلك ان حفظ هذه الاعياد واجب على أتباعهم بل على عكس ذلك لاحظ بولس الرسول ان البعض كانوا يريدون ان يكلفوا المسيحيين حفظ . نن اليهود كالاعياد وغيرها كأنها واجبة عليهم وكان يقاوم ذلك بكل عزم وغيرة (ونجد الجزء الاعظم من رسائله مشتغلا بهذه المقاومة لانه لم يرض ان المسيحيين يكونون تحت نير مثل هذه العبودية بل يريد ان يتمتعوا بالحرية التى اعطاهم اياها الانجيل)

وبناء على ذلك مهما سمعنا من مديح حفظ الاعياد لاجل نمو التقوى لا ننس أنه غير مأمور بها فى الانجيل ولو سلمنا أنه يليق بالمسيحى أن يحفظ يوما لتذكار ميلاد المسيح أو موته أو آلامه أوحلول الروح القدس الى غير ذلك فهذا ليس موضع البحث لاننا لا نبحث الآن عن اثبات اللياقة لهذا الامر اونفيها عنه بل

مقصودنا هو ان نثبت هذه القضية البسيطة وهى (أنه فى العهد الجديد لا يوجد وصية بحفظ الاعياد)

(الامر الثانى) ان جميع الاعياد المحفوظة لبعض أيام الرسل فى الكنائس الاولى ماعدا الاحد كانت اختيارية بالكلية ولم يطلب حفظها قط كانها واجبة وجوب الوصية فان ستراط الذى كتب تاريخا للكنيسة سنة ٤٤٠ وسنة ٤٥٠ للمسيح وثبتت أقواله من نيبفورس يقول (لا بولس ولا أصحاب الانجيل وضعوا نير عبودية على اللذين قبلوا تعليمهم . بل تركوا حفظ الفصح وأعياد أخرى الى اختيار الجميع . وكذلك لا الرب يسوع ولا رسله سنوا شريعة بخصوص هذه العوائد توجب حفظها تحت التهديد والقصاص كما أوجبت شريعة موسى على اليهود . الخ)

(الامر الثالث) ان عدد هذه الاعياد كان فى الاول قليل جداً . فانه الى أيام أوريجانوس الذى توفى سنة ١٥٤ لم يكن أعياد عمومية الا جمعة الآلام والفصح والعنصرة والاحد الذى كان دائما يعتبر عيداً عموميا وفى القرن الرابع وجد أيضا عيد الميلاد . ثم بعد ذلك زاد عدد الاعياد ولم تزل تكثر بالتدريج حتي صارت كثيرة جدا . وصار كثيرون من القرن الرابع الى الثامن يتضجرون من كثرتها . وأما أسباب هذه الزيادة فكانت كثيرة يذكر منها أحد مشاهير المعلمين هذه الاسباب الآتية مع غيرها وهي : تذكار الشهداء سنويا . وسنن مرسومة من قسطنطين الكبير ورغبة المسيحيين فى مساواة الاراتقة الذين كانوا يرسمون أعيادا مختلفة عما كان عند المستقيمي الرأى ورسم عيد الميلاد الذى صدرت منه أعياد كثيرة وطلب اجتذاب المسيحيين عن

الاشتراك فى أعياد الوثنيين وعوائد اليهود التى كانوا مائلين اليها . ويتضح انهم كانوا مائلين الى ذلك ميلا شديدا من الوقوف على كتابات الآباء وأحكام المجامع التي كانت في تلك الايام .الخ

(فرع أول)

(عيد تطهير مريم العذراء)

هذا العيد رسم فى القرن السادس ودليل ذلك قد ذكره بنكهام الخ . وأما سبب رسمه فيوجد أساس متين للظن بأن أصله من العوائد الوثنية . فأن كثيراً من المؤرخين على هذا الرأى مثل هسينيان وبومجرتن وشميد والبابا هلد براند وأوغسطي . وكان شهر شباط الذي يحفظ فيه هذا العيد محسوبا من أعظم الاعياد الاحتفالية فى رومية الوثنية . واسم هذا الشهر باللاطينية .

(لغة الروم) فبروارى ومعناه التطهير كما ذهب جمهور القدماء وفي آخر هذا الشهر كان يحفظ كل سنة عيد تطهير عظيم اكراما (لغبروا) أم الالة المريخ الخ

(فرع ثان)

(عيد انتقال مريم الى السماء)

ان العهد الجديد لم يذكر موت مريم البتة . وفى الاربعة القرون الاولى لم يدع أحد آباء الكنيسة الاولى معرفة شئ من ذلك الخ ولكى يتبين كيف كان الجميع يجهلون هذا الامر بالكلية نحتاج الى ذكر الآراء المختلفة المتعلقة به فقط فنقول

(الرأى الاول) ذهب قوم الى أنها ماتت موتا طبيعاً غير ان نفسها أخذت حالا انى السماء الخ

(الرأى الثانى) ذهب الآخرون الى أنهاماتت موت الشهداء الخ

(الرأى الثالث) ذهب جماعة الى أنها لم تمت منكرين ان يكون لها طبيعة بشرية . ولهذا لم يكن للموت سلطان عليها »

(الرأى الرابع) تردد آخرون بين ان جسدها ترك على الارض أو رفع الى السماء

(الرأى الخامس) ذهب الاكثرون فى القرن الخامس الى ان مريم نقلت بجسدها ونفسها الى السماء — الخ

(فرع ثالث)

(فى أصل عبادة القديسين والملائكة)

أن المسيحيين فى القرون الثلاثة الاولى كانوا يحترسون جدا فى عبادتهم من كل مايشبه عبادة الخليقة . وكانت عبادتهم لله وحده . ولم تنتشر عبادة القديسين والملائكة كثيراً الى القرن الرابع والقرن الخامس الخ

وقد ذكر أحد المعلمين المشهورين أعظم الاسباب وأقواها لهذه العبادة وهي :

(١) شدة اعتبارهم لامر الشهداء الخ

(٢) بناء كنائس على قبور الشهداء الخ

(٣) عبادة الوثنيين لابطالهم الاموات واعتقادهم بوجود آلهة يحرسونهم — الخ

(فرع رابع)

(فى أصل رسم اشارة الصليب وعبادته)

أنه لا يوجد دليل فى الكتاب المقدس على رسم اشارة الصليب . ولكن يظهر أن هذه العادة دخلت قديما بين المسيحيين الاولين . الخ

وقيل ان هيلانة أم قسطنطين فى سنة ٣٢٦ وجدت الصليب الحقيقى فى اورشليم وشاعت الاخبار عنه بأن عجائب عظيمة صنعت بواسطته وبواسطة قطع منه حتى بواسطة الصور المأخوذة عنه أيضاً

ولا نقول هنا شيئاً من جهة صدق الخبر عن وجود الصليب الحقيقى مع أنه الآن لا يصدق عند جمهور العلماء ولكن سواء كان ذلك صحيحاً أو غير صحيح فقد وجدنا أن هذا تقليد وعلى الخصوص الاشاعة بأنه حدثت عجائب عظيمة بواسطته كان سبباً لصيرورته موضوعاً لأعظم نوع من العبادة . انتهى ملخصاً

(نقول) وقد أجمع المعتزلة من المسيحيين وأصحاب التواريخ على أن هيلانه وقسطنطين لا يجوز الاقتداء بهما فى الدين ولا تصديقهما

(فرع خامس)

(في المسح بالزيت واستعمال الميرون)

فى المعمودية وتكريس الاساقفة والاكليريوس ومسح المرضى بالزيت

أما أصل استعمال ذلك فى المعمودية فقد ذهب أكثر العلماء الى أنه ناتج من لفظة (مسيحى) وقد برهنوا على ذلك بأن لفظ (مسيح) أو

(مسيحى) بما أنها مأخوذة من كلمة عبرانية معناها مدهون فقد استحسن المسيحيون الاولون استعمال المسح أيضاً بعد المعمودية الخ

(ملحوظة)

والاصل فى المسح عند اليهود دهن الملك بالدهن المقدس وهى عادة فى جميع الاديان القديمة ومذكورة فى التوراة من عهد موسى بوصية من الله على قول سفر اللاويين والمؤرخون يقولون انها عادة عبدة الاصنام والمجوس وقدماء المصريين وغيرهم ممن ظهر كذب أديانهم وأن المجوس لا يزالون يمسحون أنفسهم بالرماد كمسح اليهود أنفسهم بالزيت

(فرع سادس)

(عيد القيامة وعيد النعصرة)

قال المؤلف :

قد جمعنا هذين العيدين لان الظاهر أن ابتداءهما كان فى زمان واحد فالاول منهما تذكار لموت المسيح وقيامته والثانى لحلول الروح المقدس على الرسل وبيان أنهما قد حفظا قديما جداً حتى أنه يوجد برهان على أنهما كانا فى القرن الاول وربما فى أيام الرسل أيضاً مع أنه ليس لنا دليل على أن الرسل رسموهما. نعم ان الرسل ربما ارتضوا بهما حتى دخلا ابتداء بهذا المقدار وأنهم وان لم يأمروا بهما لم يكونوا غير راضين باستعمالهما لكى يرسخ وطيداً بواسطتهما فى عقول المسيحيين أمر ان من أعظم التعاليم الانجيلية الاساسية. وهما الكفارة بواسطة آلام المسيح وموته وفيض الروح القدس على الكنيسة

شذور علمية

الجدري

كيف اكتشف التطعيم

الجدرىّ مرض من الامراض الوبائية القديمة : قاسى المجتمع الانسانى منه أشد الاهوال فيما مضى فكان كلما فشى فى جهة من الجهات حصد الخلائق وفتك بها ومن نجا من الموت به عاش مشوه الوجه كفيف البصر

ويقول بعض المؤرخين ان أصحاب الفيل لما ذهبوا الى بلاد العرب ليكرهوهم على العبادة في الكنائس ولينسوهم بذلك بيت الله الحرام لم يستطيعوا البقاء في تلك الديار ولا المقدرة على محاربة المسلمين لان هذا المرض تفشى فيهم ففتك بهم فتكا ذريعاً

بيد أن أهوال هذا المرض كانت مروعة حتى ضاقت صدور الناس ولكنهم لاحظوا أن الذى يصاب به مرة لا يصاب به ثانية وبلغ بهم الفزع أن قبل الشخص منهم أن يلقح نفسه بسمه النوعى على قدر معلوم فيصاب بالمرض على شكل أخف ومن ثم يتقى بذلك شر هجوم المرض على حين فجأة فيكون عرضة لفقد حياته

وظلت هذه الطريقة متبعة لوقاية الانسان من الجدرى الى أن اكتشف التطعيم المعروف الآن

واكتشاف التطعيم جاء ككثير من الاكتشافات نتيجة الملاحظة من العامة اذ لوحظ قبل الاكتشاف أن الذين يصابون مرة بجدرى الانعام (البقر) وذلك يكثر فى النساء اللواتى يشتغلن بحلب اللبن لا يصبن بجدرى الانسان .

وهذا الجدرى يصيب الحالبات بدخول سمه الموجود بالبثور الصديدية حول حلمات الثدى فيحدث شقوقا أو خدشات في أيديهن يدخل منها الى الدورة الدموية فظهر من ذلك أن الجسم تحصن ضد عدوى الجدرى البشرى بالنسبة لسابق اصابته بشبيهه

ولما لقح أحد الاطباء الانجليز (واسمه رولف أف ثورنرى) ستين شخصا بسم جدرى الانسان لم يظهر عليهم جميعا أعراضه لسابق اصابتهم بالجدرى البقرى

وفي سنة ١٧٧١ ميلادية طعم نفسه قصاب انجليزى من بلدة (برديورت) بمادة الجدرى البقرى بقصد الوقاية من الجدرى البشرى فتحقق أمله اذ لقحوه بعدئذ دفعتين ولم تظهر عليه أعراض المرض

وفى سنة ١٧٧٤ طعم المدعو (بنيامين يستى الانجليزى) زوجته وولديه لاقتناعه بالفائدة المرجوة وهي تحصين الجسم ضد مرض الجدرى فى وقت كان فيه انتشار الجدرى مخيفا مفزعا ويمكن اعتبار ذلك أول مثال حقيقى لاستعمال التطعيم بمادة الجدري البهيمي الخفيف الوطأة واقيا من الجدرى البشرى الفظيع بشكل قطعي .

وفي سنة ١٧٤٩ ولد ادوارد جنر فى بلدة بركلى بانجلترا وطعم وهو فى الثامنة من عمره ضد الجدرى واشتغل ادوارد عند أحد الاطباء ببرستول وهناك ظهرت له فائدة المادة البهيمية للوقاية من الجدرى البشرى وساعدته معلوماته التى حصل عليها فى مساعدة الطبيب بعدئذ فى ابحاثه

ورجع الى لندره بعد ان أتم تعليمه وكان لا يزال يهتم بمسألة الجدرى فابتدأ فى عمل تجاربه وطعم الكثيرين بكل نجاح وظهرت وقايتهم حينما لقحوا بمادة الجدرى البشرى كما سبق فى حالة القصاب فعن له أن يكتب رسالة فى الموضوع ليقدمها الى المجمع العلمى الملوكى بلندرا فقوبلت بالاعراض ولم يحفل بها أحد ولم يكن ذلك مبنياً عن تحقق من خطائها بل هكذا كان ويكون شأن كل اختراع واكتشاف فى أوله وهكذا سيقاسي المكتشفون نتيجة جهل السلطات ولكنه وفق في سنة ١٧٩٨ الى طبع رسالة أسماها (بحث فى أسباب ونتائج الجدرى) أظهر فيه اعتقاده بفائدة التطعيم للوقاية من الاصابة بالجدرى ومن ثم ابتدأ التطعيم

وظل يكافح ادوارد معارضيه وغيرهم ممن يحكمون فى الاشياء بغير تجربة فى ظروف وصل الاعتقاد فيها بحدوث قرنين كقرون البقر للذى يطعم نفسه حتى قضى على هذه الاوهام تدريجيا فكافأته حكومته

ولقد أخذت تتغير طرق التطعيم وتشعبت الآراء فى قوته الواقية فى مبدأ الامر وهم الآن ينتقون العجول القوية البنية ثم يلاحظونها فى معيشتها زمناً غير قصير للتأكد من حالتها الصحية ثم تلقح بعد ذلك بسم الجدرى من طفل صحيح وقد يظن البعض أن المادة التى تؤخذ من بعض الاطفال تستعمل

بذاتهـا لتطعيم الآخرين والواقع أنهم يلقحون بهـا هذه العجول وبعد أيام معلومة تظهر فى محل التلقيح دمامل تؤخذ منها المادة وتوضع فى أنابيب رفيعة بعد اضافة شيء من الجلسرين او الكلوروفورم عليها لقتل الجراثيم الغريبة التي قد تكون موجودة فى المادة الجدرية

ثم أنه لو لقحت الاطفال بعضـها من مادة بعض لرجعنا بالعـمل الى العصور الاولى ولساعدنا على انتشار المرض بطريق العدوى

اذا أردنا ان ندافع عن قضية التطعيم فيكفى القول بأن الطريقة المتبعة الآن تنفق مع سير الجراثيم به الامراض الاخري فجراثيم الدفتيريا بمرورها فى جهازات الحصان تعطينا المصـل المعروف الذى أتى بنتائج مفيدة جـداً في مقاومة انتشار ذلك المرض الخبيث

الاسلام في الهند

اجتماع اسلامى كبير

نشرت جريدة كومريد التي تصـدر فى كلـكتا بالهند صورة خطاب وجهته جمعية مسلمي السند الى سمو السير اجا سلطان محمد شاه اجا خان من أكبر زعماء مسلمى الهند وقد رأينا تعريب شيء من هذا الخطاب لاهميته قالت بعد الديباجة

نحن أعضاء جمعية السند الاسلامية بالاصـالة عن أنفسنا وبالنيابة عن

مسلمی مقاطعة السند تقدم الى سموك الترحيب الخالص الصادر من أفئدتنا بمناسبة زيارتك لمدينة كاراشي عاصمة السند

نحن بطبيعة الحال نفخر بمقاطعتنا هذه لان ضوء الاسلام ونوره بزغا فيها قبل أن ينتشرا فى أنحاء الهند الاخرى ولانها امتازت باتساع تجارتها مع البلاد الفارسية والافغان والروسيا وغيرها من بلاد العالم المختلفة ولانهامسقط رأس سموك الذى هو أكبر وأشهر زعيم للمسلمين فى هذا العصر . وهذه الظروف التى ساعدتنا على الاعتراف لسموك بأنك زعيم المسلمين فى الهند فى كل ما يتعلق بالامور العلمية والاجتماعية والسياسية هى التى تلجئنا الى الترحيب بك ترحيباً يفوق كل ترحيب قام به مسلمو الهند فى أى جهة فنحن فى سرور كبير لأن نرى سموك — خير ابن أنتجته هذه الارض — فى وسطنا اليوم كما أننا سعداء بتنازلك الى قبول خطابنا هذا اليك بأن وضعتنا فى موقف نستطيع فيه الاعراب عن أعمالك النبيلة التى تقوم بها فى سبيل الانسانية تلك الاعمال التى قمت بها والتى لم تزل تقوم بأمثالها بغرض نشر التربية والتعليم بين اخوانك المسلمين وبغرض تحسين حالتهم

نحن نقرر بكل سرور أن سموك قد امتزت بأنك المؤازر الحقيقى للتربية الاسلامية فى الهند فانك بما امتزت به فى حياتك العامة بكونك زعيم المسلمين فيها وبحماستك التى لا يعتريها الكلل وباخلاصك الخالى من الاغراض الشخصية فى سبيل تقدم المسلمين أخذت مكانا رفيعا فى قلب كل مفكر مسلم ووطنى مسلم وجعلت تقدمهم راجعاً الى فضل مجهوداتك تلك المجهودات التى ستبقى فى صحف التاريخ على توالى الدهور مدونة بحروف ظاهرة واضحة

نحن نغتنم هذه الفرصة لنعيد الى ذاكرتنا بعضا من الحقوق والامتيازات التي أعطتها الحكومة للمسلمين بفضل تداخلك ومجهوداتك فمن هذه الحقوق مشروع الاصلاح الذى نفذ بناء على تصريح ملك الانجليز السابق: ومنها توسيع المجالس التشريعية حتى أمكن تمثيل الهنود (ولا سيما المسلمين) فيها أكثر من قبل وحتى وجدت لديهم فرصة لمشاركة الحكومة فى ادارة هذه البلاد أكثر مما كان لديهم فى الماضى. ان نجاح سموكم الكبير فى دفع الحكومة الى الغاء قوانين الحجر الصحى التي تنفذ ضد الحجاج الذين يبحرون من الهند الى مكة المكرمة قد استوجب لك الثناء والدعوات من العالم الاسلامى بأسره

أما كون المعاملة الرديئة التى يعامل بها الهنود فى جنوب أفريقيا والصعوبات الهائلة التى يقاسونها هناك قد حركت عواطفك فبذلت أشد المجهود فى سبيل انقاذهم وتخليصهم مما هم فيه فهذا أمر لا يحتاج الى بيان كما أن الامر لا يحتاج الى بحث المسؤليات الكبيرة والاتعاب الجمة التى أخذت على نفسك القيام بها فى سبيل ادارة جمعية (رابطة جميع مسلمى الهند) فهى أشهر من نار على علم

ان جميع ساسة هذا العصر قد أجمعوا على أن الله قد جعل الهندوس والمسلمين شركاء فى هذه الامبراطورية التى هي أقوى وأمجد ما وجد على الارض وأن الهند فى أشد الحاجة فى الوقت الحاضر الى ايجاد وحدة وطنية صحيحة بواسطة تقوية العلائق المتبادلة بين الطائفتين العظيمتين اللتين تتكون منهما الامة الهندية وان تنبذ المنازعات والعداوات والاختلافات الدينية.

ويسرنا أن نقول أن الرغبة الشديدة التى تخالج قلوب أنصار السلام

والاخلاص للبلاد قد نجحت فى انشاء مؤتمر السلام الاسلامي الذي ظهر بسعى سموك وتبعك فيه السيد أمير على والسير وليم ودربرن ثم انضمت اليه الامة باسرها . ولا نجد أمامنا شيئاً جديراً بالفرح والسرور اكثر من رؤية زعماء الطائفتين مجتمعين فى مؤتمر واحد فى مدينة الله آباد فى أول السنة الماضية وانتخابهم لجنة منهم لبحث المسائل التى عرضت على المؤتمر

لقد وضعت المشروعات العديدة لتقدم طائفة المسلمين ولكننا نؤكد لسموك بان قليلا من الزعماء قد عرفوا موضع الداء حق المعرفة كما عرفته لاننا نرى أن المجهودات التى تبذلها موجهة فى اكثر الاحوال الى نشر التعليم والتربية بين الطبقتين العالية والواطئة والغنية والفقيرة فى جميع طوائف الهند على العموم وسعيك فى جعل هذا التعليم على نسق يكفل ترقى الحالة الاجتماعية والافكار والنفوس والاخلاق والاجسام ويؤهل المتعلمين للقيام بحاجاتهم حسب الظروف التى يوجدون فيها فى مستقبل حياتهم وهذا (اذا صدق حدسنا) هو ما حدا بك الى فكرة انشاء جامعة تخصص لتعليم المسلمين

ان التبرعات الخيرية الخاصة التى تبرعت بها لاجل نشر التعليم بين شبان المسلمين وتبرعك السنوي بـ ١٢٠٠٠ روبية (الروبية تساوي نحو عشرة قروش صحيحة) . وتبرعك بـ ٦٠٠٠ لكلية عليكره ومثلها لمدرسة انجمان اسلام بمدينة بومباى وتبرعك بـ ٣٥٠٠٠ روبية فى سبيل انشاء كلية العلوم . كل ذلك كان سبباً فى تحريك عواطف المسلمين فى كافة أطراف الهند ولاجل ان تتوج هذه الاعمال الجليلة نراك قد وهبت ٧٥٠٠٠ روبية لانشاء مسجد لندرا

ثم هنأوه بعد ذلك برتبة جديدة منحه اياها ملك الانجليز ودعوا له بطول

العمر والتوفيق فى خدمة المسلمين ثم قدموا اليه هذه الخطبة فى صندوق صغير من الفضة

***

بعد ذلك قام سموه فى وسط الهتاف وتكلم كلاماً طويلاً نقتطف منه ما يأتى.

يجب علىّ أن أشكر جمعية مسلمى السند شكراً جزيلا لتقديمهم الىّ هذا الصندوق الفضى الجميل كما أشكركم على ما شرفونى به من الدعوة الى الحضور هنا . لقد ذكرتمونى بانى من أبناء هذه المدينة ومع أنى أعيش فى الدكن فانى أؤكد لكم بان هذا ليس هو السبب الوحيد الذي يحملنى على الاهتمام بهذه المقاطعة بل من الاسباب القوية أيضاً هو أنها مملوءة بالمسلمين الذين يكونون الاغلبية فيها

لقد تكرمتم فاشرتم الى خدماتى الضعيفة التى أقوم بها فى سبيل النهضة السياسية الاسلامية فى الهند وفى انشاء جمعية (رابطة جميع مسلمى الهند) وفى غير ذلك ولكن الحقيقة أن كل ذلك يرجع الى عامل واحد وهو أن الاسلام قد انتشر في بعض انحاء الهند انتشاراً هائلاً لم يعهد له مثيل من قبل في بحر سنوات قليلة انتشاراً ان لم يمتد لواؤه الى هذه المقاطعة فى القريب فانه سيكون من أسباب تأخر المسلمين فيها عن غيرهم فى المقاطعات الاخرى التى خطت خطوات واسعة فى سبيل الرقى

أيها السادة — انى أرى أن مسلمى هذه المقاطعة لديهم فرص كبيرة لا تقل فى عظم شأنها عما لدى المسلمين فى انحاء الهند الاخرى

ثم قال أيها السادة . انكم اذا سمحتم لى بان ألقي عليكم نصيحة فانى أقول انه

مما يوجب الحزن والاسف الشديد — ذلك الاسف الذي يشعر به كل فرد من أقصى الهند الى أدناها. والذى يشعرون به فى جوجرات ومدارس وغيرها من البلدان —انه لا يوجد فى بلاد السندالآن رابطة تربط المسلمين مع أن الكثير من بقاع الهند قد وجدت فيها جمعيات لهذا الغرض. وليس الامر قاصراً على عدم وجود تلك الجمعيات بل لم يبذل احد مجهودا ما فى سبيل تربية الشعب التربية اللائقة به

لقد أشرتم الى الذى قام به الغير وقت به معهم فيما يختص بالمعاملة الرديئة التي يقاسيها اخواننا الهنود في جنوب أفريقيا.

نحن نعمل على الدوام ضد الموقف المؤلم الذى تقفه الحكومة الاستعمارية والمستعمرون ولكنى فى الوقت نفسه أؤكد لكم ان حالتنا هذه ناتجة من خطأ نا لانه بسبب حاجتنا الي التعليم وبسبب انتشار المفاسد الاجتماعية وتأخرنا الاقتصادى قد وضعنا أنفسنا فى مركز يسمح للغير بان يسيء الينا كما يشاء ولكن اذا بذلت المجهودات فى سبيل التقدم الاجتماعى والعلمى والوطنى فلا بد ان تتحسن المعاملة التى يلاقيها اخواننا. أن حاجة الهنود الكبيرة وحاجة المسلمين الاكبر منها هى التعليم اذ ليس مما يكفى أن ترسل الاطفال الى المدارس لان هذا ليس الطريق الذى تقوم به الاخلاق. وارسال الاولاد الى المدارس لمجرد تلقى الدروس يجعلهم كالببغاءات يحفظون كلاماً لا يفهمون معناه وليس له تأثير فى نفوسهم وأخلاقهم وهذا هو الخطر لانه يضر بهم اكثر مما ينفعهم

ان التعليم الخالى من التربية الدينية هو قضاء على النفوس لانكم بتعليم

الاولاد على هذا النمط لا تستطيعون تغذية نفوسهم بروح التضحية ولا بروح الجنسية ولا يمكنكم ان تعلموهم الغرض الاسمي الذى وجد لاجله الانسان فى هذه الحياة .

ثم استمر يتكلم في حض المسلمين على التآزر والتعاضد وتقوى الروابط بينهم ما نشأ الجمعيات الدينية الخيرية لنشر العلم والتربية الصحيحة بين المسلمين مبينا لهم انها الطريق الوحيد لتقدم أحوالهم وترقى شؤونهم

النقد والتقريظ

كتاب تاريخ حرب المانيا وفرنسا

الكتب التاريخية من أفضل الكتب وأنفعها فهي كمرآة يرى فيها القارئ الحوادث وأسبابها ونتائجها ويستطلع من خلال سطورها التقلبات والتطورات التى أصابت المجتمع الانسانى والاسباب التى جعلت مراكز الامم حيال بعضها على ماهى عليه الآن

من الحوادث التاريخية الهامة التى ارتجت لها الدنيا وأوروبا على الاخص الحرب الالمانية الفرنسية التى نشبت فى سنة ١٨٧٠ وانتهت فى سنة ١٨٧١ تلك الحرب التى ذهبت بالنفوس الكثيرة والاموال الطائلة والتى أصاب فيها الفرنسيون ما أصابهم من الويلات والخسائر الفادحة حتى وصلت الجنود الالمانية الى مدينة باريس وحاصرتها حصاراً ضيقاً بعد كثير من المواقع الحربية الهائلة

ولقد كان كل محب لنشر الكتب التاريخية المفيدة يتمنى ان يري كتاباً باللغة العربية حاويا تفاصيل تلك الحرب الكبرى ووقائعها فلم نلبث حتى رأينا حضرة المؤرخ الشهير جورجي أفندي يني الطرابلسي منشئ مجلة المباحث الغراء يبرز الى قراء العربية كتابا وافياً لم يترك فيه شاردة ولا واردة عن هذه الحرب الا أحصاها .

أهدانا حضرته هذا المؤلف الكبير فألفيناه كتابا ضخما تبلغ صفحاته ٢١٦ صحيفة محلى بصور مشاهير تلك الحرب وكثير من قادتها وساساتها ووقائعها الحربية . وقد عني حضرته بجمعه من الموارد الانجليزية ورتبه ترتيبا دقيقا واصفا الوقائع الحربية أدق الوصف حتى ليكاد القارئ يظن نفسه امام القلاع والمدافع وبين صفوف المتحاربين

وقد فصل فيه أسباب الحرب المذكورة ونتائجها تفصيلا جعل الكتاب تاما في موضوعه ومرجعا يستطيع كل من أراد الوقوف على شئ يتعلق بتلك الحرب ان يجده بين صحفه .

وقد توخي في وضعه حسن الرواية والوضع فجاء الكتاب جديراً بأن يكون فى مكتبة كل قارئ

ونحن نثني على همة حضرة المؤرخ لوضعه هذا الكتاب الجليل الذي سد نقصا فى الكتب التاريخية العربية ونرجو أن يداوم على نشر أمثال هذه الكتب النافعة راجين لكتابه الرواج لاسيما وانه خصص ٢٠ فى المائة من ثمنه اعانة للاسطول العثمانى

أسئلة وأجوبتها

كتب الينا حضرة محمود أفندى العدوى ما يأتى :

(قال عليه الصلاة والسلام النساء عوج لا يعدلهن غير الطلاق)

وقال أيضاً

(النساء خلقن من ضلع أعوج ان قومته انكسر)

ماذا تقولون فى تفسير هذين الحديثين وصحتهما ولكم الشكر

(الهداية) لم نعثر فى كتب الحديث على ذلك النص ولكن ورد فى معناه فى الجملة أحاديث أخرى . عن أبى هريرة (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المرأة كالضلع ان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها استمتعت بها على عوج . وفى لفظ آخر استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع أعوج (شئ فى الضلع أعلاه) فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء

وعن سمرة بن جندب (٢) ان المرأة خلقت من ضلع وانك ان ترد رخامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها

وعن أبى هريرة ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وفى الباب أحاديث أخرى لا تكاد تخرج عن هذا المعنى . والذى

---

(١) راجع نيل الاوطار جزء ٦ صفحة ١٢٥ (٢) راجع الجامع الصغير جزء أول صفحة ٤٣٢

يفهم من هذه الاحاديث الشريفة ان النساء يشبهن الاضلاع فى ان الانتفاع بهن لا يتم الا بما فيهن من شائبة الاعوجاج الذي فيهن فذلك مافطرن عليه من سرعة الانفعالات وشدة الغيرة وهذه الخلال وان كانت فى نظر الحكيم اعوجاجا وضعفا قد طبع الله عليها المرأة حتى تؤدى ماقصد منها فى الحياة الدنيا فان وظيفة المرأة فى هذه الحياة لاتتأدى على كافة ماينبغى اذا كانت المرأة على مايشاء الفيلسوف الحكيم من التؤدة والرزانة وغلظ الكبد والبعد عن الغيرة الشديدة التى امتاز بها النساء

أراد الله للنساء ان يكن شفيقات القلوب مخففات للويلات قائمات باعباء المنازل ساهرات العيون فى سبيل تربية أولادهن وتعليلهن ووقايتهن من السوء والاذى كما أراد لهن ان يقمن بحاجات أزواجهن الذين يقضون جل حياتهم فى النصب والشقاء والتماس الرزق لمن يعولون من النساء والاطفال غير قادرين على التفرغ بل ولا الاشتغال بشئ من الشؤون المنزلية كتدبير المآكل والملابس وتنظيم المنزل وتنظيف الفراش وتطهير الهواء وهكذا من مطالب الحياة المنزلية . لذلك خلق الله المرأة سريعة الادراك سريعة التنبه سريعة الانفعالات النفسانية

ولما كان الحياة الزوجية لاتتم غايتها الا بان يسكن الرجل للمرأة وان تدوم بينهما المودة والرحمة خلق الله المرأة شديدة الغيرة على زوجها حرصا عليه ووقاية له ان يشتغل بغيرها عنها فلا تستقيم بذلك حياتها ولا حياة أولادها ولا ينتظم لافرادهم بعد ذلك عقد

فالغيرة وسرعة الانفعالات النفسانية قد ينظر اليها الحكيم الفيلسوف

كأنهما من صنوف العوج والاخلاق الرديئة ولكن الله تعالى فطر المرأة عليها لما ينجم عنها من تلك الفوائد الجمة . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « وان تركتها استمتعت بها على عوج » أى كما تؤدى الضلع وظيفتها الطبيعية بما فيها من الاعوجاج ولو أنك حاولت تقويم الاضلاع لما حصلت منها على فائدة مافان فائدتها فى اعوجاجها على ان من يعرف أخلاق النساء ولا أريد كل واحدة منهن بل الجملة لا ينكر أن فى النساء أخلاقا لو أراد الرجل ان يعالجها لما اهتدي الى سبيل ولأفضى به الامر الى علاج واحد وهو الطلاق لذلك أمر المصطفى بمداراتهن أو الغض عن هفواتهن والتغافل عن بعض أفعالهن وأقوالهن بل أنه استوصانا فوق جميع ذلك بهن . وحسبنا فى بيان ذلك ماورد في خطبة الوداع اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيراً فانما هن عندكم عوان (١) ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك (٢) الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . ان لكم من نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا . فاما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فراشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون . الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن رواه ابن ماجه والترمذي :وعن معاوية ان النبى سأله رجل ما حق المرأة على الزوج قال تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت (٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ومما يجب التنبه له هنا ان الناس يخطئون في فهم الضرب الذى أباحه

(١) أساري (٢) التمتع (٣) أى في المضجع

الله للزوج ويرتكبون من القسوة والغلظة فى معاملة نسائهم مالا يفعله غير الوحوش وحسبنا ان نقتطف للقراء ماورد فى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه (١) فى تفسير قوله تعالى واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن قال تلك المرأة تنشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره فأمره الله ان يعظها ويذكرها بالله ويعظم حقه عليها فان قبلت والا هجرها فى المضجع ولا يكلمها من غير ان يذر اصابتها وذلك عليها شديد فان رجعت والا ضربها ضربا غير مبرح لا يكسر لها عظما ولا يجرح لها جرحا .

وسئل عن ضرب غير مبرح فقال بالسواك ونحوه

وأخرج البخارى عن عبد الله بن زمعة قال قال الرسول أيضرب أحدكم زوجته كما يضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم . قال فى فتح البيان فى هذا دليل على ان الامر ترك الضرب للنساء فان احتاج فلا يوالى بالضرب علي موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة . وقيل ينبغى ان يكون الضرب بالمنديل واليد لا بالسوط والعصا

ذلك مجمل قول الرسول وأئمة السلف الصالح فى معاملة المرأة مما لا يدل الا على منتهى الشفقة والاحسان بالمرأة فويل لاولئك الذين شوهوا سمعة الدين الاسلامى بغلظتهم وسوء معاملتهم لزوجاتهم

(١) فتح البيان جزء ٢ صفحة ٢٣١

فهرست الجزء الاول

من السنة الثالثة

صحيفة

الهداية

غزلان

مجلة دينية علمية أدبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

— أصحاب امتيازها —

حسين بك تيمور وشركاؤه

(تصدر في آخر كل شهر قمري)

بدل الاشتراك

ستون قرشاً صحيحاً في القطر المصري

(وأربعون قرشاً للطلبة والدفع سلفاً)

" وعشرون فرنكا في الخارج "

الرسائل

(ترسل برسم مجلة الهداية)

(أو باسم منشئها في القاهرة)

(ولا ترد لمرسلها بحال)

(مطبعة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر)

(اعلان)

ترجو ادارة مجلة الهداية عموم حضرات مشتركي المجلة بجميع الجهات ان يتكرموا بارسال المتأخر طرف حضراتهم من بدل اشتراك المجلة عن سنه ١٣٢٩ الماضيه لداعي تصفية حسابها كذلك ترجو ارسال بدل اشتراك سنة ١٣٣٠ الحاضرة للادارة التي مركزها بشارع رحبة عابدين او تسليم ذلك الى حضرة وكيل المجلة بالجهة المقيم بها المشترك ويعتمد ايصال البوسته او ايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة وبتوقيع امضاء الوكيل المذكور

(الى حضرات المشتركين)

ترجو ادارة مجلة الهداية حضرات عموم مشتركيها بالقاهرة أن لا يعطوا بدل الاشتراك لاحد ما الا بايصال مطبوع أو ممهور بامضاء رئيس الشركة والمستلم واذا ظهر خلاف ذلك يكون لاغيا وليعلم حضرات المشتركين أيضا أن الوكيل الوحيد لمجلتنا هـذه فى القاهرة هو حضرة محمد أفندى توفيق فنرجو اعتماده فقط

(الوكلاء)

(١) حسن أفندي محمد بمدريات الغربيه والمنوفيه والقليوبيه والدقهلية والبحيرة ومركزه طنطا

(٢) الشيخ مصطفي نوح بمديرية الشرقيه مركزه أبو كبير

(٣) ابراهيم أفندي صالح زكي بالاسكندريه وضواحيها ومركزه بالاسكندرية بادارة العلم

(٤) حضرة الشيخ أحمد عزت وكيلا ومحصلا لمديرية المنيا وأسيوط وبنى سويف وجرجا وسكنه سوهاج

(٥) الشيخ سيد سعودي مطر وكيل مدريات الجيزه وبنى سويف والفيوم واقامة الجيزة

الهداية تباع بمكتبة المعارف والهلال بالفجاله والتأليف باول شارع عبد العزيز والمكتبة العباسية بشارع محمد علي

تباع غنية المؤدبين بمكتبة مصر الفتاة بالاسكندرية

(المطبوعات)

جميع الكتب والجرائد والمجلات ترسل برسم مجلة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر

(اعلان)

سنزيد في الهداية المواد الآتية

تاريخ الاسلام — وتاريخ أوربا من بدء القرن السادس عشر — وأيضاً سنفتح بابا لتقريظ وانتقاد الكتب التي ترسل لادارة الهداية لنعطي كل ذي حق حقه

﴿ الجزء الثاني والثالث ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

﴿ القاهرة في صفر وربيع الاول سنة ١٣٣٠ هـ فبراير ومارس سنة ١٩١٢ م ﴾

أسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى والصَّابِئِينَ مَن آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فلَهُمْ أجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون

بينت الآية السابقة لهذه أن الله قد غضب على بني اسرائيل بعد أن غمرهم بجميل احسانه ووالى عليهم شآبيب رضوانه وأجابهم الى كل ماسألوه وكذلك بعد أن جعل فيهم النبوة والكتاب وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين . ذلك بأنهم عصوا أمر ربهم وقتلوا بغير الحق أنبياءهم واعتدوا على حدود الله تعالى فأكثروا الفساد في الارض ولم يتناهوا عن منكر

فعلوه فكان حقاً عليهم أن يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وأن يزودهم بغضبه وسخطه فيجعل ذلك نكالا لما بين أيديهم وما خلفهم وموعظة للمتقين وما كان لله أن يظلم هؤلاء ليهوديتهم ولا أولئك لنصرانيتهم . اللهم الا اذا أشركوا به غيره أو أنكروا اليوم الآخر أو هجروا صالحات الاعمال فأولئك لا يأجرهم الله ولا يؤمنهم من الفزع والخوف . أما الذين آمنوا من قوم ابراهيم واليهود والنصاري والصابئين الذين ليسوا على دين من تلك الاديان (١) فان الله لا يفرق بين أحد منهم ما داموا يؤمنون بتوحيده وبالحياة الآخرة ويأتون من الاعمال صالحاتها فما الله بمفضل قوم على قوم حتى يقيموا توحيده وتطمئن نفوسهم الى دينه فاز فعلوا ذلك ثم أتوا من الاعمال ما يصلح لاسعاد الحياتين الدنيوية والاخروية فلهم أجرهم عند ربهم لا ينقصهم منه شيئاً .

أما الاعمال الصالحة فقد سبق لنا (٢) أن المراد بها كل ما يكسب الانسان قوة فى الدنيا وازدلافا الى الله فى الآخرة . فمن صالحات الاعمال كل ما يفضى الى غنى الامم وعلو مكانتها كما أن من صالحات الاعمال كل ما يخفف ويلات أصحاب الويلات ويؤدى الى اصلاح الشؤون العامة اجتماعية كانت أو علمية أو اقتصادية . ومن البديهى أنه ما عنيت أمة بذلك الا ذهب الخوف والفزع عن نفوسها وملأ السرور والفرح صدورها

ولقد خالفنا المفسرين فى تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا) ذلك أن القرآن الكريم سمى ابراهيم بالمسلم ودعا دينه الاسلام (اذ قال له ربه أسلم

---

(١) مأخوذ من قولهم صبأت ثنية الطفل اذا خرجت (٢) راجع مجموعة الهداية للسنة الثانية

قال أسلمت لله رب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنيّ ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) والمراد من هذه الاية بيان أن الدين عند الله الاسلام وأنه من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين

أما معنى الاسلام الذى كان دين ابراهيم الخليل فانه توحيد الله تعالى بالربوبية واختصاصه بالعبادة (وأن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) على تلك القاعدة العظيمة القويمة بنى دين ابراهيم ومن تبع سنته من أهل مكة كما بني دين سيد الكائنات محمد المصطفى وأهل مكة (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين)

واجمال القول أن النجاة من الخوف والفزع ونيل المثوبة والاجر أمران منعقدان بأن يؤمن الانسان بالله وباليوم الآخر وأن يأتى من الاعمال ما هو لصلاح الدنيا والآخرة فمن فعل هذا فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا حزن لا فرق في ذلك بين من كانوا على ملة ابراهيم ومن كانوا على دين غيره من الانبياء كموسى وعيسى بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشيء من تلك الاديان . وهذا على نحو قوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) فان الله تعالى (لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبيناً) فما بال أولئك القوم يقسمون رحمة ربك فتقول اليهود ليست النصارى على شيء وتقول النصارى ليست اليهود على شيء . ثم ما بالهم خالفوا دين الله بعد اذ

تبينت لهم الآيات وتجلت لا بصارهم الادلة فقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم هم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه وانما هم بشر ممن خلق يغفر لمن آمن منهم وعمل صالحا ويعذب من أشرك به غيره وسعى فى الارض فساداً (والله لا يحب المفسدين)

ولقد ذهب المفسرون فى تأويل الصابئين مذاهب شتى والذى يظهر ان المراد الخارجون عن دين ابراهيم وموسى وعيسى من أصحاب الملل والنحل الاخرى مما جاءت به النذر الخالية في مشارق الارض ومغاربها (وان من أمة الا خلا فيها نذير). ذلك أن الله تعالى أرسل من الرسل واصطفى من الانبياء من لم يقص على رسوله منهم الا النذر القليل (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فمن آمن من هؤلاء بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهو كغيره من أرباب تلك الملل المذكورة آنفا (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). فلا ميزة لاحد من أهل دين على غيره من أهل دين آخر مادام جميعهم يقولون بالتوحيد ويؤمنون باليوم الآخر ولا يفسدون فى الارض

قد علم مما أسلفنا المراد من تلك الآية طبقا لما يدل عليه نظامها ووضعها وللمفسرين فى بيانها وبيان أسباب نزولها أقوال: فمن ذلك أنها نزلت فى أصحاب لسلمان الفارسى رضى الله عنه كان يصحبهم فى الجاهلية فقال له أحدهم ان زمان نبي قد أظل فان لحقته فآمن به وقد كان رأى منهم عبادة عظيمة وايمانا وثيقا فلما بعث الرسول عليه السلام جاءه ثم قص عليه من خبرهم فنزلت هذه الآية. وقد روى عن ابن عباس أنها نزلت فى أول الاسلام ثم نسخ ماقدر من ذلك بقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يتقبل منه وهو فى الآخرة من

الخاسرين) وللقوم هنا كلام كثير غير هذا فحسبك ماقدمناه لك في صدر الكلام من التفسير (وإذْ أخَذْنا مِيثاقكم ورَفعنا فوقكم الطُّور خُذُوا ما آتيناكُمْ بِقُوَّةٍ واذكُرُوا مافيه لعلَّكُمْ تتقُون . ثُمَّ تولَّيْتُمْ مِنْ بعدِ ذلك فلوْلاَ فضلُ اللهَ عليكُمْ ورحمتُهُ لكُنتمْ من الخاسِرين)خلق الله الاناسي وأعد عقولها لادراك الادلة الناطقة بوجوده الدالة على بالغ قدرته وعلى حكمته وكذا على صدق أنبيائه ورسله «١» فبذلك العقل الذى جعله الله مناط التكليف وآلة الادراك والتفكر وبما أعد له من الادلة والحجج التى تنطق بها آثاره الشاخصة علويها وسفليها.

ومامن آية من آيات الكتاب العزيز ورد بها الميثاق وأخذ الله اياه الا كان المراد بها ماذكرنا هنا فلا ينبغي ان يعني بما يطيل المفسرون من التأويلات فى أمثال هذه الآية

وخلاصة القول ان الله تعالى أراد ان يذكر بني اسرائيل بما كان منهم اذ كشف لهم الحقائق وأقام لهم الادلة والشواهد فلقد رأوا بأعينهم موسى يناجى ربه على جبل الطور«٢» حيث كلمه الله تعالى وأوحى اليه بألواح التوراة فيها هدى ونور وموعظة للمتقين

كانوا اسفل ذلك الجبل ينظرون الى موسى شاخصة أبصارهم وجلة قلوبهم وقد أشرفت عليهم قُنّتُهُ حتى كان كأنه ظُلّةٌ وظنوا انه واقع بهم.

رأوا ذلك رأى العين فلم يكن حديث موسى اذ ناجاه ربه وأوحي اليه بكتابه المقدس حديثا يفترى أو رواية أمر غائب عن الشهود على أنهم مع

(١) راجع الجزء الاول من تفسير أبي حيان (٢) تفسير القرطبي.

ذلك تولوا وأعرضوا بجانبهم كان لم ترأبصارهم ولم تسمع آذانهم ولم تفقه قلوبهم رأوا ذلك بأبصارهم فما كان لهم على الله من حجة اذ أمرهم أن يأخذوا كتابه بقوة فيعتصموا بحباله وليهتدوا بآياته ويقيموا تكاليفه وحدوده والا ينسوا ما أودعه من الآداب المطهرة للنفوس والاحكام الكفيلة بنظام الحياة فان الذكرى تنفع المتقين والغفلة مرتع الخاسرين (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (ولقد يستنبط المتدبر لهذه الآية الكريمة ان بركة الكتب المقدسة انما تكون باتباع مافيها من الاحكام والتجمل بما تحويه من الآداب ومكارم الاخلاق. ولا جرم ان تلك الغاية التي هي المقصود بالذات من وحي الله وتعاليمه التي ينزلها على قلوب أنبيائه الطاهرين ورسله المصطفين فأما مابين دفتي تلك الكتب من النفوس والصور الرسمية فان من الخطأ اعتقاد أنها تدرأ عذاب الله عن العاصين أو تجلب الخير للقاعدين الغافلين)وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

ومن هذا القبيل ما رواه الترمذي عن جبير بن نضير عن أبي الدرداء قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره الى السماء ثم قال هذا أوان يختلس فيه العمل من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء فقال زياد بن لبيد الانصاري كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا فقال ثكلتك أمك يازياد ان كنت لأعدك من فقهاء المدينة. هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى . فماذا تغني عنهم ؟ بذلك علمنا الرسول الامين انه لا يغني عن الناس الا تدبر كتبه واتباع ما جاء بها من

الحدود والعمل بما تحويه من مكارم الاخلاق . فأما اذا عطلت فلم يحفظ منها الا رسمها ولم يدخر منها الا رسمها فما هى بالتى تغنى فتيلا عن معطليها أولئك الذين يسيئون تأويلها أو ينسبون ما فيها . فليتدبر هذا من يدعون الاسلام زوراً ويزعمون أنهم فى منجى من العذاب ما داموا يدخرون المفضض والمذهب من المصاحف وفى مأمن من الحريق مابقى البخارى فى مساكنهم وان مغفرة الله ورحمته تجلب بأستئجار حفاظ القرآن ليرتلوا شيئاً من سورة بكرة وعشيا . وليفقه تعاليم القرآن من يظلمون يسلبون وينهبون حتي اذا تخمت بطونهم بالاسلاب ودنت أرواحهم من الحناجر حبسوا شيئاً مما غصبوه للضعفاء والمساكين فوقفوه على التكايا أو على قراء القرآن لدى مقابرهم زاعمين ان ذلك يكفر عنهم من سيئاتهم أو يخفف عنهم من عذابهم . ولو أنهم تدبروا الكتاب الذى بين أيديهم لرأوا فيه (من يعمل سوءا يجز به) . (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ولو أنهم تدبروا شريعة المصطفى لعلموا ان حقوق العالم لا يكفرها الا ردها الى أهلها أو تنازل هؤلاء عنها وكم من عنق مطوق بحقوق العباد وأيد ملوثة بالجرائم والآثام وقلوب فى أكنة من ظلمات الغفلة عن الله وعن مراقبته . فما ذا عسى ان يدرأ العذاب والنكال عن أصحاب تلك الجوارح الخاطئة سوى توبة الاعتبار والتفكر فيما تحويه الكتب المطهرة من العظات والامثال وما تدعو اليه آياتها من العدل والاحسان .

على أنه لو يعجل الله لليهود الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم ولكانوا من الخاسرين لخيري الدنيا والاخرى ولكن الله أرحم من يحارب من جاهروا بعدوانه وبطروا نعمته فهو جدير أن يملي لهم لعلهم يفقهون

ويزيدهم احساناً لعلهم يشكرون . ولولا ان الله كان سريع الانتقام في الدنيا لما أرخى الاعنة لبني اسرائيل يمرحون في الارض فرحين بما ملكت أيديهم من المال الوفير والخير الكثير بعد اذ كفروا بانعم الله ونقضوا ميثاقه وقتلوا بالباطل أنبياءه وبعد اذ أكثروا من الدل على رسلهم والتشدد في طلب الآيات الخارقة ولذيذ المطعومات وغير المياه فيما كلفوا من الاراضي المرملة المقفرة . ولكن الله تعالى حليم لا يعجل فلقد ضاعف لهم الاحسان وعمهم ببركة فضله ولولا فضل الله عليهم ورحمته بهم لكانوا من الخاسرين

سيقت هذه الآية في معرض تذكير بني اسرائيل بما فعل الله تعالى معهم اذ لطف بهم وأسبغ عليهم فضله ورحمته بينما هم مخالفون لعهوده ناقضون لمواثيقه معرضون بجانبهم عما أرادهم عليه من مكارم الاخلاق وصالحات الاعمال .

ولما كانت النفوس قد لا يكسبها الغنى ألا البطر وكفر النعمة لا سيما نفوس أمثال أولئك الخسرة المعاندين حسن أن نقرن آيات الامتنان وسرد النعمة بآيات الروع والزجر والانتقام والتنكيل حتى تأخذ كل نفس من فنون التذكير والتهذيب ما يشاكلها ويناسب أطوارها لذلك اتبعت الآية التي نحن بصدد وشرحها بقوله تعالى

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ

حرم الله على بني اسرائيل فيما ورد في الآثار صيد الحيتان والاسماك في يوم السبت امتنانا لقوة ايمانهم وتذرعا الى اظهار مبلغ ما يدعونه من الاستمساك بالدين والانقياد لما جاءتهم به الصحف السماوية من الآداب

والتكاليف الآلهية (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)

فماذا فعل أولئك المبطلون؟ أرادوا أن يسلكوا طريقا من الضلال لا يهتدى اليه العامة من الناس ظاهره الانقياد والخنوع لله تعالى وباطنه عصيان أمره دون حذر ولا استحياء عمدوا الى طريق الحيل فجعلوا يصورون أعمالهم المنكرة فى صورة يفرون بها من النقد والتجريح . قصدوا الى ابتداع طريقة يلبسون فيها الامر على الناس وما دروا من جهلهم انهم يخشون الناس والله أحق أن يخشوه . صبغوا قبيح أعمالهم بالوان الشريعة التي يدينون بها يستخفون بذلك عن الابصار وما علموا ان الله معهم أينما كانوا وكيفما تشكلوا. أرادوا أن يخالفوا أمر خالقهم انقياد الشهوات نفوسهم واطاعة لارادة ميولهم فاتخذوا الحيل الشيطانية زاعمين أنها تحجبهم عن أعين من يعلم سرهم ونجواهم. جعلوا يبتدعون ما تسول لهم نفوسهم من الوسائل كي يتمكنوا من صيد الحيتان وأكلها دون ان يظهر للعامة مخالفتهم لتعاليم دينهم فمنهم من كان يعمد الى جزء من الماء فيقيم فى طريق مجراه سدا مثقبا لا يحول مرور الماء من خلاله حتى اذا لم يبق الا ما كان فى ذلك الماء من الاسماك قبضوا عليه بأيديهم فاذا ماسئلوا فى ذلك قالوا انما حرم علينا صيده يعنون بطرق الصيد المألوفة بينهم . ومنهم من كان يعمد الى أساليب شتي في هذا السبيل وما مغبتها الا الحصول ما منعوه من الصيد

ولقد نجحوا فى التعمية والتغرير ومخادعة الجاهلين ولكن هل أغناهم ذلك

من دون الله نقيراً أو فتيلا ؟ اكتسبوا بتلك الحيل كثيراً من مآربهم واستمتعوا بدنئ شهواتهم ولكن هل سلموا من بطش الله وعقوبته ؟ وهل استطاعوا أن يختفوا بقبيح عصيانهم عن العين التي لا تنام ولا تغفل ؟ كلا فلقد أصابهم السوء بما كسبت أيديهم كما ضربت عليهم الذلة والحقارة . ذلك أن الله تعالى بعد أن بيّن لهم المحجة ووضح لأبصارهم سبل الحق وحذرهم أن يخالفوه متسترين بشفاف أثواب الحيل والتمويه كيلا يكون لهم عليه من حجة ابتلاهم بتحريم الصيد فى السبت فيما خضعوا لشهواتهم وتبرموا بالحيل من انقيادهم لأمر بارئهم واستخدموا مواهبهم العقلية فى تدبير الاساليب والمخارج التي يتسللون بها من دائرة تكاليف دينهم كتب الله لهم أن يكونوا فى حياتهم لا كالانسان يفكر ويقدر ويفعل ما يقضى به عقله السليم الانسانى بل كالقردة يخيل الى رائيها أنها ذات عقل رشيد وفهم ثاقب وان هى الا حيوان كل ما يجيده ويتقنه انما هو المحاكاة والتقليد بذلك كتب الله لهم أن يكونوا حيث أنزلوا أنفسهم حيواناً ليس له من التفكر والتعقل ما هو من شأن الانسان العاقل المفكر بل قردة يحاكون ويتشبهون على أنهم فوق ذلك في ذل خالد وضعة أبدية . صب الله عليهم تلك العقوبة لتكون نكالا لما بين يديها من المارقين الذين انتهكوا حرمات شريعتهم واستهانوا بتعاليم دينهم وحاولوا أن يتغفلوا علاّم الغيوب ويحتجبوا عن أعين الذى لا يخفى عليه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم . وكذلك جعلها الله نكالا لما خلفها ممن اقتفوا آثارهم وعطلوا مواهب ربهم فهم دائماً قردة خاسئون أذلاء ليس لهم من الانسانية الا صورة الانسان وشكله . أما أنهم قردة فلما علمت واما أنهم خاسئون أذلاء فذلك لأنهم هبطوا عن مرتبة

الانسان فاستحقوا ألاّ يعيشون معه في منزلة واحدة وان شاركوه في صورته وشكله . ذلك تأويل هذه الآية فيما نرى فلم يكن الامر في قوله (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تكوين كما ظنه بعضهم وانما أريد منه أن يكونوا في المنزلة التي ارتضوها لأنفسهم وهبطوا اليها بارادتهم وهي ألاّ يكونوا أناسيّ في تصرفاتهم وأفكارهم وعقولهم بل أن يكونوا قردة لا يجيدون الا المحاكاة والتشبه ذلك مثلهم في القرآن الكريم

قال مجاهد انهم لم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم (١) وحكى عن مجاهد أيضاً انه مسخت قلوبهم حتى صارت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تعي زجرا اه وهذا لا يكاد يخرج عما بسطناه آنفا وروى مسلم عن ابن مسعود ان الرسول عليه السلام قال لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ فقال ان الله لم يهلك أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك . (٢) هذا وليحذر طلاب الحقائق ان يغتروا بالمفتريات الاسرائيلية التي تشغل بها المفسرون هنا صحفهم فانها كذب لم يصح شيء منه رواية ولا دراية

وفي هذه الآية عظة للمتقين الذين يخشون الله فيقفون عند حدوده ويصدقون زواجره وتواعده فلا يحومون حول المنكرات والمناهي التي أبلغهم اياها على لسان رسله وبينها لهم في ألواحه وكتبه

ولقد كان علماء الاسلام وأئمته أحق الناس بأن يتعظوا بتلك الآية

« ١ » أنظر تفسير أبي حيان « ٢ » لقد أسرف المفسرون هنا في نقل أكاذيب لاسرائيلية حتى أنهم جاءوا بما لا يقبله العقل ويؤيده النقل مما حمل عامة الناس على اعتقاد أانه من الدين الحنيف وحمل النابتة المفكرة علي اساءة الظن بالقرآن الكريم وقصصه . ولو اتقى الله أولئك المفسرون أو لو أنهم استوثقوا مما ينقلون وتحروا الصواب فيه لما جنوا على الاسلام هذه الجناية المشئومة

ويعتبروا بما أصاب بنى اسرائيل بسبب ماارتكبوا من مخادعة الله فى الظاهر ومحاربته فى الخفاء ولكنهم اتبعوا سنة بنى اسرائيل قديما وحديثا فلجاؤا الى الحيل وجعلوها من أبواب الدين وتعاليمه حتى انهم ليعقدون الابواب والفصول تحت عنوان (الحيل الشرعية) فيقصون على الاغرار من مستمعي أقوالهم ومصدقى أحكامهم ما الشرع منه برئ. يقصون عليهم الكثير من أساليب الحيل والمخادعات التى عذب بنو اسرائيل بواحدة من أشباهها. ولو ان الادعياء من علماء الاسلام عرفوا الله حق معرفته وقدروه حق قدره لما سلكوا معه ذلك المسلك الذى لا يكاد يروج حتى على الاغرار الجاهلين من الناس فعسى ان يكون فى أمثال تلك الآية الكريمة مزدجر وعظة للغافلين عن كتابه الجاهلين لاسرا دينه التابعين لسنته من كانوا يحاربون الله من وراء ستار الحيل وينالون جميع شهواتهم ومآربهم بتغفل من حولهم من الناس ولنا عودة الى موضوع (الحيل)

هجرة الاستاذ

والهلال العثماني

اذا تعلقت النفوس بامرئ كثر التساؤل عنه ولهجت الالسنة بذكره فاندمج فى المتحدثين عنه بعض الشانئين . ولكل ذي فضل حسود يتقول عليه الاقاويل ويعزو اليه الاباطيل . غير أن صفاء السماء فى اليوم السجسج لا يكدره العثير يتطاير من تقلب البرذون . وقد أذاع بعض الذين أكلت الحفيظة صدورهم من الحسد ان حضرة الاستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز جاويش غادر هذه البلاد خيفة أن يناله من الحكومة مكروه . وانه نسي مصر فلم يعد يهزه اليها الشوق فيذكرها فيخدمها . كبرت كلمة تخرج من أفواههم انهم ليخرصون

ما نسى الاستاذ هذا البلد ولا هاجر منه فراراً من الميدان الذى كان فارسه المعلم ولكنه فكر فدبر وما رأى الا الحق الذى لا ريب فيه فصحت عزيمته على أن يتوسط الميدان بعد الجولان فى أحد أطرافه فشد رحله الى دار الخلافه الاسلامية وهنالك نشر الهلال العثمانى تلك الصحيفة التي وطن النية على أن يخدم بها الاسلام وما مصر الا من بلاده . وسيرى المصريون الشيخ غائباً كما كانوا يرونه حاضراً يناضل عنهم ويطالب بحقوقهم ويهاجم مغتصبيها بما عرفوه فيه من القوه . وفى الهلال العثمانى يخدم الدولة العلية خدمة يعلم المصريون أن قسطهم من فوائدها وافر . وهل يجحدون حنين الاستاذ الى الدولة أيام كان بين ظهرانينا يكتب عنها ما يشفى الصدور .

انه انما تحول الى دار الخلافة ليجد من المجال متسعاً وهى فكرة قديمة طالما عاودته فلما أعد العدة وأيقن أن الامر قد استتب وانه لا شك واجد ما يتمنى من التمكن من تعميم الخدمة للاسلام ودع مصر وداع المحب الوامق وأم أم المدائن الاسلامية فأنشأ هلاله العثمانى وفى مقدمته ما يبدد غياهب الشبهات التى أراد أعداء الحق أن يحجبوه بها لكى لا يعلم محبوه أنه انتقل من وطنه الخاص الى وطنه العام ليخدمهما معاً قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . والسلام على رسوله سيد الكائنات. وبعد فقد ضرب الله للناس الامثال ليبين لهم أن الارض لا يرثها سوى الصالحين لعمارتها من عباده . وابتلى الغافلين من الامم بتوهين الاركان وتنقيض البنيان وفساد الكيان فى البر والبحر ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون . سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولو شاء ربك أن يعدل عن قانون نظام كونه مع أمة ما لكان المسلمون أولى بفيوضاته ومواهبه بعد اذ شرفهم برسالة خير خليقته . ولكنه جل شأنه أرانا بالامثال والعبر أن حياطته اياهم وتأييده لهم معقودان بأن يسلكوا سبيل الهداية ويلتزموا نواميس السنن الكونية فلا يكونون خير أمة أخرجت للناس حتى يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويسارعوا فى الخيرات الصالحات من الاعمال . ثم أنذرنا نار التباغض الحاميه . ورحى الاختلاف الطاحنه . وحذرنا ان نقنع بالتواكل فانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أو ان نعتمد على باطل الامانى وتضليلات الاحلام فان الامانى والاحلام تضليل (ليس

بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه)

ثم لو شاء ربك أن يخالف سننه الكونية مع أحد من الناس لكان أجدرهم بذلك أصفى أصفيائه وسيد أنبيائه فهل فضله بالضعف والخمول وأيده بالجهل والفضول ونصره بالسبح واطالة الذيول ؟ كلا ولكن ملا قلبه باليقين والحكمة وجمل أخلاقه بالكرم والعظمة . وجده ضالا فهداه وعائلا فأغناه ثم علمه كيف يسدد السهام . ويطير الهام . ويحتفر الخنادق . ويمتطى الجياد . ويقود الكتائب . ويخترق الصفوف . وينازل الالوف . علمه كيف يأخذ الحذر ويتدبر العواقب . وكيف يكون شديداً فى لين . وعظيما فى تواضع . وعدلا فى رحمه .

علمه الصبر على المكاره واتباع أولى العزم من الرسل فلم يثنه عن شريف مقاصده ما طالما لحقه من أذى الجاهلية كما لم يصده عن نبيل أعماله افك الافاكين ولا استهزاء المستهزئين . بل كان يدعوهم الى الحق بالحكمة ويجادلهم بالموعظة الحسنة حتى اذا ضاق صدره لعنادهم وابتهل الى الله أن يؤيده بما كانوا يريدونه من غرائب المعجزات. وخوارق العادات. ناجاه ربه الا تذهب نفسه عليهم حسرات . وعلمه أن دين الفطرة لا تؤيده تلك المطالب الجاهلية وانما هو أن يدعو الى الحق على بصيرة (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) وأن يتلو عليهم كتابا يهديهم الى سعادتى الدنيا والآخرة

« أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » بتلك الآداب الالهية والتعاليم القدسية سار الرسول الفطرى فى سبيله مهتدياً هادياً مصطبراً غازيا يقرع الحجة بالحجة

ويفل الحديد بالحديد ويقهر الابطال بعنيف النزال . ولقد كان يتساقط عليه اذى قومه فلا يزيده ذلك الا قوة فى العزم وثباتا فى القلب وشدة فى المعارضة ومضاعفة فى الاقدام . فلم يحزن لما كان من فقره ولم يهن لوحدته وضعفه . ثم لم يثنه عن تأدية دعوته ان قومه كانوا كثيرى العدد وفيرى المال شداد البأس يرسل احدهم صوته فى الفضاء فيتسابق اليه الفرسان والرجال متخطفين بكلمة يطلقها لسانه أرواح الابطال

ولولا ذلك ما كان فى مقدمة ما منّ الله به على رسوله سليمان وقومه أن علمه صنعة الدروع السابغة ليقيهم بها شر السهام المسنونة والسيوف القاضية فهى من وحيه والهاماته التى أراد أن يؤيد بها دينه وينصر أصفياءه وخاصته قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) بلى قد علمه ذلك وجعله من أجل أنعم الله عليه وعلى أمته بعد اذ أسال له عين القطر والهمه كيف يقدر في السرد ويجيد صنعة حلقات الدروع وكيف يحكم وضعها ويقي بها أنصاره واعوانه غارات اعدائه وجاحدى تعاليمه القدسية (والناله الحديد ان اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير .)

تلك هى سنة الله التى اختطها لكونه ورسمها لخلقه فلا عجب اذا رأينا مجوس اليابان باتباعها سادة الشرق وقاهرى دولة الروس الفخمة العظيمة . كذلك لا عجب اذا رأينا ما حاق بالمسلمين من الحشرات منذ عدلوا عن مجاراة السنن الكونية وغفلوا عن نواميس الحضرة الالهية

ولقد لطف الله بعباده المسلمين بعد اذ كادت المكايد تستأصلهم والغفلة تلحقهم بالامم الخالية فاراهم من آياته ما زحزح الاغشية عن أبصارهم وفتح

الإقفال عن قلوبهم فهم اليوم ينفضون عن أنفسهم غبار القبور ويمزقون عن أجسادهم اكفان الموت وسيحيون تلك الحياة التى يذكرها التاريخ لسلفهم الصالح أيام شمل سلطانهم الخافقين واشتدت أنوار عدلهم وحضارتهم فى المشرقين

ولقد يتطير بعض الناس بفارس وبلاد المغرب الاقصى اذ انتقضت صروحهما وانهارت أركان استقلالهما فهم يخشون ان تفرغ دول أوروبا بعد ذلك لدولة الخلافة صانها الله تعالى

أما نحن فعلى العكس من أولئك المتطيرين فان الاسلام ما انبنى الا على دعامة واحدة وهى التوحيد فاذا وجد التوحيد فى السياسة كانت سلامة العالم الاسلامى كما انه اذا وجدت عقيدة التوحيد وجد الاسلام ، ذلك أن كثرة الادعياء من الخلفاء والامراء يكسب المسلمين الفشل ويوقع العداوة والبغضاء بينهم حتى اذا اشتدت فيهم الفتن والدسائس أوقدوا نيران المنازعات ثم انقلبوا لها حطبا ثم لا يزالون يتناطحون ويتقاتلون على مرأى ومسمع من اعدائهم الاقوياء المستيقظين حتى يتهافتوا ويتساقطوا غنيمة لكل آكل ونهبا لكل ناهب وما عهدنا بابى حمارة وأبى عمامة وأشباههما من الجهلة المف..دين بالعهد البعيد

ولقد كنا نتمنى أن يكتب الله لملجأ الخلافة العظمى السلامة من شر الاختلاف ولكن أبت المقادير الا أن يقوم رجال لا نعتقد فيهم الخيانة لبلادهم أو البغض لدولتهم أو الرغبة فى زوال استقلالهم ولكنه لرأى فيما

نعتقد ذهابهم الى بعض الحركات الخلافية التى قد أولت اما خطأ أو صوابا بأنها غير ملائمة للاحوال الحاضرة .

ونحن مع احترامنا لحرية القول وحرية الفكر لا يسعنا الا الجهر بأن الحزم كان يوجب لا سيما على المخلصين منهم أن يعتبروا بما تفعله الامم الاخرى فلقد رأينا حديثا كيف اجتمعت الاحزاب الايطالية على باطلها وظاهرت حكومتها على ما جاءته من العدوان الشائن والحرب الوحشية ثم رأينا كيف هنأ نواب تلك الدولة كنيفا ذلك الزعيم الذى جاء من صنوف الغلظة والفظاعة فى معاملة أهل طرابلس ما لم تأته الامم المتبربرة والوحوش الكاسرة

اننا لا نرمى بهذا الى استهجان الاجتهاد والاستقلال بالرأى أو الى استقباح مخالفة غير المصلحين من القائمين بالامر فى الامم كما لا نريد أن نقول ان الحزم يقضى بالكف عن مناقشة ذوى الحل والعقد وانتقاد أعمالهم ولكن للنصح طرقا لا تجامع التشهير والتجريح وأساليب لا تنافر الحكمة والسداد

ولقد حللنا منذ شهرين عاصمة الاسلام العظمى فرأينا أن أكثر ما يشاع من الانباء المنفرة والقصص المكدرة لنفوس المخلصين لدولة الخلافة الحريصين على سلامتها انما سببه ما يسمى بسوء التفاهم الواقع بين الاحزاب والشعوب ثم التحريف والتبديل فيما يروى من الاحاديث والحوادث ثم المسخ والتشويه لما يضمره القابضون على أزمة الاعمال .

ولقد أبصرنا آثار ذلك التنافر بادية فى الشعوب النائية عن مقر الخلافة البعيدين عن الاسباب التى بها يتعرفون حقائق الشؤون الادارية والسياسية.

لهذا رأينا ان ننضم الى صفوف المجاهدين فى سبيل التوفيق والاصلاح فعقدنا النية على اصدار هذه الجريدة راجين من الله تعالى ان يجعلها نبراسا تتبين به الحقائق النافعة والعظات المفيدة

وما نحن بحمد الله من أولئك الذين تأخذهم فى الحق والعدل صولة الصائلين ولومة اللائمين

وما كانت هجرتنا الي دار الخلافة خوفا من أمير ، أو فراراً من خطر كبير ولا كانت اقامتنا بها طمعاً في مال أو طلب الوظيفة ولكننا نزلنا فى أقوام يقيمون العدل ويحترمون الحرية ويؤيدون الحق ويحمون الدستور: نزلنا فيهم ثم وقفنا حياتنا على تأييدهم ماداموا على الحق ونصحهم بالحسنى ما سقطوا فى هفوة من الهفوات .

وما أنا بالذى يترك بلاده التى ولد بها وتكون من ترابها عقوقا لها وجحودا لفضلها فقديما هاجر الرسول عليه السلام من مكة مسقط رأسه ومنبت جسمه ومبدأ وحيه ثم عاد اليها يوم نسخت آية هديه ظلمات الشرك ورفع أنصاره من أهل المدينة رايات المساواة والحرية والعدل وحديثاً رأينا احرار العثمانيين فى أوروبا وغيرها يكتفون بالخبز القفار وقد يطوى أحدهم الليل والنهار على الجوع ثم هم اليوم فى ربوعهم آمنون وبثمرات اعمالهم فرحون مستبشرون . على انى ان تركت اليوم مصر الى مقر الخلافة فانما تركت وطنى الصغير لاخدمه فى جملة ذلك الوطن العظيم الذى يضم مصر بين جوانحه وليسعدها برقيه وسعادته ولقد عزمنا على أن تكون صفحات الهلال فى الشهر الاول من وجوده أربعاً احداها تركية ثم نزيد فيها حتى ينقلب الهلال بدراً كاملا ان شاء الله تعالى وسنقف علي هذه الجريدة جميع

ما وهبنا الله من العلم والعمل والمال فى سبيل خدمة الامة العثمانية والعالم الاسلامى عامة كي نقضى بذلك بعض ما وجب علينا لله ولرسوله ولكتابه الكريم تلك آمالنا التى نرجو من الله تحقيقها

وما كان ينبغى لاحد أن يتهجم فيرمي جريدة الهلال بما رمى قبل تخلقها وظهور شيء من آثارها الصالحة ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم

عبد العزيز جاويش

الزكاة فى الاسلام

ظهر الدين الاسلامى فى وقت اشتد فيه ظلم الرؤساء وتعاظمت فيه سطوة الاقوياء . فكانوا لا تأخذهم شفقة على بائس . ولا تستلين قلوبهم رقه على ضعيف . فلما أشرق نوره بدد عنهم ظلام تلك الجهالات . وأرشدهم الى أوضح سبل الهدايات ، بما افترضه عليهم من العبادات وسن لهم القوانين التى نقلت العالم من ظلام حالك الى نور عم الامصار . ويقين ملأ القلوب .

والعبادات منها البدنية ومنها المالية فمن أجل العبادات المالية الزكاة . وهى ركن من أركان الاسلام ذكرها الله عز وجل فى كثير من القرآن الكريم مقرونة بالصلاة فقال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم »

وقال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو

مولاكم » الى غير ذلك فى كثير من الآيات ولا تكاد توجد آية ذكرت فيها الصلاة الا قرن ذكرها بالزكاة

ولقد ورد فى صحيح البخارى كثير من الاحاديث التى يوجبها وتنذر مانعها بعذاب واقع . ما له من دافع قال « حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن زكريا بن اسحق عن يحيي بن عبد الله بن صيفى عن أبى معبد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مُعاذاً الى اليمن فقال له أدعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه « يعني شدقيه » ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا لا يحسبن الذين يبخلون الآية »

والحكم فى ايجاب الزكاة أمور بعضها يرجع الى معطى الزكاة وبعضها الى آخذ الزكاة فمن الامور التى ترجع الى معطى الزكاة

« ١ » ان الاستغراق فى حب المال يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالكه باخراج طائفة منه ليصير ذلك الاخراج كسرا من شدة الميل الى المال ومنعاً من انصراف النفس اليه وتنبيهاً لها . على أن سعادة الانسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال وانما تحصل بانفاق المال فى مرضاة الله تعالى فايجاب الزكاة علاج صالح

متعين لازالة مرض حب الدنيا عن القلب فالله أوجب الزكاة لهذه الحكمة وهو المراد من قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) أى تطهرهم من الاستغراق في طلب الدنيا

«٢» ان كثرة المال توجب شدة القوة وكمال القدرة والاسترسال فى الشهوات. والانغماس فى الملذات. وهى تدعو أن يتهالك الانسان فى حبه. ويتفانى في طلبه فقطع الله عليه ذلك بصرف جزء منه فى مرضاته ليصرف النفس عن طريق الظلم الذى لا آخر له ويقبل على عبادة الله ورضوانه

«٣» ان الخلق اذا علموا أن الانسان ساع فى ايصال الخير اليهم ودفع الاذى عنهم أحبوه ومالت نفوسهم اليه لا محالة وقد قال عليه السلام «جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها» فالفقراء اذا علموا أن الرجل الغنى يصرف لهم طائفة من ماله وأنه كلما كثر ماله زاد ما يصرفه لهم من ذلك المال أمدوه بالدعاء له وهذا ما يشير اليه الحديث الشريف حصنوا أموالكم بالزكاة

«٤» ان المال غاد ورائح وهو سريع الزوال مشرف على التفرق فاذا أنفقه الانسان فى وجوه البر والخير بقى بقاء لا يمكن زواله واستحق من أجله الشكر الدائم فى الدنيا والثواب المقيم فى الآخرة

«٥» اخراج الزكاة يوجب حصول الالفة والمودة بين المسلمين وازالة الأحقاد من صدورهم فلا يبيت فقير لغني شراً ولا يحمل له حقداً كل هذه الامور تعود على مخرج الزكاة

والفائدة التى تعود على من يأخذ الزكاة فهى

«١» ان المال الفاضل عن الحاجة الاصلية اذا أمسكه الانسان بقي

معطلا عن المقصود الذى لأجله خلق المال وذلك سعى فى المنع من ظهور حكمة الله فأمر بصرف جزءمنه الى الفقير حتى لا تصبر تلك الحكمة معطلة

«٢» أن الفقراء عيال الله والاغنياء وكلاؤه على أمواله التى في أيديهم وديعة فاذا ما صح هـذا فليس بمستبعد ان يقول الله لوكلائه على ماله انفقوا جزءاً من تلك الاموال على المحتاجين من عبيدى

«٣» ان الشرع لمـا أبقى فى يد المالك اكثر المال وصرف للفقير منه جزءاً يتمكن المالك من جيد ذلك النقصان بالاتجـار وغيره من طرق الاستثمار . أما الفقير ليس له شيء أصلا فلولم يصرف اليه ذلك الجزء من أموال الاغنياء لبقى معطلا وليس له ما يجبره فكان الاولى ذلك

«٤» أن الاغنياء اذا لم يقوموا باصلاح شؤون الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة ومضرة المسكنة على اقتحام الافعـال المنكرة كالسرقة والقتل وغيرهما من ضروب الايذاء التى يتجشم الجائع من أجلها كل هول ويستحل كل محرم ويفعل كل محظور

«٥» كأن الله تعالى يقول للفقير ان كنت قد منعتك الاموال الكثيرة ولكنى جعلت نفسى مديناً من قبلك وان كنت أعطيت الغني أموالا لكنى كلفته أن يعدو خلفك حتى تأخذ منه ذلك القدر فتكون كالمنعم عليه بان خلصته من النار فان قال الغنى قد أنعمت عليك بهذا الدينار قل أيها الفقير انا المنعم عليك حيث خلصتك فى الدنيا من الذم والعار . وفى الآخرة من عذاب النار

(توزيع الزكاة)

قال الله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

قال أبو يوسف فى كتاب الخراج أما المؤلفة قلوبهم .فقد ذهبوا وأما العاملون عليها « أى الصدقة » فيعطيهم الامام من غير سرف ولا تقتير وبقية الصدقة للفقراء والمساكين سهم وللغارمين وهم الذين لا يقدرون على قضاء ديونهم سهم وفى أبناء السبيل المنقطع بهم سهم يحملون ويعانون وفى الرقاب سهم فى الرجل يكون له أب مملوك أو أخ او ما أشبه ذلك فيعان في شرائه ومن هذا النظام البديع تعلم أن الامة الاسلامية انما سادت فى صدر حياتها الاولى بالعمل بهذا وأشباهه من قواعد الاسلام التى ترمى كلها لغرض واحد وهو سعادة المسلمين

ولو استمروا بالعمل بما في الكتاب الكريم ولم يحد أولياء الامور عن هذا النهج القويم لما عرف فرد من أفرادهم شقاء الحياة التى تعانيها الطبقة النازلة الآن

(الزكاة أحد أركان الدين وتعطيلها هدم للدين)

الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة . وقد قاتل عليها أبو بكر رضى الله عنه أهل الردة وليس المراد أنهم ارتدوا عن دين الاسلام بل اعتبرهم مرتدين لتركهم ركناً من أركان الاسلام وهو الزكاة وترى الآن أن هذا الركن قد تهدم عند المسلمين والذى هدمه انما هم بعض المتسمين بسمه أهل

العلم بوضع حيلة يزعمون أنها تبرئ ذمة صاحب المال من أداء الزكاة عنه وهى أن يهب ماله حين ما يحول الحول شخصاً آخر ثم يستوهبه اياه ثانية منه ويالها من حيلة لم يكف صاحبها الاثم بترك ركن من أركان الاسلام حتى اجترح اثماً آخر وهو اثم الاحتيال على دين الله القويم الذى يبرأ الى الله ممن يتنكب عن طريقه المستقيم ويتحكم فيه بعقله السقيم

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

« م »

متفرقات وشذرات

(الجرائد فى أمريكا) من اطلع على أحوال الجرائد الامريكية في السنوات الاخيرة يوقن بأن سيكون لها مستقبل باهر بعد قليل من السنوات فان الجرائد الكبيرة منها قد رتبت ادارتها على نمط غريب جدا اذ لكل جريدة معمل للورق الخاص بها وقطرات مخصوصة للسكك الحديدية وسفن لنقل الاخبار والجرائد وتوزيعها على المشتركين وخطوط تلغرافية خصوصية لاستجلاب الاخبار من أقاصى البلدان وفى عزم البعض من رجال السياسة والتحرير هناك حصر أخبار العالم في ادارة للاخبار ينشؤونها ففيها تعرف أحوال العالم وأخبار التقدم فى العلوم والفنون وكل ما يهم الانسان وستكون لتلك الادارة جريدة تطبع في آن واحد بشكاغو و بوستن وفى فيلادلفيا وسان

فرنسسكو وبعض مدائن أوروبا الشهيره بحيث أن ما تتضمنه احداها تنشره الاخرى في اليوم نفسه

(الجرائد في العالم) يطبع في أرجاء المعمورة ٥٠٠٠٠ جريدة منها ٢٠١٦٩ فى الولايات المتحدة و٦٣٠٠ في فرنسا و٦٠٠٠ فى المانيا و٨٠٠٠ في انكلترا و٢٠٠٠ فى اليابان و١٥٠٠ في ايطاليا و١٢٠٠ فى النمسا و١٠٠٠ في أرجاء آسيا ماعدا اليابان و٨٥٠ في أسبانيا و٨٠٠ في الروسيا ومثلها فى أوستراليا و٦٠٠ في اليونان و٤٥٠ في سويسرا و٣٠٠ في هولانده و٣٠٠ فى بلجيكا و١٠٠٠ فى بقية البلدان وفى جهات القطب الشمالى جرائد تطبع منها جريدة اسكيموبولتن التى تنشر فى رأس البرنس دى غال بالقرب من بوغاز بهرن وليس هذا بغريب فقد أنشأ الانكليز مدرسة لهم فى تلك الجهة التى تأتى منها باخرة واحدة فى كل عام وفيها نسخة سنوية من تلك الجريدة مطبوعة على صحيفة واحدة

(الفواق) - الفواق ينشأ من تشنج مجهول الاسباب يصيب الحجاب الحاجز وهو وان يكن سريع الزوال في أغلب الاحوال ولكن قد يدوم بعضها زمناً طويلا ويؤدي الى عواقب خطيرة . وللفواق أدوية كثيرة منها شرب الماء ببطء ولعل هذا والحكمة من حديث

(مص الماء مصاً ولا تعبه عباً) والضغط على المعدة أو على الجزم لاعلى من البطن أو على الصدغين ووضع المكمدات من الماء البارد واطالة العنق بشدة كمن يتشوف للاطلاع على شئ لا يراه وتقوية استنشاق الهواء بسرعة ووضع قطعة من السكر فى الفم مبللة بالخل وضغط بنان ابهام احدى اليدين على بنان الخنصر منها وعمل مثل ذلك فى اليد الاخرى وقد جربوا هذه

الطريقة عند ظهور الفواق فكانت قاطعة له وهناك طريقة أخرى لمن يصيبهم الفواق فى منازلهم وهى الاستلقاء على ظهورهم فوق سطح من الخشب ومد أيديهم الى جهتين متضادتين

(ثياب النساء والجراثيم) — ألصقت بلدية فينا على جدران الشوارع اعلانات مكتوبة بحروف غليظة تنبه فيها على السيدات بأن لا يدعن ذيول ثيابهن تجرّ على الارض معللة هذا التنبيه بأن جرّ هذا الذيل يدعو الى ثورة العثير فاذا كان مختلطا بجراثيم الادواء المعدية لا سيما داء السل الرئوي كان ذلك الفعل منهن سبباً فى اصابة المارة بالعدوى وقد كان السبب في اقرار المجلس البلدى على توسيع هذا المنع أن طبيباً من أطباء العاصمة النمسوية نشر فصلا علمياً ضافياً فى احدى المجلات كشف فيه عن وجوه الضرر من جر الذيول في الطرقات لانه حلل ذيل احداهن تحليلا كيماوياً فظهر له من التحليل أنه أصبح عشاً لمئات الملايين من جراثيم الامراض ولسنا ندرى اذا كانت النساء النمسويات سيرضخن لأوامر البلدية أو يقمن على رعاية الزى القاضى باطالة الذيول ولكن البلدية رجحت ثانى الامرين فقررت الزام المخالفات لأمرها بدفع غرامة تخالها رادعة لهن

(الاميون في البلاد المتمدنة) وضع عالم انكليزى احصاء الاميون فرأى أن سكان رومانيا والصرب والروسيا أكثر أهل أوروبا جهلا وأقلهم مدنيـة وحضارة لان الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة منهم يبلغ عددهم ٨٠ في المائة

أما الاجناس اللاتينية فاكثر أممها جهلاء وأقلهن معرفة والماما بالقراءة والكتابة الامة الاسبانية فان عدد الاميين فيها يبلغون ٦٣ في المائة ثم تليها

ايطانيا بنسبة ٤٨ فى المائة ثم فرنسا وبلجيكا بنسبة ١٤ فى المائة . ويوجد فى هنكاريا ٤٣ فى المائة من سكانها يجهلون القراءة والكتابة وفى النمسا ٣٩ وفى ارلندا ٢١ وفي هولاندا ١٠ وفى انكلترا ٨ وفى الولايات المتحدة « للعنصر الابيض » ٨ وفى القيوسة ٧ أما البلاد الجرمانية فعدد الاميين فيها لا يزيد على واحد فى المائة أما فى اسوج ونروج فلا يوجد من أهلها من يجهل القراءة والكتابة

« نباهة النمل » انقسم العلماء الطبيعيون قسمين فى الحكم على نباهة النمل فى تصرفاته وأعماله فنشرت المجلة الطبيعية الامريكية فصلا للاستاذ ويلر اورد فيه شواهد وادلة استنتج منها أن النمل ليس بذكي وان لا أثر للتصور والتعقل . ولكن ذهب غيره الى ضد هذا الحكم فقال انه شاهد بنفسه نملا يسطو على شجرة كبيرة فيقطع أوراقها ويذهب بها الى منازله ليدخرها فيها فخطر على باله ان يحفر حول الشجرة قناة وعلأها بالماء ليمنع النمل من الوصول الى الشجرة ففعل ذلك وقضى ليلته معتقداً أن النمل لا يمكنه الوصول الى الشجرة لقطع أوراقها كعادته ولكن الذهول تولاه حينما شاهد في الصباح أن النمل أتى ببعض الورق الذى أخذه فى الليالي الماضية والقاه فى القناة بحيث صار كقنطرة بين ضفتيها وأخذ يمر فوقها ويصل الى الشجرة بسهولة كأن لم يكن ماء فجزم بهذه المشاهدة الغريبة ان الرائد للنمل فى أعماله شيء من النباهة والذكاء يفوق الغريزة التى تبني الحيوانات عليها أعمالها

« طوابع البوسطة » لا حاجة الى بيان شغف بعض الناس بجمع طوابع البوستة لا سيما النادر منها حتى أن بعض المجموعات من هذه الطوابع بلغت أثمانها حداً لا يسلم به العقل . ويظهر أن الحكومات الاوروبية أرادت مساعدة

المولعين بطوابع البوستة على اعلاء شأن مجموعاتهم ورفع قيمتها فقررت فرنسا في العام الغابر تغيير شكل طوابعها ونشر طوابع أخرى بشكل جديد وأوصت حكومة بلغاريا معامل بطرسبورج على اصطناع طوابع جديدة برسمها توضع فيها صورة البرنس فرديناند بدلا من صورة الاسد وتعد الحكومة الروسية طوابع جديدة لمناسبة مرور مائتي عام على تأسيس مدينة بطرسبورج عاصمتها واقتدت بها اسبانيا في تهيئة طوابع بصورة الملك الفونس الثالث عشر لقرب الاحتفال بتتويجه أما انكلترا فقد استبدلت طوابعها القديمة بطوابع جديدة رسمت عليها صورة الملك ادوارد السابع . وقررت حكومة سويسره رسم صورة آثارها الفخيمة على طوابع البريد بدلا عن الرموز المرسومة عليها الآن . ومنذ غرة ديسمبر الماضي باعت الولايات المتحدة كمية عظيمة من طوابع البريد التي طبعتها تذكاراً لقتل الرئيس ماكنلي

(قاض عادل) ليت لكل محكمة من محاكم الدنيا قاضياً عادلا طالما جور كاميل أحد قضاة ولاية أوهيو من الولايات المتحدة فانه حفظه الله كان قد أفرط من المسكر ذات يوم حتى ضاع صوابه فعربد في الطريق وأكثر من أعمال الهمل فلما كانت صبيحة اليوم التالي وافتتح جلسة للنظر في شؤون الناس حكم على نفسه بدفع غرامة قدرها خمسة ريالات ثم أخرج هذا المبلغ من كيسه ودفعه الى صراف المحكمة وأخذ وصلا منه باستلامه وأنذر نفسه في الحكم بانها اذا عادت الى غيها وأمرته بالسوء ضاعف الحكم عليها بالغرامة بل ربما زجها في السجن جزاء ما تأتيه من المنكرات التي تليق بمكانتها من السمو والفضل

« البحث عن رجل صالح » في مدينة شيكاغو امرأة مثرية تدعى

مدام نانسى ارفنج تسيء الظن فى الناس وتلصق بهم وصمة الكذب والخيانة فتذكرت ذات يوم ما فعله الفيلسوف ديوجينس الكلبي حيث خرج ذات يوم والشمس فى رابعة النهار وبيده مصباح تيلمس الطرقات كأنه يبحث عن شيء مفقود فى ظلام حالك فلما سأله بعضهم عم يبحث اجاب أننى أبحث عن رجل ولست أجد رجلا ثم قالت لنفسها ان مصباحى الساطع الضياء انما هى دنانيرى الصفراء . ولم تكن الا ساعات حتى نشرت الجرائد السيارة فى تلك المدينة أن مدام نانسي ارفنج تقول ان الفلاح فى الاعمال لا يكون في هذا العصر الا بالمين والتمويه في الاقوال وانها تمنح جائزة قدرها الف دلاو (٢٠٠ج.م) لمن من التجار يقيم الدليل الواضح على انه أمضى شهراً واحداً بدون أن يتدرع بالكذب فى ترويج بضاعته وتقول صاحبة المكافأة أنها لا تخشى خسارة مبلغ المكافأة لأن الصدق فى المعاملة اذا دام شهر أجلب الخراب على صاحبه وجعله فقيراً معدما . فليتنافس في نيل هذه المكافأة من تجار مصر باعة الطرقات وجماعة البقالين وغيرهم ممن يغشون الشارين مرتين مرة في النوع ومرة في الكم

(النساء الطبيبات) يؤخذ من احصائية أمريكية أن عدد الطبيبات الحائزات فيها للشهادة النهائية في العلوم الطبية يبلغ ٨٠٠٠ يؤدين أعمالهن بالجد والنشاط . ويبلغ هذا العدد فى فرنسا ٨٥ فقط ولكن اذا قل عدد الطبيبات فى فرنسا فان ما تثيره من المشاكل السياسية كثيراً جداً .

وفى معية نجاش الحبشة طبيبة ـ ويسرية الاصل قد حازت ثقة النجاشي وقرينته نايتو

الحوادث والأجيال

تاريخ الباطنية

٧

(رأينا في تعاليم الاسماعيلية)

قلنا فيما سبق أن هناك أموراً تحملنا على الشك فى صدق أغلب مانسب الى الاسماعيلية وعددنا منها ما عددنا وليس ذلك منا استبعاداً لما قيل عنهم فى ذاته بل لانه لم توجد مصادر موثوق بها يصح أن يركن اليها المؤرخ المنصف البعيد عن التحيز للطوائف والشيع والا فالاسماعيليون طائفة من غُلاة الشيعة . وغلاة الشيعة لهم من قديم الزمن جنون بآل البيت أخرجهم فيما يقولون عنهم وما يعتقدون فيهم عن أن يعدوا من العقلاء . وهذه أقوال عبد الله بن سبأ رأس الغلاة فى علي رضي الله عنه وفعل علي به من جراءة أقواله أشهر من أن نحتاج لذكرها .

لكن مجرد جواز الشيء وعدم استبعاده وقوعه من المنسوب اليه فى ذاته لا يكفى لصحة النسبة ولا يبرر المؤرخ أمام الذمة والعقل والدين في دعواه نسبة قول الى غير قائله والصاق فعل بغير فاعله .

فاذا انضم الى هذا أن أغلب ما قيل عنهم كتب بيد مدت القلم بعد أن

عجزت عن مد السيف وأسالت المداد حين قصرت عن اسالة الدماء وأملاه جنان لو كشف عنه لوجد مستعرا من نار الحقد والحسد زاد المؤرخ المنصف شكا في صحة النسبة وكان الى التكذيب أميل منه الى التصديق وكان أقل حاله ان يقف مترددا بين النفى والاثبات كما ذكرنا آنفا

وغاية ما يمكننا ان نقوله عن الاسماعيلين واثقين بصحته أنهم طائفة سياسية كانت تدعو الى سل الخلافة من أيدى العباسين وتسليمها بآل على من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق رضى الله عنه

كان لهذه الجمعية تعاليم سرية يسيرها فى الناس دعاة يسيرون تحت ستر الخفاء ويتبع الدعاة — رفاق غير مسموح لهم بالدعوة وقد شابوا هذه الدعوة السياسية بتعاليم دينية تشبه تعاليم الصوفية يؤدون بها دعوتهم ولا شك فى أنها كانت تشتمل على نسبة التنزيه والتقديس لآل البيت — وهكذا جميع الدعاوى السياسية التى وجدت فى الاسلام وكان محورها الامامة حملت على أعناق الدين يسير بها فى كل مكان ويتغلغل بها الى أعناق القلوب

انتشرت هذه الجمعية بواسطة دعاتها فى بلاد الشرق والمغرب وغلبوا على ماذكرنا من الدول حتى أنه فى سنة ١٠٥٨ من الميلاد أخذ الباسيرى بغداد وخطب فيها باسم الخليفة المستنصر من خلفاء الفاطمين وضرب السكة باسمه أيضاً

هذا ما يمكننا ان نجرأ على قوله بالنسبة للاسماعيليين معتمدين فيه على الشواهد الجلية والاسانيد القوية من التاريخ أما دعوي أنهم قوم أرادوا هدم الدين من طريق الدين كما يؤخذ منه مجموع كلام المؤرخين فما لا يكاد يتفق مع الطريقة التى ساروا عليها فى جميع دولهم فانه لم يك من عمدة لهم

فى دعوى الناس الى المهدى من آل على آل الدين فكيف يليق بهم ان يحاولوا هدم ما عليه يعتمدون واليه يستندون على أن الناظر فى الدعاوي الدينية التى نسبوها اليهم مفصلة فى المقريزى ونقلناها عنه لايلبث ان يرى عليها أثر الصنعة والافتراء

ولهذا كان لنا من الحق ان نسائلهم عن مصادرها وعن المرجع الذى يرجعون اليه فيها وان نقول لهم كيف تجمعون بين صدقكم فيما تنسبونه اليهم وبين ما يؤخذ منه من أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص على كتمانه ولا يلقون به الا الى من لم يربهم صدقه لهم ريبة ما وبعد أن يكونوا قد أخذوا لانفسهم أوثق الحيطات من افشاء سرهم وشيوع أمرهم؟

من أين ساغ للمقريزى وغيره أن يصلوا الى مثل هذه التفاصيل التى ذكروها عنهم على أنهم لم يذكروا لنا سندا ولا مصدرا ولا أن فلانا من الناس دخل فى مذهبهم وبعد ان اطلع على دخيلة أمرهم خرج عليهم وأشاع فى الناس سرهم ولا أن فلانا من الناس قتل بيد من أيديهم من جراء اذاعة ما ائتمنوه عليه.

نعم مما لاشك فيه ان هذه الاقوال التى يرويها المؤرخون وينسبونها اليهم قد وجدت فى المسلمين وشاعت بينهم ولقائل أن يقول اذا لم تكن هذه الاقوال دعاوى الاسماعيلية فما منشؤها ؟

وجوابنا عن ذلك ان هذه الاقوال يمكن ان يفرض منشؤها ثلاثة أمور

(١) أن العباسيين وسلاطين الترك افتروها على الاسماعيليين أما الاولون فيثيروا الناس عليهم ويدفعوا العار عن أنفسهم فى عجزهم عن مدافعتهم عما

غلبوا عليه من أملاكهم وأما الآخرون فليقدموا بين يدى اغارتهم عليهم واضطهادهم لهم عذرا يحول بينهم وبين سخط الناس عليهم .

(٢) ان ناسا من الفرس والهنود وغيرهم من أعداء الدين أشاعوها بين المسلمين طلبا لافساد دينهم عليهم وانتهزوا فرصة قيام الدعوات للامامة وتأليف الجمعيات السرية السياسية لا شاعتها حتى تنسب الى طائفة من الطوائف وجمعية من الجمعيات السرية وكان من نصيبها ان نسبت الاسماعيليين .

(٣) ان يكون المسلمون أنفسهم لما احتكوا بالاجانب من الفرس والهنود وغيرهم نقلوا عنهم خرافاتهم وسخافاتهم كما كان ذلك شأن اليهود والنصارى الذين خالطوا الفرس والهنود فان مؤرخيهم وعلماء دياناتهم يقولون ان النصرانية واليهودية فسدتا أيما فساد وتغيرتا عن تعاليمها عندمادخلتا بلادالهندوالفرس.

هذه فروض ثلاثة لا يمكن ان نفرض سواها منشأ لهذه التعاليم بعد فرض أنها مذهب الاسماعيليين الذى لم يقم دليل عليه .

أما فرض أنها انما اشتقت من الدين الاسلامي نفسه فمما لا يقول به ذو المام ما بالاسلام وتعاليمه فانه لا مناسبة مطلقا بينها وبين تعاليمهم .

لكن هذه الفروض الممكنة ليست بمثابة واحدة فى القرب من الحقيقة بل هى متفاوتة فى ذلك . اذا فرض ان أعداء الدين لما رأوا أنفسهم عجزوا عن ان ينالوا من المسلمين بالقوة عمدوا الى ان ينالوا منهم بافساد دينهم عليهم فادخلوا فيه المعتقدات الغريبة السخيفة يبعد أنه فرض وهمي لم يبن على شواهد محققة وحوادث ثابتة

وأما فرض ان منشأ ذلك افتراء العباسيين وغيرهم على الاسماعيليين أو احتكاك المسلمين بمن ذكرنا فعندى انهما فى درجة واحدة وانهما أقرب

الى المعقول من سير الحوادث والمعروف في التاريخ عن الامم الفاتحة عند مخالطتها للامم المغلوبة واندماجها فيها واصطباغها بصبغتها بل لا يبعدان يكون هذان الفرضان به اجتمعا ونشأت عنهما هذه الاقوال .

هذا ما يمكننا ان نقوله في هذا الموضوع وقلبنا مطمئن وضميرنا هادئ وهو كما ترى ليس الا ظنا وتخمينا راجحا عندنا وهكذا شأننا في مثل هذه المشكلات . الملتبسات . انما نأخذ بالاحرى .

على انه لا يعنينا كثيراً أن نمكث طويلا من الزمن لنبحث عن منشأ هذه المعتقدات والأقاويل ونتركها تتغلغل في المسلمين تفتك بدينهم فتكاذريعا اذ لا يكون مثلنا في ذلك الا كمثل من اشتعلت النار في بيته فتركها تلتهمه غير متخذ الوسائل لاطفائها ثم ذهب يبحث عن الفاعل .

ليكن منشأ هذه الامور ما يكون فما ذا يهمنا من معرفته الا مجرد العلم التاريخي لكن الطريق الناجح في ذهاب ضررها عن أمتنا هو ان نتعاضد ونتساند ونجرد السنتنا وأقلامنا للدفاع عن الدين بابعاد الدخيل عنه واظهاره للناس بمظهره الجلي النقي غير مشوب بالمشوهات المنفرات التي لحقت به سواء في ذلك ما صنعناه بأيدينا وما صنعه العدو بنا اذ بعض البلية بل اعظمها منا.

هذه جرائدنا في تلك الايام أخذت تحمل على المستر سكوت وعلى نظارة المعارف من جراء كتاب الفه ذلك المستر وقررته نظارة المعارف ضمن كتبها المدرسية مع انه محتويا لطعن على الاسلام ونسبة الشنائع اليه .

كانت تحمل الجرائد على المؤلف والنظارة ما بين متطرفة ومقتصدة والمقتصدة منهما من تقرير النظارة الكتاب على عدم اطلاعها عليه ثقة منها ببعض مقرظيه من الانكليز . لكنا قد بلغنا عن الثقات ان كل ما قاله

المؤلف في كتابه مؤيد بنقول ونصوص عن علمائنا وفضلائنا مدونة في كتبنا التي نتداولها ونعدها من أمهات الكتب في الشريعة الغراء .

فليت شعري هل دس ذلك علينا أيضاً أعداء الدين باسم الدين أو هو من عمل من لا يدافعون في التدين والجلوس على عرش الامامة الدينية حتى ان لهم فينا منزلة القادة الذين يقولون فتنحني الرءوس لأقوالهم ويأمرون فيطاعون وينهون فلا يعصون وشأننا معهم ان ننبذ صريح الكتاب والسنة لأقوالهم وآرائهم ويحتمون علينا الجهلاء تقليدهم غير ناظرين الى نهى الدين ونهي من يحتمون علينا تقليدهم عن التقليد واتباع غير ما يقوم عليه الدليل . وفقنا الله الى ما فيه صلاحنا وصلاح المسلمين أجمعين

اثارة من نثر الفونس كار

الكاتب الفرنسى الذائع الصيت

نبذة من روايته (تحت ظلال الزيزفون) مما سيذكر فى الجزء الثانى من (بلاغة الغرب)

يتهوفن

تكون ضفاف الحياة فى بادئ أمرها باسمة مخضرة نضرة ، شذية النسيم ، طيرها مغرد فوق أيكها ، تنبئ شمسها المشرقة وراء أشجار الصفصاف بيوم بهى هنيء . بينا فلكك ماخر سائر الهوينا وأنت محسن الظن بغدك فتحمد بطأه وينعم روحك وجسمانك برغد العيش الذى يرغب الناس ويشوقهم الى الحياة

وعلى كشب منك الذين سبقوك فى النهر وهم ينادونك صائحين فلا تكاد أصواتهم تظهر من حفيف الاشجار وخرير الماء الذى يؤرجح خمائل الخيزران

حذار أن تصبو نفسك الى هذه الملذات التى تفتن منك الحواس فانها خيالات وأشباح كاذبة لا تلبث أن تغيب عن العيون

ان الذين مروا ليس لهم فى شواطئهم غير ضغث مصفر محترق من العشب وأشجار قديمة جافة من التنوب وقليل من ماء لا يكاد يجرى وبرك راكدة آسنة . يودون لو يضادون سير التيار وهيهات أن تستطيعه قوة انسان . يظنون أن ضفاف الحياة المونقة ولت عنهم أو استحالت بعد بهائها كلا ! بل تجاوزوها وسيمر عليها بدورهم من سيأتون بعدهم

الحياة مناطق : أمل ومتاع وحسرات ومهما عظمت قوتك فلا بد لك أن ترد ما ورده غيرك

تود أن تحدق بنبات وتستنشق ريا نوره فيصدك التيار الجارف قائلا لك تمم ترحالك واذهب لشأنك . السرور باق على حالته وأنت أنت الذى فررت من جمال النبات وعرف الزهر وتغريد الطير . وسيقبل وراءك غيرك وان هى الا لحظة لا يكادون يتمتعون فيها مثلك ثم يمرون وقد ذهبت نفوسهم حسرات

ما أتم (استيفن) قوله الا وقام الى الموقد المستعر ليدفىء يديه وكان بالبهو جمع من الخلان فقال له أحدهم :

لا بد أن تكون خرجت هذا الصباح من دارك برجلك اليسرى أو قابلك غراب البين لانى لا أبصر الا وجوها كئيبة حزينة بجانب الموقد .

كلا ! ثم لاح على وجهه تبسم خفيف لم يكد يظهر الا واختفى كسحب

الصيف لا تثبت أمام ذكاء. ثم قال : انني خرجت راكباً فرساً ولم أصادف الا فتاة فتانة مع محبها وهـذا فأل حسن أجمل من رؤية القمرى . ولكن الذى يحزنني نبأ سمعته البارحة مساء

فتحولت اليه أنظار من حوله واشرأبت أعناقهم

هذا الخبر المشؤوم هو وفاة بيتهوفن وكانت فى السادس والعشرين من شهر اذار . فاكفهرت الوجوه أسفاً واستمر (استيفن) فى حديثه.

لم يتمتع بيتهوفن مدى عمره الا بلحظة من السعادة كلمح البصر كانت عليه القاضية .

عاش فقيراً معتزلا الخلق لازدرائهم اياه فاحتدت أخلاقه وطباعه من هذا الظلم المبين . وقد ألف من القطع الموسيقية والالحان ما خلب العقول واسترق القلوب وما لم يستطع غيره من الموسيقيين أن يأتى بمثاله أو ينسج على منواله . كان يخاطب الناس بهذه اللغة الجليلة الفخمة. كما تخاطبهم الطبيعة بأنغام الهواء والماء وتغريد الطيور وما من مصغ ولا سميع

ظل هذا النابغة مجهول القدر خامل الذكر الى حد أن كان يشك فى نبوغه وذكائه . ومن الغريب المدهش أن (هيدن) الموسيقى الشهير لم يجد تعبيراً يطريه غير قوله : « كان ماهراً فى التوقيع على الـكلافسين » وكمثل من مدحوا (چـيريكو) المصور الطائر الصيت بقولهم : « كان يسحق الاصباغ جيداً » والذين أثنوا على زعيم شعراء الالمـان (جوت) بقولهم : « لم يخطىء قط فى الاملاء وكان جميل الخط »

كان له صـديق يسمي (هوميـل) ولكن الفقر المدقع والظلم المنكر

أوغرا صدره وجعلاه حاد الطبع في بعض الاحيان فكان ذلك داعية لنفورهما وافتراقهما . وقد كمل بؤسه ومصائبه بذهاب سمعه

ثم انتقل الى (بادن) وعاش فيها والبؤس حليفه والانفراد أليفه لا يملك غير ما لا يكاد يقوم بحاجته . وكان يهيم عقله فى جمال غابة على مقربة من المدينة فتسعده بنغمات مدهشات فكتب ما كتب من روائع الموسيقى . وكانت تصعد روحه الى عنان السماء وتتحول الى أنغام شجية تخاطب الملائكة بلهجة طلية لم يفهمها الناس

وبينما كان قليل الاشجان اذ اتاه كتاب اضطره الى الخروج الى العالم من سجن عزلته وكانت فى انتظاره هموم جديدة لم تدر بخلده اذ أرسل اليه ابن أخيه من (ڤينا) وكان به معتنياً وله محباً لما ناله من بره وخيره يقول له انه مرتبك فى أمر منغص ولا ينجيه منه الا حضور عمه . فرحل اليه وقطع جانباً من رحلته راكباً نعليه ليقتصد قليلا من نفقات سفرته. ثم ألقى عصا الترحال ذات ليلة أمام بيت صغير عتيق واستضاف أهله لانه أمسى واهي القوى ولم يستطع أن يتمم طريقه فاكرموا وفادته وبعد تناول العشاء جلس بجانب المرقد على كرسى رب البيت الذى قام وجلس أمام (الكلاڤسين) وأخذ كل من أولاده الثلاثة آلته الموسيقية وطفقوا يصلحونها ويوفقون بين أصواتها وكانت زوجته وابنته تشتغلان باعمال البيت . ثم اشترك الوالد مع أولاده فى توقيع قطعة شائقة مما جادت به قرائح الالمان الغريزية وفطروا له دون غيرهم . ويلوح أن ما ضربوه كان من الاهمية بمكان اذ تفرغت اليها نفوسهم وأجسامهم وتركت المرأتان عملهما وهرولتا الى سماع

الموسيقى . وارتسم على وجوه الجمع اضطراب يدل على ان بقلوبهم شيئاً كثيراً من متاعب الحياة

لم يستطع بيتهوفن أن يشاركهم فى مسراتهم لانه ما كان يقدر أن يسمع نغمة واحدة لصممه بل أمسى يراقب حركات الضرب ويقرأ عواطفهم المرتسمة على وجوههم المنبئة بتأثرهم الشديد. ففكر فى أفضلية هؤلاء الرجال على الموسيقيين الايطاليين واستحسن نظام آلاتهم

ولما انتهوا تصافحوا وانظارهم ناطقة بتبادل العواطف وارتياحهم السعيد الذي يشعرون به وارتمت البنت مبللة الخدين بدمعها بين ذراعى والدتها

ثم تشاوروا فى استئناف سرورهم وعادوا الى الموسيقى وفى هذه المرة زاد اضطراب عواطفهم واغرورقت أعينهم اللامعة

فقال لهم (بيتهوفن) أنني سيء الحظ حيث لم يتسن لى ان أقاسمكم هناءكم وانى مولع مثلكم بالموسيقى وقد شاهدتم أننى أصم ولا أستطيع أن أسمع لحناً واحداً . فحبذا لو تفضلتم وسمحتم لى بقراءة هذه القطعة الموسيقية التى أشجت منكم الافئدة

ثم تناول كراسة الموسيقى ولم يكد يقع عليها ناظراه الا واكفهر وجهه ودارت عيناه فى أم رأسه ووقفت أنفاسه ثم خانه الدمع وتسلسل من آماقه ووقعت الكراسة من يده

لان هذه القطعة التى وقعها أهل البيت كانت (لا ليجريتو) من انشاء (بيتهوفن) فدهش الحضور وأخذ العجب منهم كل مأخذ واستولت عليهم تنهدات تشنجية منعتهم من الكلام ثم قال ضيفهم : « انا بيتهوفن »

فكشفوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم احتراماً واجلالا ومد لهم يده

فجعلوا يلثمونها بشدة متيقنين أنهم في حضرة رجل أعظم قدراً من الملوك، فحدقوا به ليقرؤا في وجهه سيما الذكاء والنبوغ ورأوا هالة من نور تحف جبينه. ثم مد اليهم ذراعيه فعانقه الاب وزوجته وأولاده وابنته. ثم نهض الى (الكلافسين) وأشار الى الشبان الثلاثة فاستعدوا لمشاركته وضرب بنفسه قطعته هذه التي سارت بذكرها الركبان. فيا لها من ساعة شهية هنيئة لم تسمع اذن مثلها في العالم الموسيقى. ولما أتموا القطعة لبث بيتهوفن وحده أمام (الكلافسين) وارتجل قطعاً من أغاني الهناء وتمجيد الخالق كانت أعظم ما كتبه. ومر هزيع من الليل والكل مكب على استماعه. وكان هذا آخر أعماله ومنشآته

ثم أجبر رب البيت ضيفه على قبول سريره ولكنه وعكته الحمى ليلا وتاقت نفسه الى الهواء الرطب عله يطفيء لهيبه فخرج لا يلوى على احد حافي القدمين الى الخلاء فرأى الطبيعة تنبعث منها موسيقى شجية والريح تهز افنان الدوح فتتلاطم وتهب آونه في ممر الدغل مزمجرة كاسرة ما تصادفه في مهبها

فمكث طويلا ولما آب احس بقشعريرة وتثلج جسمه. فبعثوا الى (فينا) يستدعون طبيباً فانبأهم بانه مصاب باستسقاء صدرى وعالجه يومين فلم ينجع فيه دواء واخبرهم بانه سيوافيه اجله المحتوم في القريب. فكانت لا تمر عليه لحظة الا وانتقل من سيء الى أسوأ

أخذه النزع والحشرجة وعاده صديقه القديم الوحيد عند ما سمع بمرضه وحمل اليه جانباً من المال ليستعين به في سقمه ولكن لات حين اسعاد وعواد

اذا اعتقل لسانه فنظر اليه بطرف يشف عن الاعتراف بالجميل والمروءة . فحنا عليه (هومل) ووضع فى أذنه بوقاً وكلمه بصوت عال معبراً عن توجعه وأسفه على مصابه لانه ما كان يستطيع أن يسمع الا بهذه الطريقة

ثم ظهرت على (بيتهوفن) علامات صحو الموت وانتعاشه ففتح عينيه وقال (لهوميل)

«أما كنت المعيا مسعدا بالمواهب الربانية والنفحات العلوية ؟»

فكانت هذه الكلمات آخر ما نطق به ثم سكن انسان عينيه وانفتح فمه وفاضت روحه ودفن فى مقبرة (دوبلينج) م ?

محمد كامل حجاج

كلمات كبيرة

للآراء رجال برأهم الله سراة الاخلاق نبلاء النفس كرماء المحسر ان قالوا أصابوا شاكلة السداد . وان كتبوا مزقوا ظلمات الاشكال . يتوخى الواحد منهم فى نصحه مناهج الرشد دون أن يأبه بما يصادفه من العقبات فى سبيل ابدائه لانه ثابت الايمان راسخ العقيدة بأنه لا بد محمود العقبى

من هؤلاء العظماء الذين كانوا جماع أقوامهم يأوون اليهم فى رأيهم وسؤددهم ذلك الحكيم الرومانى النابه الذكر (ماركس اريليس انتونيس) الذى لم يتردد الكاتب المتانق (ماتيو ارنلد) في كتابته عليه (في أنه فخر العالم وآية التاريخ وأجلى مظاهره)

ولد ذلك الحكيم فى روما سنة ١٢١ قبل الميلاد ولما طويت صحيفة خاله انتونيس بيس خلفه في سلطانه وجلس علي عرش روما فى سن الاربعين ومكث فى حكمه تسعة عشر عاما

لهذا الحكيم آراء سديدة ترتفع لها حجب الاسماع. صاغها فى كلمات كأنها الدر المرصوف وهأنذا أترجم منها لقراء (الهداية) بعض شذرات والله ولى التوفيق : —

(١) وقر المواهب التى تبدى الرأي النجيح وتستنزل الفكر الاصيل

(٢) وقر خير من فى الوجود وهو الذى يستدر من كل أمر منافع ويدبرها ووقر أيضاً خير ما فيك من الخصال

(٣) اذا تنبهت من سباتك ورأيت نفسك صلد الذهن سقيم الفهم لا تكاد تفهم قولا ولا تفقه حديثاً فاستحضر قواك العقلية وقل « انى يقظت من نومي لأؤدى عمل عامل فى الحياة فكيف أتثاقل عنه ومن أجله برئت وله وجدت »

(٤) لتلك سبهة الابد اذا تغلب الجهل والبغي على الحكمة والرشد

(٥) ما أصاب الانسان من أمر الا كان قادراً بفطرته على احتماله

(٦) ليست الحياة الا متعة وما ثمرة هذه الحياة الدنيا الا نبل النفس وجزالة المروءة والعمل لمصلحة المجتمع

(٧) اذا أحييت الغنى ونلت السعادة فلا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا وكن أبداً على استعداد لزوالهما

(٨) لا ترهق نفسك فرقا من تفكيرك فى كل أيام حياتك واذكر

ان المستقبل لا يضرك وأن الماضى لا يغشاك منه أذى انما أنا حذيرك من أيامك الحاضرة

(ما مضى فات والمؤمّل غيب   ولك الساعة التي أنت فيها)

(٨) لا تجعل لأمور المستقبل تأثيراً فى شعورك ووجدانك فانك ان مدّ الله فى أجلك لا بد ملاقيها وستأخذ لها الاسباب التي أنت آخذها فى أمورك الحاضرة

(٩) ما أعجب صنع الخلائق : انهم لا يظهرون محامد من يعيش معهم وبين ظهرانيهم وانما يود كلهم ان تطنب فى فضائله ذريته وذوو رحماه وان يذيع مناقبه قوم لم تقع عليهم باصرتاه وهؤلاء لديه موضع التجله والاكبار

(١٠) كن نقى الفؤاد صالحا طاهر الاخلاق حازما خلوا من الملق والمداجاه محبا للعدل مؤديا فروض الله شفيقا رحيما غيورا مجدا فى كل أعمالك

(١١) من يستطيع ان يمنعك من ان تكون صالحا ؟

(١٢) لا يصيبك خير أوشر الا كان فى كتابك مسطورا من الأزل (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)

(١٣) اعتبر ان ما ينالك فى حياتك عدل وانك اذا تقصيت فى التدقيق وانعمت نظرك فى الامور رأيت ذلك حقيقيا

(١٤) ليس فى الحياة شئ يثلج النفس وترتاح له الافئدة أكثر من أمثلة الفضائل التي نعرض فى نماذج العظماء الذين يعيشون بيننا

علي ع

كلمات في الاخلاق

٢

الحياء والثبات

لست أرى بين الورى كلمتين أجحفت الناس بحقوقهما حتى تسرب اليأس الي قلبيهما بما أدخل عليهما من الهم والغم وسوء التأويل وفساد التعبير كما أرى فى لفظتى الحياء والثبات اللتين طالما طلبتا عدل الانسان فما نالتاه

فانك بقولك رأيت انسانا ذا حياء لا تقصد بلفظة الحياء غير النبيل الاخلاق الكثير الفضائل بخلاف ما تعودنا سماعه فى هذه الايام التى أصبح فيها هذا اللفظ عنوانا لمن خلا من الشهامة وفاضه ولم يأخذ من العلم قسطا يرفع انتاضه

ولا نعنى بقولنا فلان رجل ثبات وتجلد غير من صبر على الشدائد وعرف كيف يقابل الازمات ولم يستعمل السيف حيث تستعمل العصا ولا العصا حيث يكفى اللسان وتعلم كيف يخرج من الملمات عالى الرأس طاهر الذيل لا كما نري اليوم من أن المقصود برجل الثبات هو ذاك الفاجر الزنيم والعاتى الاثيم الذى يخرق سياج الفضائل وينتهك حرمات الآداب غير واجد من نفسه وازعا ومن خلقه منازعا

ان أردت ان اعرّف الحياء لا أجد له أبلغ من وصفه بأنه تبصر اللبيب في وحدته وفى صحبة غيره بكل أمر يخطر على باله أو يطرأ عليه من الخارج

حتى يوفى نفسه حقها آن أحسنت أو يعرضها لوخزات الضمير ان هي أساءت .
وليس هذا فقط هو الحياء بل الحياء شعور المرء دائما أبدا بأنه معرّض لسهام الملام وقوارص الكلام الذى يصيبه من كل من يعلم قدر عمله سواء في ذلك من رآه ومن سمع به .

وبذا ترى الحيي رجل اخلاق فاضلة في الوحدة وبين الجماعات على حد السواء — يخجل من اتيان الدنايا بين الجدران كما لو كانت تلحظه عيون الانسان لأن له من نفسه خير وازع ومن ضميره خير ناصح ومن فكره خير صاحب ومن ارادته خير دافع

ان تسأل عن مثل لهذا الانسان عددت لك من أصحاب الاخلاق الفاضلة كثيرين ولكن أبلغ الامثال هو ذلك الامير الشاب الذى سارت بذكره قديما مجالس الرومان وردّدته أصوات الزمان . اقترف والد هذا الامير كثيراً من الاثم وابتز كثيراً من الاموال من رعايا سيد ائتمنه فخان ونصبه ليعدل فاتبع خطوات الشيطان . فدعى الولد ليدافع عن أبيه فوقع بين المخلب والناب تسوقه الفضيلة لاتباع طريقها ليخلد له ذكرها ويجذبه الحنو الابوى ليقضى له حقا

أى لسان يتكلم والمظالم قد اقترفت وأي جنان يلى والآثام قد سطرت بل كيف لا يتلعثم الخطيب ويذهل الصنديد عند معاداة الفضائل ومصافاة الرذائل . ما كاد هذا الامير يقف حتى شخصت اليه أبصار من بالمجلس فجمد في مكانه كأنه قد أصابته وجمة ولم يكن بالخائر الجبان بل لأنه سيعلن حربا على الفضائل ويشهد عليه من حضر ان هو دافع عن الاب وجرائمه .

أوحى حياؤه لضميره بالامساك عن أمداده بآلات الدفاع فحفظ بذلك

شرفه من الضياع وكان حياؤه سببا فى فك أسر والده الذى أخرج للعالم روما تتجسم فيها مكارم الاخلاق

ولكنى لا أعتبر حييًّا من يحجم عن القول حيث يجب الكلام ويجبن حيث تتطلب الشجاعة ويتوارى حيث يجب الظهور ويتجاهل حيث يجب العلم : وبالجمله من يتبع طريقا من الفضائل وهو لا يدرى انه مسوق اليه بما يسميه الحياء — مثل ذلك رجل تلطم الناس على وجهه وتشد بذقنه وهو لا يحرك ساكنا ثم اذا قيل له بورك فيك أيها الاستاذ رضى بما لحقه من الاهانة . مثل ذلك رجل أوجدته الظروف وسط جماعة من الناس فكان أقلهم قولا وأخورهم عزما وأكثرهم خجلا فغمطوا لذلك حقه لأنهم لم يعرفوا قدره

هذا وانى أعتبر الثبات حذق الانسان فى كبح جماح نفسه وامتلاك رشده أو ان شئت قلت هو الوقوف فى وجه أى قول والحيلولة بين أى عمل لم ترصد عنه النفس التى تنزهت عن الهوى بدون ارتباك في العقل او تزعزع في الجنان

وعليه فكل ما يجب أن يتكمل به رجل الثبات في هذه الحياة قوة فى الارادة وعزمة وقت الحاجة والاخذ بقسط وسط من العلم بما يحيط به فى هذه الحياة حتى لا يقع فيما تحرمه شرعة الفضائل أو يدخل تحت أعلام الرذائل

وانسان هذه عدته مهما عابه الناس لحاجة في نفوسهم او أساءوا فهم ما يرمى اليه لعوز فى أخلاقهم أرى ان له فى نفسه خير مسلى فى الوحدة وخير معين على مقابلة كل ما يبديه الغير ضده بالاستخفاف

ولست أرانى مضطراً لأصور لك صورة حية تدل على من هو رجل

الثبات سيما وقد ذكرت لك من هو رجل الثبات ولكني سأصور لك صورة شيطان تقمص ثوبا بشريا واتبع طريقا معوجا لم تسلم الناس من شره . مثل هذا الرجل الذى آلى على نفسه ألا يثبت الا فى الاضرار بالناس . مثل هذا الرجل من أخذ على عاتقه أن يكيد لاشراف الناس . مثل ذلك الرجل الذى أغوى الفتيات فاخرجهن من خدورهن وسلب عفتهن . مثل هـذا الرجل ذلك المدرس الذى افتضح أمره منذ زمن غير بعيد

كانت تلوح على هـذا الرجل علامات الثبات مطلية بطلاء الاخلاق الكاذبة التى يظهر بهـا عادة كبار المجرمين ضـد الفضيلة والانسانية . تلك الاخلاق التى تفصلها سفالة لصوص الماديات ونذالة قطاع الطريق لان هؤلاء يسلبون الحلى وهذا الوحش يسلب العفة ويرضى الشهوة فيصبح بيت العفة فى حداد وشبحها فى اصفاد

جنى هذا الوحش وهو من فريق يجدر بهم ان يتحلوا بالفضائل والذين يعتمد عليهم العالم فى نشرها بين صغار الابناء

جنى هذا الوحش وهو ثابت الجأش (الا فليخسأ مثل هذا الثبات) غير مروع ولا مزعزع فدخل بيتا شريفا هو وصاحب له تحت ستار أطباء بعد ان أغويا فتاة من بيت مجد منعها أبواها من الخروج للطرقات

دخـلا على أبويها وأمراهما بالسماح لها بالخروج لتنزه النفس وترويح القلب وذلك ليقضيا لبانتهـما فـكان لهما ما أرادا فـكان خروجها من مهدها للحدها ومن خدر أبيها الى حيث ضاع شرفها وقبر مجد عائلتها.

فعل معها أحدهما ماتأنف النفس من ذكره وماتجمد الدماء من تصوره بجنى عليها وعلي نفسه بثباته الذى اعتبر الجبن أجدر منه بالمدح

أعود فأقول يجب على العاقل ان يربى فى نفسه ملكتى الحياء والثبات بمناهما الذى عرفته فان فقدان الثبات يعد خرقا فى العمل ويجعل الانسان ألعوبة تستفزها ترهات المتهوسين أو غمزات المعاندين كما أن عديم الحياء يعد فى الدنيا بمثابة عوسج يختلف على البستانى ورده أو بمثابة هيكل لطخت الرذائل وجهه

الا تدرى أيها القارئ أن مثلنا الذى قدمناه لك خاصا بالحياء جمع فى الحقيقة بين صفتي الثبات والحياء اذ أن الامير ان لم يكن ثابتا لخانته قواه عند الوقوف أمام من حكموا المشرقين وادارو دفة السياستين واذا لم يكن حييا لكان عثرة فى سبيل الفضيلة فدافع عن الدجنى على العباد وعاث في أرض الله بالفساد

ثم ألا ترى مثل من ثبت عنه الضرر بالناس يجمع بين الجراءة وعدم الحياء اذ أنه لو كان حياً لما أقدم على سلب عفة. ولو لمن يكن ثابتا لا نفضح أمره فسلم الناس من شره قبل أن يهم بانفاذ مشروعه

اذن يظهر لك ان الحياء والثبات خلتان خليلتان يمكن أن يجتمعا فى قلب انسان واحد وباتحادهما واختلاطها تأتى الثقة بالنفس وهى الحد الوسط بين الخجل (وهو الجود فى الحياء) والجراءة (وهى ذهاب ماء الوجه عند اتيان المنكر)

وكما أن الشخص تجتمع فيه خلتا الثبات والحياء كذلك يجوز ان تجتمع فيه أضدادهما: أمثال ذلك من لم يتكمل بالعلم أو الادب اذ بينما تراه أمامك يتلعثم عند الكلام ويتلجلج عند النطق بجملتين اذا به أسرع الناس الى ارتكاب الوزر واقتراف الاثم

فى النهاية أقول ان اتباع هذين الفضيلتين والاكثار من استعمالهما يعطيان الانسان لذة فى عمله ويكسيانه حلة الحق والصراحة فى قوله وان الرذائل لا تجد لها سبيلا الا تحت جناح من عدا حده من هاتين الخلتين

ابن الوليد المصرى

مقطعات شعرية ونثرية

للشيخ محمود الشاعر المدرس بالمدرسة الاعدادية الثانوية

رأيت زمانى ينصر الغبن والظلما ... ويخذل فى الناس الفضيلة والعلما
فقلت هى الايام من لم تواته ... على قدره واتت على سعيه رغما
واقبلت أسعى للمعالى أريدها ... وان ذقت من انياب ما أطلب السما
وقلت لطلاب المناصب والدنا ... لكم دينكم انى فتى أطلب الاسمى
لئن تأكلوا تبرا فانى لآكل ... ترابا وعرضي لا أبيح له طعما
وان تسكنوا بيتا رفيعاً عماده ... فانى سكنت الحلم والحزم والعزما
وان تلبسوا أبهى من الخز رونقا ... فانى لبست المجد واخترته وسما
وان تعبدوا الدينار أو تعبدوا له ... فمالى سوى الرحمن أعبده دوما
وان ترفعوا الاسماء مرضاة أهلها ... فحسبي رضى الله الذى رفع الاسما
ولا تحسبوا انى أرى المال سبة ... أو الرتبة العلياء فى ذاتها وصما
ولكن هو المعروف والفضل والتقي ... اذا قومت بالمال ألفيته ذمّا
ولو شئت عيشا مثلكم لاصبته ... ولكنني أرمى الى الغاية العظمى

ومن يحي لا يعدم من القوت بلغة ... ومن لم يمت بالمال مات به غما
ومن فاته حظ المروءة والوفا ... وان أحرز الدنيا كمن لم يعش يوما
وما المرء في الدنيا سوى الفضل والحجا ... والا لكان الشحم واللحم والعظما
تحملت قلبا يحمل الهم والاسي ... ولكنه لا يحمل الذل والضيما
يرى نصرة الاوطان أرفع رتبة ... وان كره الباغي وان سدد السهما
وكم موقف فيه يزل أولو النهى ... وقفت به ثم انثنيت فتى شهما
اذا ساورتني الحادثات ضربتها ... بسيف من الآمال يقصمها قصما
وان نام هذا الدهر أيقظت عزمة ... تفل شباة الخطب لا تعرف النوما

في التغرب عن الاوطان

تسائلني فيم التغرب والنوي ... وأنت غني مثقل الظهر بالاهل
فقلت لها كفي ملامك واعلمي ... بأني امرؤ لا أطلب العز بالجهل
فسيان عندي غربة واقامة ... متى كنت في عز من القول والفعل
وما الاهل الا الاقربين مودة ... وان بعدوا في الفرع عني وفي الاصل
وما وطني الا الذي أنا قاطن ... أقاسمه ما يستذل وما يعلى
أغرك اني قانع متجمل ... فايقنت اني ذو عقار وذو نخل
رويدك ما في المال عندي من غنى ... اذا لم يحصن بالسماحة والبذل
وما المال الا واحداً من ثلاثة ... هي المال والدين المؤزر بالعقل
ولكنهم بالمال جن جنونهم ... فهبوا اليه مستبيحين كالنحل
فلو أن قتل النفس في ساحة الوغى ... بسيف من الدينار حنوا الى القتل

وقلت لقوم مرجفين

أيها المرجفون مالى أراكم   ترسلون الوعيد اثر الوعيد
وتخوضون فى أقاويل شتى   مالها عند سبرها من وجود
هل أتاكم علم بما هو آت   فنظرتم الى غد من بعيد
أم يئستم من رحمة الله حتى   قد ضربتم من حولها بحديد
أم نظرتم لفائت قد تقضى   فبكيتم له بكاء الوليد
أيها المرجفون مهلا فانا   بيد الله لا برأسي العبيد
ان ربا قضى مع العسر يسرا   لكفيل بفك هذى القيود
مالكم ويحكم خفقتم قلوبا   للذى لم يزل بعيد الوفود
فكأنى بكم وقد نزل الخطب رفات فى مستقر اللحود

(وقلت وأنا في بلد خبيث منذ سنين)

سكنت وبي من لوعة الشوق ثائر   وسامحت أيامي وانى لقادر
وداويت نفسى بالتصبر والرضا   وأسعد خلق الله راض وصابر
أعاشر جار السوء والارض رحبة   واسكن أرض السود وهي مقابر
ولو أنصفتنى مصر مارمت عزها   ولا صرفتنى عن هواها الضرائر
ولكن نفسا فى مرائم عزها   سواء عليها مصرها والجزائر
وما ضرنى انى غريب مفارق   وليس له من جانب الاهل زائر
حسبي كتابي والذى بين أضلعي   فهذا يؤاسيني وذاك يسامر

(وكتبت الى صديق وفىّ)

لو قيل لى زالت الدنيا بأجمعها   وأنت باق لكذبت الذى قيلا

أما الوفاء فمنك الناس تأخذه | فما عليك اذا علمته النيلا
هلا تركت لاهل الارض واحدة | من الوفاء ترد الغدر مخذولا
جاء الكتاب فما زلنا نرتله | كما نرتل آيــ الله ترتيلا
ونجتلى فيه منك الود مبتسما | نكاد نلمسه ضما وتقبيلا

. . . .

أقصى أمانيّ ان ألقاك مغتربا | عن مصر لا نشتكي قالا ولا قيلا
فمصر والصين والسودان واحدة | مادام حبلك بالآمال موصولا
من فارق الاهل والاوطان يرض بما | يلقى ويشفى فؤادا كان مغلولا

(فى الرآسة)

ان الزمان بها لا يخل باخل | الا على رجلين لن يتهيبا
رجل تقلدها فلم يعبث بها | بطراً وآخر نالها فتذأبا
ينسى الزمان وربه وحسابه | مادام يذكر رتبة أو راتبا
ياويله تخذ الرآسة لعبة | لم يدر أن يديه تحمل عقربا
طوراً تدب به الى من تحته | ولقد تدب اليه حتى يعطبا
حسب الرآسة حطة ومهانة | غر تراه الى العماية أقربا
لا يبصر الخطب الجسيم ببابه | ويظن كل الخطب ان يستعتبا
ويصم سمعا عن نصيح مخلص | ويبوّئ الواشين صدراً أرحبا
من زانه تاج الرئيس مذهبا | فليتخذ تاج العفاف مهذبا
ان الذى منح الرآسة تاجها | للقاسطين لموشك أن يسلبا

كلمات شتى

(مرتبة على أحرف المعجم باعتبار أوائلها)

انت كل يوم رجل جديد . اذا لم تكن عالما فكن عاقلا . أشقى الناس من يحاول اصلاحهم . اتق الرئيس كما تتق العدو والصديق . اذا قربت من حب المال شبرا بعدت عن الفضيلة ميلا . طالب الحرية تجد الغنى . اذا كان للعمل رجلان يمشى بها فهما الصدق فيه والصبر عليه . ان كان في الدنيا صديق حميم فليكن العمل . آفة الحياة اليأس . إصحب الناس على علاتهم . أعزما في الدنيا الحرية .. أحب ما فيها السرور وأبقى ما عليها الحكمة . أفضل الجهاد جهاد الظلم . ان كان شيء أشرف من العمل فليكن اتمامه . أعرف الناس وان لم يعرفوك

بذر العداوة سوء الظن . البلادة من السعادة . البخيل بخيل ولو أما والاحمق أحمق ولو عالما

تأخذ أخلاقك من بين مدح الصديق وقدح العدو . تفعل الشدة بالانسان ما يفعله الصخر بالحديد : يفله أو يشحذه . تكاليف الحياة شاقة وأشق منها ان لا غنى عنها . التوظف رق منظم .

ثلاثة من عبدة الاوثان البخيل والعاشق والمتملق . ثلاثة تملك ثلاثة : التواضع يملك الكبار والاحسان يملك الصغار والاخلاص يملك الاقران

الجمال زهرة قريبة الذبول .

الحياة دولة مليكها العقل ووزراؤها العلم والتجربة والفضيلة . الحكماء في دنيا غير هذه الدنيا

الدنيا ثلاثة المال والجمال والجاه، دواء الحماقة الموت

ربما هذبك ولدك

زمام الاحمق اذنه وزمام العاقل قلبه

الشهرة غطاء العيوب . شاور غيرك ثم تخير لنفسك . الشرق في تفريط والغرب فى افراط فمتى يعتدلان ؟ ....

الصبر عنصر الفضائل

الظلم جنون

العزلة روضة الفكر ومهبط الحكمة وطريق السلامة ومهاد الحرية .

عملك ولدك فربّه كيف شئت

الغربة سبيل الجهاد . الغرور أحلام المستيقظ

الفخور ابن عم الكذوب

كاد المال ان يكون الها . الكتب قلوب الناس فى أيدى الناس . كاتم السر كالقابض على الجمر . الكبر مطية الظلم

لو انصف الناس استراحوا

المناصب قيود من ذهب أو من فضة أو من حديد. من هجاك بالباطل فقد هجا نفسه بالحق . مفشي السر كـكاشف العورة . من أخذ فى العمل فقد فرغ منه. من صبر على التعليم صبر على كل شئ . المال شر لا بد منه. المداراة ملح المعاشرة . من لم تعلمه الايام فالنار أولى به . المصيبة فى الجزع من المصيبة. من لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره. المناصب فتنة . المال الكثير من أسباب الجنون الناس بعضهم لبعض عدو حتى الاصدقاء . نصف المصائب من المال والنصف من الرآسة

الوهم أكذب منظار

وأكذب ما يكون المرء لوما اذا لم تدعه للكذب حاجه

لا سم كاليأس . ولا سيف كالاقدام . لا تستقل السيئة ولا تستكثر الحسنة . لاباطل أشبه بالحق من (السياسة) (١) لاعداوة في الدنيا ولا صداقة وانما هو تنازع البقاء . لاتخاصم رجلا حتى تصالح رجالا

اليائس أخو الميت

المواسم والاعياد

(عيد القيامة وعيد العنصرة)

(تابع ما قبله)

وأما قدم ابتداء هذين العيدين فيعلل مورخو الكنيسة عنهما بأن الفصح والعنصرة العيدين اليهودين كانا سنويا فى نفس الايام التى كان فيها أخيراً عيد المسيحيين . ومعلوم أن اليهود المنحازين الى الديانة المسيحية فى فلسطين وربما فى غيرها أيضاً كانوا ولم يزالوا يحفظون هذين العيدين اليهوديين مدة دوام الهيكل . وبما أن كثيرين من المسيحيين الاولين كانوا في الاصل من جنس اليهود لا بد أنهم كانوا يرغبون حفظ هذين العيدين على نوع من الانواع ما لم ينهوا عن ذلك فكان أمراً طبيعياً أن يتحول حفظهما عاجلا

(١) المراد من هذه الكلمة أعمال رجال الاستعمار وأعوانهم ومن على شاكلتهم من أهل الشرق والغرب

الى تذكار موت المسيح وقيامته وفيض الروح القدس العجيب من غير التفات خصوصي الى مقصدهما الاصلي أي انهما يتحولان الى عيدين مسيحيين . وبما أن هذين العيدين كانا محفوظين عند اليهود يصح أن يقال انهما من أصل يهودى وبما أن المسيح هو المرموز اليه بواسطة الخروف الذى كان يذبح ويؤكل فى فصح اليهود كان موافقاً للطبيعة أن موت المسيح؟ الذى كما يقول الرسل (لان فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا) يحفظ له عيد عوض الفصح ؟ وبما أن تأسيس الكنيسة المسيحية بحسب ابتداؤه الحقيقي من حين حلول الروح القدس وآمن ثلاثة آلاف فى يوم واحد يستحق هذا الحادث العظيم ان يذكر عوض المقصد الاصلى الذى لاجله رتب عيد الفصح اليهودى . الخ

ثم ان عيد الفصح كان في أول الامر يتقدمه صوم اختيارى كانت تختلف مدته باختلاف الاماكن . الا أنه كما يبقي فى أكثر الاماكن فقط أربعين ساعة كما أخبرنا ترتليانوس وايريناوس . والظاهر أنهم اختاروا هذا العدد من الساعات لانه يطابق المدة التى أقام فيها مخلصنا فى القبر . ولكن مع ان ذلك الصوم كان اختياريا في الابتداء صار مع تمادى الزمان محتوما ضروريا علي جميع المؤمنين . ثم اخذ يطول شيئا فشيئا بالتدريج حتي أنه فى أيام (ديونسيوس) الاسكندرى نحو سنة ٢٥٠ وصل الى أسبوع أو كثر الخ

وأخيرا أوصله غريغوريوس الثانى فى القرن الثامن الى أربعين يوما الخ

ثم ان بعض العلماء قد ذهبوا الى ان هذا الصوم الاربعيني مرتب من الرسل لان باشيليوش الكبير وأمبر وسيوس ولاون الكبير لقبوه سنة الهية)

ولكن يجاب على ذلك بالكفاية ان هؤلاء الاشخاص فى كلامهم الشعرى وصفوا مراراً ما كانوا يحسبونه مفيدا بكونه الهياً أو رسوليا . الخ فمن الواضح ان هذا الصوم ولو كان بعض الآباء قد وصفوه أحيانا بكونه الهيا أو (رسوليا) لم يكن مرادهم بذلك انه قد ترتب من الرسل أو بأمر من الله (انتهى ملخصا عن كتاب ريحانة النفوس)

(الفصل الثانى)

(استنتاج من أقوال ريحانة النفوس)

يستنتج مما ذكر جملة أمور جوهرية فى الديانة المسيحية وهى

(١) أنه لا يوجد دليل على أن رسل عيسى عليه السلام أى «الحواريين» هم الذين رسموا عيدى الفصح والعنصره

(٢) ان وجود هذين العيدين المسيحيين في زمن الحواريين أمر مشكوك فيه كما يستفاد ذلك من قوله (وربما فى أيام الرسل أيضاً) ومن قوله (ان الرسل ربما ارتضوا بهما) ولا يخفى أن الشك لا يعول عليه فيما يكون فرضا

(٣) انه كان يوجد قبل المسيحية عيدان يهوديان وهما عيد الفصح وعيد العنصره — ثم صار تحويلهما بدون أمر من عيسى (صلعم) ومن رسله (رضعم) الى عيدين مسيحيين

(٤) ان هذين العيدين اليهودين تحولا الى عيدين مسيحيين (تذكار موت المسيح وفيض الروح القدس العجيب) وان المسيح (صلعم) حل محل الخروف الذى يذبحه اليهود فى عيدهم قبل ظهور عيسى عليه السلام

(٥) ان تاريخ تأسيس الكنيسة المسيحية بحسب ابتداؤه الحقيقى من

حين ظهور (روح القدس) الذى آمن به ثلاثة آلاف في يوم واحد وتنصروا

(٦) ان الصوم في هذين العيدين لم يرسم الا فى الجيل الثانى من التاريخ المصطلح عليه بأنه تاريخ ميلاد المسيح :

(٧) ان ماورد فى كتب قدماء النصارى من وصف بعض الامور التى أحدثوها بعد الحواريين بأنها من الفرايض أصله استحسانهم لتلك الامور استحساناً غلب على أفكارهم صوابه

(الفصل الثالث)

(ملحوظات على عيد الفصح والعنصرة فى النصرانية واليهودية)

(الفرع الأول)

(عيد الفصح والعنصره عند اليهود)

مذكور بالاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج من أسفار التوراة ما ملخصه ان الله أمر بني اسرائيل وهم فى مصر بأن يأخذ كل واحد منهم شاه بحسب بيوت الآباء شاة للبيت ثم يذبحونه فى العشية ويأخذون الدم ويجعلونه على القائمتين والخشبة العليا من بيوتهم ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير على أعشاب مرة الى أن قال : فأنى اجتاز في أرض مصر هذه الليلة واضرب كل بكر من الناس والبهائم أحكاما بكل آلهة المصريين. أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم الخ

ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة لكم انكم تقولون هى ذبيحة فصح للرب الذى عبر عن بيوت بنى اسرائيل فى مصر لما خرب المصريين وخلص بيوتنا : الخ فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت

وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر فطيرا اذ كان لم يختمر لانهم طردوا من مصر ولم يقدروا ان يتأخروا فلم يصنعوا لانفسهم زادا . الخ

(وفى الاصحاح الثالث عشر) ولا يؤكل خميرة اليوم أنتم خارجون فى شهر ابيب ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين — تصنع هذه الخدمة فى هذا الشهر سبعة أيام تأكل فطيرا وفى اليوم السابع عيد للرب الخ

ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين — انك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك الذكور للرب ولكن كل بكر حمار تفديه بشاه وان لم تفده فتكسر عنقه — وكل بكر انسان من أولادك تفديه الخ

فذبح الخروف في هذا العيد فدية لاولاد بني اسرائيل لكون الرب لم يضربهم كما ضرب المصريين لان الله حقن دمهم بهذا الذبح ومما يجب أمعان النظر فيه هنا هو ان الله قال لبنى اسرائيل فى هذا العام (فتحفظون فى هذا الامر فريضة لك ولاولادك الى الابد فمن جهة قد جعل دم الخروف كافيا الفدية الانسان ومنع نزول العذاب أليه ومن جهة أخرى جعل العيد واجبا مؤبداً ومعني المؤبد معلوم فلا يجوز الانقطاع عنه ولا تبدله بغيره فلا معنى اذا للفصح الذى أخذه المسيحيون بدلا من هذا الفصح ولا لتغير معنى الفدية بالدم البشري فضلا عن سبق تشريع الفداء على لسان ابراهيم عليه السلام

(الفرع الثانى)

(فى عيد الخماسين عند اليهود)

هذا العيد تذكار لكتابة الالواح العشرة ونزولها على موسى (صلعم) من عند الله وهو فى جبل طورسينا وكان ذلك بعد خروج بني اسرائيل من

مصر وعيد الفصح الذى جعلوه تذكاراً للخروج ٥٠ يوما . ولذلك اطلقوا عليه اسم (عيد السبعة أسابيع) ولم يطلقوا عليه اسم عيد الخماسين الا بلغة اليونان فى زمن حكم اليونان على ملة اليهود بعد الاسكندر فقالوا عيد الخمسين (بانتيكوت) أي الخمسين يوما بدلا من (عيد السبعة أسابيع) وحساب هذه الاسابيع يبتدئ من يوم عيد الفصح الي نهاية السبعة أسابيع أى مدة ٤٩ يوما وفى اليوم المتمم للخمسين يكون العيد عند اليهود . فأصل هذا العيد كما ترى كتابة العشر كلمات أو نزول العشرة ألواح

فلننظر الآن فى تشريع عيد الخمسين فى المسيحية وسببه

(الفرع الثالث)

(حادثة عيد الخمسين عند النصاري)

لا يوجد أقل مناسبه بين نزول الالواح على موسى الذى جعل من أجله عيد الخمسين وبين عيد الخمسين الذى اتخذه النصارى اقتداء باليهود قالوا ان روح القدس ظهر للحواريين وتلاميذهم يوما من الايام على هيئة نار فى السماء منقسمة واستقرت على رأس كل واحد منهم والهمتهم التكلم بلغات مختلفة على قدر لغات الامم والاجناس الموجودة فى مدينة القدس من اليهود الذين جاءوا لحضور عيد الفصح من كل الجهات . وان هذه المعجزة ادخلت نحو ثلاثة الالف نفس في دين الحواريين فهذا محل نظر وتأمل من جهة ظهور هذه المعجزة فى يوم الاحد السابع بعد الاحد الذى قالوا ان المسيح رفع فيه الى السماء فاننا نجد الاتفاق موجودا بعد الف سنة في ظهور نور الاله في الديانتين كما نجد ظهور الوحى والتعليم فيهما فى وقت واحد حالة ان

الحساب القمري لا يوافق الحساب الشمسي في دورة الايام لان اليهود يحسبون على حركة القمر والنصارى على دورة الشمس وعدد أيام الشهور فى الحسابين لا يتفق ومن جهة أخرى فانك قد رأيت ان تقديس الاحد أصله من زمن الوثنية فلذلك اعترض بعض المعتزلة على اطلاق اسم (عيد الخمسين) اليهودى على عيد ظهور روح القدس الذي قال عنه الحواريون اعتراضا وجيها حيث قال ان عدد الايام التى بين الاحد الاول والاحد السابع الذي يحتفلون فيه بالعيد تسعة وأربعون يوما فقط . فكان يجب ان يقال (عيد التسعة والاربعين) لا عيد الخمسين وان لا يجعلوه يوم أحد في جميع السنين لان عيد التسعة والاربعين عند اليهود لا يشترط وقوعه يوم أحد وبما ان النصارى يحسبون عيدهم بعد عيد الفصح العبرى فكان يجب عليهم الاقتداء بهم من كل الوجوه .

(الباب الثالث)

فى ذكر ما دخل ملة التوحيد من ديانة الصابئة والوثنية

(الفصل الأول)

فى تأثير اختلاط قوم موسى بقدماء المصريين على ملة التوحيد

قال المؤرخ العصرى (ميرو) رئيس دار الآثار المصرية فى هذا الوقت فى كلامه على شرع بنى اسرائيل بالصحيفة (٢٩٠) من كتابه تاريخ الامم الشرقية القديم مامعناه :

وقد اشتمل شرع موسى فوق الوصايا العشرة على أحكام : منها ماهو مفصل ومنها غير المفصل فمن ذلك أحكام العبادات والطقوس التى تعلمها بنو اسرائيل فى مصر من رؤيتهم المصريين فى معابد (فاح) و (أمون) فأخذوها

عنهم وقلدوها فى عبادة الله . وأصل الشرع العبرى قليل جداً والاحكام التى يمكن نسبتها الى موسى عليه السلام هى الوصايا العشرة وبعض أحكام داخلة ضمن ما نسب اليه فيما كتبه غيره . واذا صح أن موسى عليه السلام سن لبني اسرائيل شرعا وضاع فان ذلك لا يحط من قدر أعماله الجليلة في قومه لما كان له من المنزلة العظمى والشأن الكبير بينهم . انتهي ملخصا

علي أن مجرد الاطلاع على أسفار التوراة وما فيها من حوادث فرعون مع موسى عليه السلام وسيرة خروج بنى اسرائيل من مصر يدل بأجلى بيان على أن مجئ الشرع الموسوى المذكور فى الاسفار كان عقب خروجهم من مصر وهم فى وادى التيه . فعند ذلك يسلم الانسان بما يقوله المؤرخون من تأثير اختلاط بنى اسرائيل بالمصريين على عقولهم وعوائدهم وأعمالهم ولا يستبعد ما ذهبوا اليه من الاستنتاج لان الفرق ظاهر بين أحكام ملة التوحيد فى سفر الانبياء وبين الاسفار المنسوبة لسيدنا موسى عليه السلام

فلهذا نذكر ماجمعه المؤرخون من الاقوال فى أعياد قدماء المصريين في ذلك الوقت وأعياد الامم الصابئة المجاورة لمصر من العرب والكنعان والكلدان ليتبين مافيها من الشبه ولان جميع تلك الامم من أصل واحد

(الفصل الثانى)

(فى أعياد قدماء المصريين ومواسمهم)

قال صاحب العقد الثمين : كانت مواسمهم تنقسم الى أربعة أقسام ، القسم الاول أعياد السنة وفيه ثلاثة أعياد عيد رأس السنة وعيد السنة الكبيرة وعيد السنة القصيرة والقسم الثانى من الاعياد أعياد الشهور وفيه عيدان العيد

الاول عيد الحر الكبير وهو فى أول شهر أمشير والثانى عيد الحر الصغير وهو فى أول برمهات

والقسم الثالث من الاعياد أعياد الايام وفيه عشرة أعياد . العيد الاول عيد غرة الشهر ثم عيد ثانى يوم ثم عيد ثالث يوم ثم رابع يوم ثم خامس يوم ثم ثامن يوم ثم عيد الخامس عشر ثم عيد السابع عشر ثم التاسع عشر ثم الثلاثين من كل شهر ثم عيد أيام النسئ الخمسة

القسم الرابع من الاعياد فيه تسعة أعياد خصوصية . الاول عيد ظهور الشعرى اليمانية في غرة شهر توت . والثانى عيد (والك) وميعاده السابع عشر والثامن عشر من كل شهر . والثالث عيد المعبود (توت) وهو (هرمس) وميعاده التاسع عشر من شهر (توت) والعيد الرابع عيد ركوب النيل والسفر فى البحر . والعيد الخامس عيد أول الفيضان وهو الآن عيد نزول النقطة . العيد السادس عيد السفينة (تبث) . والعيد السابع العيد الكبير والعيد الثامن العيد الطيب وكان يعمل فوق الجبل . والعيد التاسع عيد (عماشيع) أى عيد الرجل الكبير .

(ملحوظة — معنى عيد السفينة عيد حركة الشمس فى الفلك لانهم كانوا يقولون أن السماء بحر تسبح فيه الكواكب كالفلك فى البحار)

وذكر المؤرخ « هيرودوتس » ان أعيادهم كانت تعمل فى جملة مدن من البلاد البحرية والقبلية مثل « بسطة » و« صا الحجر » و« المطرية » و« بوتو » التى آثارها الآن على ساحل البحر الملح مما يلى بحيرة البرلس وفى مدينة « بايرميس » التى اندثرت معالمها — ولعلها « بهرمس » من قرى مديرية الجيزة أو بلد آخر بهذا الاسم فى غير هذا الاقليم

وتلك الاعياد كان لها صفة دينية و سياسية معاً ويحضرها الملك أو من ينوب عنه من عائلته والملكة وخلق كثير. وأكبر الاعياد عيد كان يعمل على رأس كل ثلاثين سنة مرة وكان لمن تتم هذه الاعياد فى زمنه من الفراعنة الفخر العظيم والصيت البعيد

قيل وكان يصدر من المصريين فى هذه الاعياد كثير من الفحش والفجور وكانت الاعياد المذكورة مرتبطة بأوقات الزراعة فى كل سنة. وأول أعيادهم كانت عند شروق كوكب الشعرى اليمانية فى أشعة الشمس ووقته غرة شهر توت وهو أول شهورهم. وكانو يذبحون فيه واحدة من السمان قرباناً لمعبوداتهم (ايزيس). ويخرج الكاهن من معبد مدينة (آبو) فى هيا كل مقدسة محمولة على هوادج على أعناق جماعة من الكهنة يختلف عددهم من اثني عشر الى ستة عشر بالنسبة الى ثقل الهيكل. وهكذا في باقى المواسم. وبعد مضى أيام من هذا الشهر كان يعمل موسم (توت) الشهير باسم (هرمس) ولذلك كان يسمى هذا الشهر باسمه (توت). وكان من عوائدهم فى هذا الموسم أكل التين وشرب العسل ويقال بعد أكله (ما أحلى الحق)

ومن أعيادهم عيد كان يعمل فى اليوم السادس من شهر بابه وهو عيد حمل (ايزيس) بولدها

(هربوخراث) يشيرون بذلك الى القاء الذرع فى الارض بعد نزول ماء النيل عنها. وفى هذا الموسم كان يعمل طاسم فى عنق تمثال (ايزيس) يسمونه (كلمة الحق). وفى الثامن عشر من هذا الشهر موسم «آمون راع» فى مدينة «بابريس» وكان من عادتهم فيه أن الكاهن فى الليلة المتقدمة على

العيد يأخذ هيكل معبودهم ويضعه فى برزخ مذهب بموضع مقدس قريب من المعبد وفى الغد يقربون القرابين . وبعد الفراغ منها عند زوال الشمس يقوم بعض الكهنة عند الهيكل ويقف الباقون عند باب المعبد وبأيديهم العصى والمساوق لمنع دخول الهيكل فى المعبد. فاذا جاء حاملو الهيكل وجدوا باب المعبد مغلقاً فيقع بينهم وبين من به من الكهنة وغيرهم مضاربة وقتال كبير يجرح فيه كثير من الناس فيسيل دمهم ولا يكفون عن القتال حتى يدخل الهيكل فى المعبد ويستقر فى مكانه . ويزعم الكهنة أنه لم يحصل قط ضرر لأحد من تلك الجراح . وكان المصريون يشيرون بهذه الاحوال الى أن «حور » بن « إيزيس » أراد الدخول على أمه ليزنى بها فمنعه حراسها عن مرامه فجمع أحبابه وأصحابه وقاتل حتى غلب الحراس ونال مرامه والسر فى ذلك هو أن حرارة الشمس المعبر عنها بالمعبودة « إيزيس » دخلت في جوف الارض لتخصبها . وفى الثامن والعشرين من هذا الشهر كانوا يعملون أيضاً موسم « عصا الشمس » ويعنون بها تقدمها فى العمر ونقص حرارتها وضعف قوتها ولذلك جعلوها كأنها احتاجت الى عصا تتوكأ عليها ويمدون في هذا الموسم موكبا تحمل فيه صورة عجلة صغيرة يطوفون بها حول المعبد سبع مرات اشارة الي أن « ايزيس » تفتش على جثة زوجها « اذريس » بعد أن قتله « صفون »

« ملحوظة وهذه الحادثة تشير الى تغلب الشر على الخير وتنازع الليل والنهار والحر والبر والحوادث الطيبة والرديئة من أحوال السماء والارض»

وفي السابع والعشرين من شهر « هاتور» كان يعمل في المدن المعروفة الآن باسم « بوصير » عيد وقوع « أذريس » فى قبضة «صفون » عدوه

والقاء الثاني الاول في النهر . ولذا كان هـذا اليوم عندهم معـدوداً من أيام النحوس وفيه يكون ماء النيل قد انحسر عن أرض الزراعة وانحصر في مجراه بين ضفتيه .

وكان مدة هـذا الموسم أربعة أيام يدور فيها المصريون بثور قرونه مذهبة وعلى ظهره قطعة قماش من القطن أو الكتان مصبوغة باللون الاسود. يشيرون بالثور الى المعبودة « ايزيس » وبقطعة القماش الى مصر لان لونها بعد انحسار النيل عنها يكون أسود . وكانوا بعد هذا الموسم يظهرون الحزن والكدر لنقص النيل ولتغلب الرياح الجنوبية المكنى عنها بصفون على الرياح الشمالية فى ذلك الاوان ولقصر النهار بطول الليـل ولتجرد الارض عن الخضرة وكان الحزن فى هـذا الموسم عموميا عنـد النساء والرجال لحزن « ايزيس » على زوجها « أذريس » وكانوا يكثرون فيه من الصـلاة والقيام وتقديم القرابين من فحول البقر . وكان من عادتهم أن لا يؤخذ من هذه القرابين بعد ذبحها الا الجلد والامعـاء والفخذان والكتفان والرقبة ولحم الكفل . وما عدا ذلك من البدنة يملأ بالدقيق والعسل والتين والعقاقير الطيبة الرائحة ويحرق بالنار ويزيدونه اشتعالا بصب كثير من الزيت عليه . وفى ذلك الوقت يكثر النساء من الصياح والنوح والبكاء والعويل ويلطمن وجوههن وصدورهن ويقطعن شعورهن . وبعد ذلك يأكل الناس ما أخذوا من لحوم القرابين . وكانوا يعملون فى هذا الموسم وغيره من بقية المواسم أعمالا منكرة منها أن يجرح الرجال بعضهم بعضا جروحا بالغة وتشدخ النساء أفخاذهن بحجارة حارة حتى يسيل الدم من هذه الجراح اظهاراً لشدة الحزن والجزع . الخ

وفى الثالث والعشرين كان موسم دفن « اذريس » يشيرون بذلك الى انحباس النيل في مجراه مبدأ زراعة الخريف .

وفي اليوم الاول من شهر كيهك كان يعمل موسم عظيم فى مدينة اسنا لمعبودهم فيها ومن رسومهم فى هذا العيد اظهار جميع أوانى المعبد والحلى ويتقربون بها بالخبز والخمر وغيره من المشروبات وبالارز وعجول البقر والمزروعات على اختلافها

وفى اليوم التاسع من شهر طوبة كان موسم رجوع (ايزيس) من بلاد فلسطين « بعد عثورها على جثة زوجها » وكانت القرابين فيه من فطير فوقه صورة فرس البحر مسلسلة بالقيود . وفى هذا اليوم خاصة كان يرخص لاهل مدينة عين شمس « المطرية » بأكل لحم التمساح . وبعد هذا الموسم بأيام كان يعمل موسم تعويض مذاكير (اذريس) بمثلها من الخشب. والغالب أنهم كانوا يشيرون بذلك الى غرس الاشجار فانه يكون بعد هبوط النيل

وفي التاسع عشر من هذا الشهر كانوا يتخذون بمدينة صالحجر عيداً كبيراً مشهورا بالوقدة التي كانت تعمل فيه وكانوا يشيرون بذلك الى زوال الظلمة التي عمت الارض بموت « اذريس » فكان الكهنة يذهبون في الليل صوب النيل في موكب عظيم به خلق كثير حاملين هيكل « اذريس » مزينا بأنواع الزينة والحلى وفيه قدح صغير من الذهب يملأونه من النيل في وقت معين . وعند ذلك يقول الكاهن وجميع الحاضرين بصوت عال « هاهو جسد اذريس قد اهتدينا اليه » فكانهم كانوا يشيرون بذلك الى رجوع الشمس وكان يتخذ كل واحد منهم صورة هلال يصنعها من الطين المعجون بماء النيل المعطر ببعض الاشياء الذكية

وفى شهر أمشير كان عيد مشاهـدة « ايزيس » لاذريس . يشيرون بذلك الى ظهور المحصولات الصيفية على وجه الارض

وكان لهم فى شهر برمودة أعياد أخر . أولها عيـد تطهير « ازيس » قبل البذر . ثانيها عيد الخصب ووقته سادس عشر هذا الشهر وكانت تجعل فيه بهيكل « اذريس » مذاكير مصنوعة من الخشب أو غيره على صورة أعضاء التناسل للانسان (اشارة الى عملية التلقيح من القدرة)

وفي الغد من اليوم المذكور عيد دخول « أذريس » فى القمر يعنون بذلك اجتماع الشمس والقمر عند الاعتدال . (وكلاهما من الارباب)

ثالثها موسم ولادة « حور » فى الثامن عشر من هذا الشهر .

رابعها موسم معبودتهم « تيت » في مدينـة « بوبست » وهو موسم شهير ولعله أصل الموسم الذى يعمل الآن فى البرارى للقديسة « دميانة »

وكان لهم فى شهر بؤنه عيد يتقربون فيه بفطير مرسوم عليه صورة حمار مسلسل يشيرون بذلك الى تغلب « اذريس » علي « تيفون » أى ابتـداء النيل فى الزيادة ويزعمون أن تلك الزيادة ناشـئة عما سكبته « ايزيس » من الدموع في بكائها على « اذريس » زوجها .

قال هيرودوتس وهذا العيد هو عيد مولد الشمس الذى كان يعمل فى مدينة عين شمس لان الانقلاب الصيفى يحصل في هـذا الآن وهو عبارة عن ابتداء الشمس فى النزول بعد انتهائها في الصعود .

وقد حافظ قبط مصر على عادة الاحتفال بليـلة النقطة التى تكون فى الليلة الثانية عشرة من هذا الشهر .

وكان لهم موسم في شهر مسرى لمولد « هربوخرات » ويعرف عندهم

بموسم السكوت . واشارته حلقة صغيرة كانت توضع على الفم . ولعل هذا العيد هو عيد وفاء النيل . وكانوا يتقربون فيه بكلاب شقراء كما كان اليونان والرومان يتقربون بها ثاني يوم « مسرى » الى كوكب الشعرى .

فمن ذلك يتضح لك جلياً سبب الزيادات على ملة ابراهيم وتقليد بني اسرائيل لقدماء المصريين في كثرة الاعياد على خلاف ما كان عليه جدهم ابراهيم عليه السلام

فمنها تعلموا تعظيم الايام والفصول والمواسم والاحتفال بالزرع والقلع والمحصول وغير ذلك مما لعبادة الشمس وتأثيرها له فيه دخل

(الباب الرابع)

(في أساس العبادة المصرية القديمة وعلاقتها بالاعياد والايام)

ذكر الباحث (لبسيوس) ان قدماء المصريين عرفوا أحوال بعض النجوم السيارة وهي المشترى والمريخ وزحل والزهرة وعطارد وبعض النجوم الثوابت وذكر الباحث (دي روجية) أنهم كانوا يشبهون الارض بالكواكب ويذهبون الى أنها تنتقل كالمريخ والمشترى . وذكر (شباس) أنهم ذهبوا الي ان الشمس مركز جميع الافلاك وتسير في السماء مع الكواكب السيارة وأن السماء عبارة عن يم محيط بالارض والافلاك سائحة فيه وأن النجوم الثابتة عبارة عن مصابيح تضئ بقدرة الله في كل ليلة . وقد اتخذوا بعض الكواكب معبودات عظموها وجعلوها أول الكواكب .

وقد رصدوا الكواكب وحسبوا سيرها وجعلوا مبدأ حسابهم أحوال الشعرى اليمانية وقالوا ان ظهورها أول السنة ومبدأ فيضان النيل ثم قسموا

الشهر الى ثلاثين يوما وجعلوا السنة (٣٦٠ يوما) وقسموا السنة الى ثلاثة فصول فقط. الأول فصل زيادة النيل. والثانى فصل الزراعة. والثالث فصل الحصد. وجعلوا الشهر ثلاثة أعشار كل عشرة أيام جزءا. وقسموا الليل والنهار أربعا وعشرين ساعة متناصفة.

ولما وجدوا أن هذا الحساب لا يوافق حساب منازل القمر والسنة تنقص خمسة أيام وربع أضافوا خمسة أيام على كل سنة وهى أيام النسئ أما الربع يوم فجعلوه فى كل أربع سنين يوما كاملا وأطلقوا عليه اسم يوم الشعرى اليمانية. وقد كانوا يعظمون هذا الكوكب كثيراً ويتخذون له الاعياد والافراح فى هيكل (شيسوحور).

﴿ فصل فى ذكر اختلاف أديان الكنعانية والفلسطين ﴾

(والكلدان وقدماء المصريين وقصة قيامة الارباب)

جاء فى كلام المؤرخ « مسبرو » صاحب تاريخ الامم الشرقية القديمة على ديانات القبائل والشعوب الكنعانية وبنى اسرائيل والفنيقيين ما معناه بوجه الاختصار: ان ذكر ديانة الكنعانية فى أول أمرهم كاملة على حقيقتها من أصعب الامور لانهم دخلوا تارة فى حكم الكلدان وتارة فى حكم مصر فدخل في دينهم وشرعهم أشياء من دين المتغلبين وأحكامهم فمن ذلك اتخاذ المعبود « السمك » الذي كان يعبده أهل بابل عبده الكنعانيون باسم « داجون » ومن ذلك تقليدهم « عشتار » البابلي باسم « عشيرته » وقد يجوز أن الكنعانيين كانوا يعرفون هذه المعبودات فى بلادهم الاصلية قبل هجرة أجدادهم من شواطئ خليج العجم المجاور لبلاد الكلدان « شواطئ

بلاد العرب الغربية » . أما ما قلدوا فيه المصريين من العلوم الدينية والعبادات فقد جاء متأخراً والاظهر أنهم عرفوه في عصر ملوك الدولة الثامنة عشرة المصرية.فمن ذلك الحين دخل التغيير والتبديل فى ديانة « الفنيقيين » فانصبغت بصبغةمصرية فأخذوا عن المصريين قصة«ايذيس»و (اذريس)ووفقوها على معبودهم (أدونيس) وربهـم « عشيرته » فقالوا ان جسد « أوزريس » لما ألقاه « صفون » فى البحر نقلته الامواج من مصر الى أن وصـل شواطئ الشام فاستقر بها جملة سنوات . وكذلك أخـذوا عن المصريين العقيدة في المعبود (توت) رب العلوم والحكمة والاخبار ويقال ان أصـل قصة قيامة (تموز) من ديانة الكلدان

وقد دلت الاخبار على أن الساميين الذين سكنوا مصر فى زمن الفراعنة كانوا يعتقدون ويعبدون ما اعتقده وعبده أبناء جلدتهم المقيمون في بلاد الكنعانيين وسوريا وفينيقيا فمن ذلك استنتج الباحثون أن التوفيق بين الديانةالمصرية والسامية جاء من الجانبين فاشترك فيه المصريون والساميون معاً

وعلى كل حال فان ديانات الكنعانيين والفنيقيين وأهل (ايدوم) وسائر القبائل والشعوب المثبوت نسبها الى (سام) ومن التحق بهم مثل (الحيت) وأهـل (فلسطين) كانت كديانة الكلدان والاشوريين ولكن الكلدان كان لديانتهم رآسـة حافظت عليها فلم يدخلها كثرة التشعب والتشتت أما أهل (سوريا) فأكثروا من اتخاذ المعبودات حتى صار لكل مدينة معبود خاص بها لكثرة القبائل والنازل الا أن كل فريق كان يصف معبوده بالقدرة والتصرف فى العباد . فمن معبوداتهم (آدون) أي المولى و (بعل) أى الملك والسيد ويضاف اسم الجهة التي تعبده فيقولون (بعل صور) و(بعل صيدون)

مثلا وكانوا يطلقون على أكبر هذه المعبودات أسماء مخصوصة مثل اسم (ملك الملوك) ويعتقدون فيهم النسبة والتولد من نور السموات ومن الشمس التى خلقت الاكوان وتنصرف فيها وتحركها.

ومن هؤلاء الارباب الموصوفين بهذه العظمة المعبود (ايل) معبود أهل (بيبلوس) والمعبود (كمش) رب بنى (موآب) والمعبود (عمان) معبود بنى (عمون) وهكذا

وكان لكل (بعل) بعلة مثله موصوفة بالقدرة ويطلق عليها اسم (عشترته) وينسب للزوجين التصرف والتدبير فى أمر من الامور السماوية والحوادث الارضية والقوى الطبيعية وهكذا

ثم أخذ السوريون فى الاتفاق على توحيد الارباب واقتصروا على القول بالمعبود (ايل) والمعبوداة (أيلات) ولعلها (اللات) التى عبدها العرب فى الجاهلية . ثم المعبود (بعل) و (بعلة) ووصف (بعل) برب الارباب وملك السموات والدهر والازل وبالشمس ووصفت زوجته بالقمر

ومن الفرائض الدينية التى كانت فى ديانة (بعل) تقديم الضحايا البشرية وأمور أخرى مخلة بالعرض والشرف أما عبادة (بعلة) فكانت أخف من ذلك وأثقل مافيها أن يضرب الانسان نفسه ليتألم حبا فيها وتقربا اليها وبعضهم كان يقطع آلة تذكيره لينال القرب فى خدمتها وربما اتخذوا الصبيان والنساء للقيام بذلك

وأشهر الاعمال التى كان يأتيها عبدة (بعلة) احتفالهم الذى كانوا يحتفلونه بالقرب من مدينة (بيبلوس) فكان الناس يهرعون من كل ناحية

مرتين في السنة فى فصل الربيع والخريف ويحجون الى حرم (آفاقه)عند وادى نهر (آدونيس) ليتشهدوا حفلة (قتل الصيف للربيع) وقصة ذلك من أعجب القصص مأخوذة عن الكلدان وقدماء المصريين

وهى على قولهم أن ملكة السموات كانت تحب ملك السموات ولكن شيطان من الشياطين كان يحبها ويغار عليها ومن شدة غيظه من زوجها أضمر له الشر ونوى قتله ودخل فى جسم حلوف وتمكن من غرضه وأعدم حياته فأخذت ملكة الملوك جثته لتدفنها ودفنتها بالفعل الى أنه بعدئذ قام من بين بعد سبعة أيام وعاد الى مكانه ومنزلته واجتمع بزوجته

فكان جميع الفنيقيين يحزنون حزنا عاما فى أسبوع الآلام اكراما لملكة الملوك ومواساة لها على قتل زوجها ويسمون ذلك (الحزن على تموز) والاحتفال عبارة عن اتخاذ هيآت نعوش من الخشب يضعون فيها تماثيل للمعبود من الخشب المنقوش بالالوان على هيئة القتيل ويسهرون عليها سبعة أيام فى أشد الكرب وغاية الحزن ثم يدفنونها وفى أثناء الحداد تهرع النساء في الشوارع والحارات والخلوات نائحات باكيات مرسلات الشعور أو محلقات ممزقات الثياب لاطمات مجرحات الخدود ضاربات على الصدور وهن فى أشد حال من الحزن والكرب . وفى اليوم الثامن يصلون على صورة القتيل صلواتهم المذكورة فى كتبهم ثم يدفنونه ومن أول يوم يتخذون قصارى يرشقون فيها غصونا خضراء ويتركونها بلا ماء فتجف من حرارة الشمس

ومتى انقضى فصل الصيف وجاء فصل الخريف تنزل الامطار الغزيرة فى بلادهم وتجرى الى البحر الملح لتصب فيه فيرونها حمراء نازلة في المياه البيضاء

فيقولون هذا الاحمر دم المعبود (أدونيس) نازل على شاطئ البحر وتجدد أحزانهم عليه ويبكون عليه بكاءً شديداً مدة سبعة أيام وفى اليوم الثامن تبشرهم القسس بقيامة ربهم وصعوده الى السماء والتقائه بملكة الملوك فى سمائها فينقلب الحزن فرحا عظيما ويلعبون العابا تشبه قيام الميت من الموت .

وكانت النساء فى تلك الايام تحلق شعورها ولكن المتبرجات كن يضنين بشعورهن فيفدين حلقها بالتسليم فى أعراضهن للاجانب ويدفعن الاجرة لصندوق المعبد . انتهى ملخصا .

حقائق ثابتة

١

لما رأيت أن مباحث مجلة الهداية قد قصر أغلبها على الآداب الدينية والدنيوية مع أن مبدأ المجلة دينى علمى أدبى اجتماعى وجدت ان بذل جهدى بطرق باب المواضيع العلمية سالكا طريقاً سهلا وهو الاتيان بالشذرات المفيدة التي تهم الانسان وتكمل معلوماته لان الاطالة في موضوع واحد فى كل مرة مملّ للقارئ لان القلوب تمل كما تملّ الابدان وسأبدأ من اليوم بالكتابة علّ قولى يصادف اصغاء لانى جديد ولكل جديد لذة (الفلك)

ان كثيراً من الناس يخطئ فى الاتيان بسبب لاحمرار الافق عند بزوغ

الشمس وعند غروبها وأكثر من هؤلاء من جهل ذلك بالمرة مع أن الاثنين لو علما أن الضوء الابيض الذى ترسله الشمس الينا مكوّن من ألوان عدة منها الاحمر والبرتقالى والاصفر والاخضر واللاذوردى والازرق وغيرها وهي التي تُكوّن طيف النور. ولو عرفا أن الضوء يخترق الفضاء على شكل أمواج دقيقة تنتجها سرعة اهتزاز الاجرام السماوية اللامعة ولو فهما ان هذه الامواج المرسلة تختلف طولا وحجما اذ ان الاحمر والبرتقالى يرسلان خيوطا متموجه يفوق طولها وحجمها من تلك التي يرسلها الازرق على الخصوص. ولو فحصا الجو فشاهدا تلك الذرات المختلفة من أتربة ورمال « وميكروبات» التى تنتشر فى الفضا لعلما أن الامواج المتبعة من الخيوط الزرقاء تنشعب فى الفضاء لقصرها واختلاطها بتلك الذرات الموضحة هنا بينما تلك التى تفوقها طولا — الحمراء والبرتقالية — تصل الى العين لعدم تشعبها كلها.

ولما كان من المثبون علميا أن الشمس عند ماتكون بالافق تقطع خيوطها مسافة أكبر مما لو كانت فى وقت الزوال أرى من السهل علينا أن نفهم ان الخيوط الضوئية التى تصل الينا فى وقتى الشروق والغروب أى عند ماتكون الشمس بالافق هي الحمراء والبرتقالية وليست الزرقاء

وان السر فى رؤيتنا السماء متوشحة بحلة زرقاء وليست فى الغالب غيرها هو لقصر أمواج هذا اللون كما ظهر لنا اذ باختلاطه مع الذرات الغريبة المنتشرة في الطبقات الجوية يتشعب فى الفضاء فيكسب كل ماحوله لونه

(الجغرافيا)

يقف الناس دهشين حيارى عند ما يرون نوعين من الاحجار كالجرانيت وحجر الخفان « وهو المستعمل فى تنظيف الاقدام » قذفهما بركان واحد

فوجدا مختلفين الواحـد جميل المنظر متبلور والآخر مظلم قبيح . ولكنهم لا يدهشون اذا ماعلموا ان الجرانيت هو حجر نارى يبرد ببطء فى منبطح الارض ويأخذ شكلا بلوريا لان جزئياته عندفقدهاحرارتها تنتظم فى مواضع مختلفة بأشكال متباينة فينتج من ذلك شكل بلوريا يعرف عندنا بالجرانيت

وأما حجر الخفان فهو مادة ذائبة ملأى بالغازات المختلفة التي عنـد ما تقـذف من البركان يتطاير غازها ويملأ بالمسام جسمها . ولما كان تعرضها على حالتها للجو البارد بسبب سرعة انكماشها نرى جزئياتها غير قادرة على الانتظام فى المواضع المناسبة لتجعل منها شكلا بلورياً وعليه تنتج لنا هذا الحجر المظلم أى الخفان

ومن هنا نعلم أن تركيب الجسم كيماوياً يدخل في اعطائه نوعه ولـكن المؤثر الاكبر هو الوسط المناسب للسرعة وللبطء انكماش جزئيات الجسم اذ من الوسط تأخذ الشكل المميز لنوعها

لانك اذا أخذت حمض الازوتيك المشبّع بالبوتاسا وقسّمته قسمين تركت الواحد لدرجة البرودة الطبيعية وأثرت على الآخر بالبرودة الصناعية ترى أن الاول ينتج أزوتات متبـلورة بينما الثانى ينتج جسما غـير بلورى ذا مسام عديدة .

وظائف الاعضاء

يتساءل بعضنا عما يصيب انسان عينه من صغر الحجم وقلة النظر عنـد تعرضه للضوء الشـديد واتساعه فى البقاع المخيم بها الظلام مع أننا لو عرفنا أن انسان العين هو الـكوة الامامية التى تسمح للضوء بالانعكاس على شبكية العين ولو فهمنا أن هذا النسيج الدقيق السريع التأثر عاجز عن تأدية وظيفته

الحقيقية فى شدة الضوء الا اذا انكمش قليلا قليلا ليضيق قطر دائرته ويخفف وقع الضوء الساطع على الشبكية ليجعله طبيعياً لحكمنا بأنه لا بد أن يتسع طبقاً لما يحيط به من ضعف الضوء أو شدة الظلام ليكسب بذلك ضوءا أفقده اياه الوسط الذي وُجد به

هذا من جهة الضوء وأما من جهة الخطأ الذي يقع فيه الانسان عند ما يرى المطر يهمى صفوفا منتظمة مع أن الحقيقة أثبتت أن المطر ينزل نقطا مختلفة الحجم متباينة الوزن سريعة العدْو فذلك راجع الى أن تأثير أى شئ على الشبكية الحساسة لا يمكث سوى جزء من عشرة من الثانية بعد انعكاسه عليها ولذا ترى أنه لسرعة سقوط الذرات تحدث الواحدة أثراً قبل أن يفارق الشبكية أثر الذرة التي قبلها وبذا تستمر العين تحت هذا التأثير بدون توقف لفاصل بين أى ذرتين لسرعة سقوطهما وهذا ما يجعلنا نرى المطر ينزل خيوطا منتظمة بدل نقط أفقية

النباتات

رأى بعضهم شجرة تبغ فتعجب من امتداد جذرها في بطن الارض بدلا من أعلى سطحها ومن انبساط زهرها ليلا وانقباضه نهاراً مع أنه لو علم وظيفة هذا الجذر أو هذه الازهار لما اعترضه اذ أن للجذر الذي يعد من الاعضاء النباتية الحيوية وظائف مخصوصة يجب أن يؤديها ولأجل تأديتها يجب أن يغرس فى باطن الارض ويظل به ما دام النبات حياً اذ عليه تثبيت النبات فى الارض وامتصاص العصارة المكونة من ذوبان الاملاح الارضية فى مياه الرى وبالجملة لولا وجود الجذر فى باطن الارض لما نما نبات ولما أورق فرع فحمل زهراً

وأما مسألة الزهر فان شجرة الدخان من الشجيرات التي لا ينتشر نوعها الا بمساعدة الحشرات لها وشجرة التبغ لها حشرة مخصوصة تدب ليلا وتنزوى نهاراً واليها يرجع سر نماء وانتشار هذا النبات . ولذا نجد أن زهرة التبغ البيضاء اللون لشدة عرفها تجذب هذه الحشرات الليلة اليها فتحوم حولها لتمتص شرابها فتحمل معها اللقاح من الذكر وتذهب به وهي غير عالمة الى الشجرة الانثى فتكون سبباً في نماء الزرع واكثار النوع

علم الطبيعة

اتفق أن ذهب أحد اخواني الى أرض جبلية فلاحظ أنه لما صعد الى قمة الجبل وجد هناك جواً بارداً خلافا لما هو فوق السهل مع أنه في الحالة الاولى كان أقرب للشمس منه في الحالة الثانية . ثم أنه لما أراد أن يأكل اجتهد في شيّ بيض الدجاج وهو بأعلى الجبل فلم يفلح مع أن الماء كان يغلى ولما أن تذاكرنا سويا اتضح لنا أن حرارة الجو ناشئة من الحرارة التي تدخرها الارض من الشمس وتشععها الى الطبقات الجوية لخفتها عن الهواء البارد ولم تكن ناشئة عن أشعة الشمس مباشرة هذا من جهة ومن جهة أخري نرى أن الانسان كلما ارتفع كلما قلت الطبقات الجوية وينشأ عن ذلك انخفاض الضغط ولانخفاض الضغط لا يجد التشعع الارضى مقاومة فيتجاوزه ويظل الجو على حاله الطبيعي وأما مسألة شيّ البيض فان زلاله لا ينضج الا اذا عُرِّض لحرارة توازى ١٠٠ درجة سنتغراد أو ٢١٢ فارهنت وهذه هي درجات غليان الماء فوق السهل من الارض التي فيها الضغط الجوي يوازى خمسة عشر رطلا بكل بوصة مربعة ومعلوم أنه كلما ارتفع الانسان كلما قلّ الضغط الجوي لقلة الطبقات النسبية له وبما أن درجة غليان الماء تابعة للضغط

الجوى مباشرة ينتج أنه كلما ارتفع الانسان كلما نزلت درجة الغليان الى أقل من ١٠٠ سنتغراد . فاذا فُرض أن صاحبنا كان على قمة جبل يرتفع عن سطح الارض بمقدار ١٨٠٠٠ قدم فان درجة الغليان تكون ٨٠ درجة سنتغراد بدل من ١٠٠ درجة وفي هذه الدرجة لا ينضج البيض

يتلى　　　　خالد المصري

التربية ومواضع البناء

لتربة الارض تأثير على صحة ساكن المنازل المقامة بها حتى لقد يحق أن يقال انه لو كان الموقع غير صحي فليس فى الامكان جعل المنزل صحيا بحال من الاحوال والاعتقاد السائد بانه بقدر ما تكون الارض رخوة (ذات مسام كالرمل والحصى) تكون موافقتها للصحة صحيح على وجه العموم لان الارض تكون حينئذ جافة ولكن هذا الحكم ليس عاما اذأن وجود هذه المسام يسهل تلوثها من المجارى والبالوعات الواكفة لووجدت هذه

وقد تخلل الارض ذات المسام كثير من الماء والهواء ولا يمكن اعتبار الصخور التى لا مسام فيها كالصوان والصلصال والحجر غير ممتصة بل تعتبر صماء ويوجد بين الارض الرملية والارض الصخرية مراتب مختلفة من وجهة قابليتها للترشيح والامتصاص ولنتكلم الآن على الطبقة السطحية ذات المسام فنقول

ان الطبقة الارضية المكسو طبقة أخرى صخرية وتحتوى فى مسامها هواء

يسمى (الهواء الارضى) وتحتها ماء أيضاً على أبعاد مختلفة وهو يسمى (الماء الارضى) ونسميها أيضاً (مياه النشع)

ويكون الماء من مياه الامطار التى تتخلل الارض وتعوقه عن السير فيها طبقة غير نافذة ويوجد فوق سطح هذا الماء الهواء الذى سبق ذكره

ويختلف بعد مياه النشع عن سطح الارض على حسب علو الاقليم وماجاوره وعلى حسب بعد الطبقة التى لا ينفذ منها الماء عن سطح الارض وبحسب سهولة سير الماء فيها نحو مخرجه الطبيعي سواء كان ذلك عنيا أو نهراً أو بحرا فلا يبعد الماء كثيراً عن سطح الارض فى الاراضى المنخفضة كالسهول والوديان ويكون مستوى ذلك الماء غير ثابت فقد يكون بعيداً أو قريبا من سطح الارض بحسب الاسباب فبعد هطول الامطار بقرب المياه من سطح الارض

ويكون سير الماء الارضى فى الجوانب متجها نحو أقرب المجارى كالبحر والآبار والشقوق الصخرية وغير ذلك . ويتبع التغيير فى الارتفاع من حين الى حين تغيير فى مقدار الهواء الموجود فوقه فعندما يكون الماء الارضى كثيراً يطرد الهواء الذى فوقه الى الخارج وعندما يقل هذا الماء يتخلل الارض هواء بقدر النقص فى الماء:وهناك عوامل أخرى فى سير الهواء الارضى لا تأثير لها في الماء أهمها اختلاف الضغط الجوى ودرجة الحرارة وهبوب الريح فيظهر مما تقدم أن بين الارض ذات المسام ورئة الانسان تشابها لدخول الهواء وخروجه بين آن وآخر فهذه الاعتبارات ذات أهمية كبرى وعلى الاخص في الاراضى التى تبنى عليها المنازل

الهواء الارضى رطب فى الغالب وفاسد دائما وتزيد رطوبته بنسبة قربه

سطح الارض. وفساده ناتج من تحلل المواد العضوية التي يأتي بها اثناء نزوله في الارض أو التي قد تكون موجودة بطبيعة الحال في التربة ويدلنا على فساد الهواء في الاراضي التي لا تزال على طبيعتها ولم تدنس بالسكنة قلة الاوكسوجين وزيادة حمض الكربونيه

تتسرب الاقذار الحيوانية التي ربما كانت موبوءة فيها جراثيم أمراض معدية من البالوعات والمجارى البرازية ، الراكنة بجوار المساكن الى الماء والهواء وكذلك يحدث من المواد المعفنة في المقابر والمواد العضوية في الاراضي المصنوعة من قمامات المنازل وذلك مضرجداً بصحة ساكني هذه المنازل وتحليل المواد العضوية (حيوانيه كانت أو نباتية) بالتعفن والتجمد هو بتأثير الجراثيم الموجودة بها والتي نعيش بفضلها يتناهي وقتئذ تحللها الى مخاليط بسيطة (حمض كربون ونوشادر وماء) ويتوقف فعل الجراثيم هذا على وجود الاوكسوجين والماء والحرارة المناسبة فالاوكسوجين موجود في هواء الارض والماء من الماء الارضي والحرارة دائما مناسبة الا وقت نزول الجليد (في البلاد الباردة) فالارض اذن تشبه المعمل الكيماوي الطبيعي فيه تسهلك المواد العضوية الضارة بواسطة التعفن السابق ذكره

ما ذا ينتج من ارتفاع الماء الارضي — عندما يزيد مقدار الماء في الارض يرتفع ويقرب سطحه من سطح الارض فيطرد من الهواء الارضي بقدر الزيادة في الماء وتزيد رطوبة الهواء المنزلي وبرودته بتحيز بعض الماء الزائد وتسري الرطوبة (طوعا للجازبية) في جدر المنزل وتتحيز عندئذ برودة الهواء ورطوبته ويكون ساكني المنزل عرضة للرثية (الروماتيزم) والزكام والصداع والنزلات الشعبية والرثوية والدفتريا والحصبي والسعال

الديكي ولذلك وجب صحيا أن توضع أنابيب تحت سطح الارض لتنقل المياه عن ارتفاعها عن الحد المناسب — ولقد أظهر الدكتور بودتش بالولايات المتحدة والدكتور بكانان بانجلترا في أبحاثهما العلاقة القوية بين رطوبة التربة والسل الرئوى وهذا الاخير ابان نقص خطر هذه الامراض عما كانت عليه فى البلاد التى عملت لها مجارى المواد البرازية وأخرى لتصفية الارض من مائها الزائد.فحيث نقصت الرطوبة كثيراً نقص عدد الوفيات من السل الى الثلثين أو النصف عن ذى قبل

كذلك أظهر الاستاذ بتنكوفر ما بين ظهور الحمى التيفودية بشكل وبائى وعلو الماء الارضى من العلاقة فى ميونخ فبين أن الوباء يكون أكثر انتشاراً عند ما تكون المياه في الآبار قليلة خصوصا بعد هطول الامطار الوفيرة

وبلدت ميونخ هذه قائمة على أرض رملية ذات مسام وكان بها بالوعات للمراحيض فصارت تتسرب المواد البرازية من هذه البالوعات فى التربة المجاورة لها بسرعة وبديهي أنه عند نزول الامطار بكثرة تنقل المياه هذه المواد الى الآبار وربما ينشر وباء الحمى بعد مرور أسبوعين أو ثلاثة على هذا الاختلاط وبعد انخفاض المياه التى فى الارض

وفى الحقيقة ليس لاختلاف علو المياه الارضية فى ذاته من تأثير كبير بل ان التأثير الكبير على الصحة يرجع الى ما ينجم من ذلك من ظهور الهواء الارضى فى المساكن ومن تلويث الآبار كما ذكرنا آنفا

وأظهر أيضاً الاستاذ المذكور مثل هذه العلاقة فى انتشار الكوليرا والاسهال كما أظهر أن رطوبة الارض فى مصلحة حياة البعوض المسبب للحمي الصفراء:

تنتشر عدوي حمى الملاريا بواسطة نوع من البعوض يعيش حيث توجد

المستنقعات فاذا أريد جعل هـذه المستنقعات خالية من الحمى وجب تجفيفها وذلك اما بوضع الانابيب في الارض لتصفيتها أو باكثار الزرع فيها اذ له أهمية كبرى كما يظهر فى المناطق الحارة حيث يمتص من الارض ماء كثيراً يتبخر من أوراقه الخضراء

ولقد قدر أن شجرة البلوط تبخر من الماء ما يوازى ثمانية أمثال ونصف كمية المطر النازل على الارض المظللة بها بينما يتبخر من شجر اليوكالبتوس كمية توازى كمية ذلك المطر أحـد عشر مرة ولذا أكثروا من زرعـه فى المناطق التى تتفشى فيها حمى الملاريا بقصد تحسين حالتها الصحية اذ بتجفيف الارض لا يعيش البعوض الضرورى لانتشار العدوى

ويجب أن يلاحظ أن الرطوبة تساعد على تحليـل المواد القابلة للتعفن ولذلك فان الارض الجافة أطهر من الارض الرطبة والهواء الذي يخرج منها أنقى من هواء تلك: فالاوفق في الاقاليم شـديدة الرطوبة أن ترفع البيوت عن الارض على حنايا مفتحة للهواء والمساكن الخشبية على عمد من خشب وأن يصفى ما جاورها من المستنقعات ويردم ثم يزرع بحشائش يداوم على قصها وأن يستأصل ما يكون عادة بالمستنقعات من النباتات الـكثيفة بالحريق ونحوه

لا تصلح الاراضى المنخفضة القريبة من المـاء للاقامة لاحتمال قرب مائها الارضى من سـطحها أو لبقائه بها أكثر السـنة ولرطوبتها وتعرضها للضباب ولعدم ضمان الاساس بها وان كانت على جوانب نهر فانها تصـير عرضة للفيضان ويصعب كثيراً حفظ الاساس من الرطوبة وتصريف المواد البرازية المنزلية

يستنتج مما تقدم أنه يجب أن يكون البناء فى موقع جاف طلق الهواء مشمس وأرض جافة نقية ذات مسام فى مرتفع ينحدر قليلا لتسهل بذلك التصفية الطبيعية فوق الارض وفى جوفها الوديان الممتدة على اتجاه سير الرياح أجف فهى اذاً أصح من سواها والارض الرملية والحصوية العميقة التى لا يتخللها ماء بالنسبة لعلوها وعدم اشتمالها على طبقات طينية تمنع مرور المياه فيها والاراضى المعتدلة والباردة أصلح أرض للسكنة لانها أدفأ لكثرة امتصاصها للحرارة وأجف الجميع : أما التربة الطينية فهى باردة لقلة امتصاصها للحرارة.ورطبة لحفظها المياه بها ولذا كانت أقل صلاحية للصحة من الاراضى النضاحة ويقل ضررها اذا كانت منحدرة اذ بذلك تسهل التصفية

والاراضى التى من الطباشير جافة ولكنها باردة لقلة امتصاصها للحرارة

ثم ترتيب الاراضى بحسب موافقتها للصحة هو كالآتى.الاراضي الحصوية فالرملية . فالاحجار الرملية فالطباشيرية ثم الصخور (الاراضى الصوانية والاردوازية والحجر الجيرى) والاراضى الطينية والمنخفضة المائية وآخرها الاراضى المصنوعة «المصطنعة»

يشتد الحر فى الصيف فى الارض الرملية حيث لا يوجد فيها النبات لانه يلطف المناخ بتظليله وبما يتبخر منه من الماء وتزداد الرطوبة حيث تكثر الاشجار لان الهواء يسكن فيقل التبخر

كيف تصفى الارض من الماء — لما كان من الضرورى صحيا ألاّ يقرب الماء من سطح أكثر من عشرة أقدام وجب أن تصفى الارض من المياه المتراكمة فيها وذلك بوضع أنابيب فخارية غير مصقولة ولا مدهونة فى الارض بغير أحكام فى اتصالاتها ثم تغطى بعدئذ بالحصى . فيتسرب الماء

الى هذه الانابيب ويجرى فيها ويجب أن يلاحظ أن هذه الانابيب تصب فى حفرة أو مجارى معـدة لذلك خاصة والا تتصل بالمجارى المعـدة للمواد البرازية فى المنازل أو فى الطرق الا عند الضرورة وأن يكون ذلك بعد عمل « الفاصـل المعروف » بينها ولا تحتاج التربة ذات المسام كالارض الرملية مثلا لأكثر من خط واحد من هذه الانابيب بخلاف الارض الصماء لمنع الهواء والماء الارضى من الدخول بالمساكن — تغطى الارض داخل جدر المنزل بطبقة من مخلوط السمنت والحصى سمكها ستة قراريط ويكفي بعد ذلك في منازل المدن الكبرى التى تنخفض طبقتها السـفلى عن الشارع أن تغطى بالاسفلت أو البلاط أو بكتل الخشب الثقيلة التى لخلوها من الشقوق لا تصير ملجأ للحشرات التى توجد عادة في مثل هذه الطبقة من المنازل

وفي المنازل التى لا توجد بها هذه الطبقة المعروفة « بالبدروم » يجب أن يترك بين قاعدة المنزل والارض خصوصاً التى لم تغط بالسمنت مسافة قدمين تتصل بالهواء الخارجي بواسطة نوافذ صغيرة فى جدر المسكن

أساس المسكن والرطوبة — يجب أن يراعى فى بناء الاساس بعـده عن المياه والرطوبة والا تجمعت المياه حواليه فيرطب الدور الاسفل

واذا كان البناء على سطح مائل يجب حفظه في الجهة التى تعترض سير المياه الارضـية ويجب أيضاً أن تكون قاعدة البناء من طينة واحـدة لمنع التخلخل فى المقاومة وأن تفحص الاراضى الطباشيرية لانه ينشأ عن كسر القناوات والمجارى الطبيعية التى ربما تكون موجودة فيها هبوط في البناء لا تستحسن البقع الطينية المنحدرة في البناء لجواز انتفاخها بالمطر الزائد وضمورها بالجفاف وذلك مضر بالمبانى

الجدر التي تبنى من الآجر العادى والمونة مسامها كثيرة وتمتص ماء وفيراً لان القالب الواحد يمتص ستة عشر أوقية من الماء فلمنع الماء من الصعود بالسريان فى جدر البناء يفصل بين الاساس وما يعلوه من بقية بناء الحائط بمادة غير موصلة للرطوبة كالاردواز أو الاسمنت أو طبقة سمكها نصف قيراط من الاسفلت أو ما شابه ذلك فوق الارض بقليل كما يجب أن تفصل جوانب جدران المنازل ذات الرصيفات السفلى عن الارض المحيطة بها بطبقة من الهواء تمتد حتى سطح الارض وتترك مفتوحة ان أمكن والا وجب تغطيتها بمادة غير موصلة للرطوبة وبذا تصبح تلك الطبقات غير رطبة

فى الاقاليم كثيرة الامطار يجب حفظ جدر المساكن من الرطوبة اما بتغطيتها بالاردواز أو ببلاط من الصينى أو بالاسمنت وهو أفضلها

تظهر الرطوبة داخل المنازل الحديثة البناء على ورق الحيطان وذلك نتيجة تبخر الماء من القوالب والمونة وكذلك المياذيب الغير محكمة ينشأ عنها رطوبة فى الجدران

﴿ المسكن ﴾

(اعتبارات عمومية)

يجب أن يكون بناء المنزل بحيث تقابل قاعات النوم الجهة التى يأتى الهواء الجاف الهادئ منها عرضة لرياح الامطار وأن يكن لأشعة الشمس الدخول وقتاً ما بالنهار فى كل قاعات السكنة وأن يكون النور مناسباً لان كثرة الشبابيك عن اللازم تجعل القاعة شديدة الحر والبرد

كما يجب أن يكون النور كافياً فى السلم والبهو والطرقات وأن تكون تهويتها من الخارج رأساً وأن يكون موقع قاعات النوم بحيث يسمح بقدر

الامكان لدخول شمس الصباح وأن يكون نورها الطبيعي كافياً وبيت الاطعمة في الجهة الباردة من المنزل وتهويته سهلة متوفرة وأن تغطى نوافذه بألواح الزنك المثقب لمنع الحشرات من الدخول فيه

ويجب أيضاً أن تكون المداخن متقاربة وأن تحفظ من البرودة لمنع رجوع الدخان فيها وأن تغطى جدر المراحيض والحمامات ومحال أدوات الطباخة بالبلاط الصيني أو أن تدهن بالسمنت وفوقه الطلاء الزفتي

الاوفق لقاعات النوم أن لا تورق وتوريق قاعات الجلوس أوفق ولا بد من انتقاء الورق مصقولا ومطلياً لا خشناً مصاصا للتراب وغيره . تغطية أرض الغرف فتوضع ألواحه جنباً لجنب على مساند من الخشب أيضاً يبعد الواحد عن مجاوره بمقدار قدم وبذلك تترك فراغ بعض قراريط بين الالواح والارض أو السقف الذى تحتها وهذه الطريقة غير مستحسنة لان الفراغ يصير مخزنا للتراب المتساقط من شقوق الخشب ولذا يفضل أن توضع المساند بجانب بعضها حتى لا يبقى هنالك فراغ يسقط فيه التراب

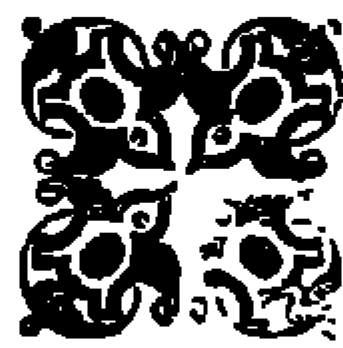
الافيد أن ترصف المراحيض والمغاسل وقاعات النوم وقاعات الطبخ ومخازن الاطعمة وأن تستعمل القوالب المدهونة أو البلاط وأحسن ماينتقى لرصف باقى المنزل هو الكتل الخشبية التى تطلى بعد سد شقوقها بشمع النحل أو الالواح الاخرى

والافضل أن يغطى السقف بمادة غير مصاصة ولا مرشحة اذ أن الخشب يمتص الرطوبة ويأوي الحشرات ويزيد الخطر عند حدوث حريق والاردواز خفيف الا أنه موصل جيد للحرارة فهو لذلك مجلبة للبرد فى الشتاء وللحر فى الصيف والبلاط ثقيل وموصل رديء للحرارة فهو أدفأ فى

الشتاء وأبرد فى الصيف من الاردواز ولقد استعمل الزنك والنحاس والرصاص فى تغطية السقوف فكانت كالاردواز في توصل الحرارة والبرودة وفي عدم ترشيحها

أثاث المنزل — يجب أن يجتنب فى فرش المنازل كل ما يسهل تشبعه بالاتربة ويصعب تنظيفه كالاصواف والستائر الكبيرة والزخارف الاخرى والا تكون السجاجيد كبيرة مثبتة بمسامير فى الارض بل صغيرة سهلة الرفع لتنظيفها من الغبار والعثير

ويجب أن يستعمل في بناء الجدران المواد الصلبة الصماء بقدر الامكان سواء كانت طوبا أو خشباً أو حجراً



موضوعات عمومية

الدين

هل وجدت أم توجد الآن قبائل انحطت في النمو لدرجة أن ليس لها أفكار دينية مطلقاً ؟ هذا هو السؤال الذى مضى عليه قرون يؤيده بعض الناس وينفيه البعض الآخر وكل يعتقد صدق قوله مع عقم الحقائق التى يبنى كل منهما براهينه عليها . اذا لجأ علماء علم الانسان الي نظرية الارتقاء ليشرحوا الحضارة واعتبروا أن سلسلة درجات الرقي تنشأ احداها من الاخرى فلا بد أن يتلقوا خبر وجود قبائل لا دين لها بكل غرابة ودهشة وان يقولوا — بالطبع — هنا أناس لا دين لهم لأن أسلافهم كانوا خلوا من العقائد الدينية . وهؤلاء الناس يمثلون العهد الانسانى الذى لم يعرف ما هو الدين . ذلك العهد الذى تولد منه العهد الديني طبق سنة الارتقاء . على أنه لا يجدر بنا فى البحث في موضوع الرقى الدينى أن نبتدئ من هذه النقطة . اذ لو صدق هذا نظريا لما أيده الواقع . ويشبه هذا ما قيل من أن فى الوجود قبائل لا لغة لها وأخرى لا تستعمل النار . حقاً لا يوجد فى طبيعة الاشياء ما يمنع امكان وجود ذلك ولكن فى الواقع لا نجد هؤلاء القبائل . فمثلا القول بان فى الدنيا قبائل لا دين لها مع أنه ممكن نظريا وربما أيدته الحقائق لا توجد الآن البراهين الكافية لاثباته

كثيراً ما نجد كاتبا يقول على وجه العموم بان فى الوجود أمماً متوحشة لا أثر للمظاهر الدينيـة عندهم ثم تجد فى موضع آخر من كتابه حقائق تنفى

قوله هذا . فمثلا الدكتور لانج لم يكشف بقوله وان همجي استراليا لافكر لهم فى اله أو معبود . ولا معبد عندهم بل قال « بالاختصار هؤلاء الناس لا فرق بينهم وبين الحيوانات من حيث الاعتقاد » واعتمد كثير من الكتاب على جملته هذه ولم يلتفتوا الى التفصيلات التي حواها كتابه والتى منها نستنتج أن هؤلاء الناس قد يلحقهم مرض كالجدرى ينسبونه الى « نفوذ (بوذيه) وهو عفريت سوء يتلذذ بفعل الضر » وله يترك اللصوص بعض العسل فى الخلايا التى يسرقونها . . وفي كتابه أيضاً يقول ان من قبائل « كويتزلان » من يقدم البنات قرباناً لأله الشر إرضاء لخاطره وان مستر ردلي « لاحظ من محادثاته مع الهمجيين أن لهم أساطير . تتعلق بموجود غير طبيعي يسمى « بئيام » الرعد صوته وكل الموجودات من عمله . وآخر اسمه « ترامولم » يعسوب الشياطين مسبب الامراض والضر وصاحب الحكمة ويظهر فى مجتمعاتهم في شكل ثعبان . الخ »

شهادات كثيرين ممن جالوا فى استراليا تتفق على أن سكانها كانوا عند اكتشافها ولا يزالون يعتقدون وجود الارواح والشياطين والآلهة

ولا يقل قول مستر « مفات » عن قول الدكتور لانج غرابه اذ يقول فى سكان بتشيوانا « لم يسمع أصلا عن هؤلاء الناس بخلود الروح » مع أنه قال قبل هذا بجملة « ان اسم ارواح الاموات عندهم (ليريتى) »

ولا قول « دون فلكس دى ازارا » باقل غرابة من قولهما اذ تكلم على كذب القسيسين الصراح فى ادعائهم أن سكان جنوب أمريكا لا يتدينون بدين ما . وقال ان أهالي تلك الجهة لا دين لهم ولكنه في سياق كلامه فى كتابه ذكر أخباراً تدحض قوله هذا . مثال ذلك قوله أن « الپايجوى »

يدفن أدرعا وملابس مع الاموات ويعتقد أن بعد الممات حياة أخرى وأن سكان « جوانا » يعتقدون أن هناك موجوداً يعاقب على فعل السوء ويكافئ على فعل الحسنة .

ولقد استحق هذا المؤلف ـ بانكاره وجود دين أو قانون للقبائل المنحطة بدون مبالاة أو ترو ـ انتقاداً مراً من (دور بيني) هذه ترجمته « هذا ما يقوله سيو ازارا فى كل أمة يصفها بينما هو يبرهن على كذب قوله بما يذكره من الحقائق تأييداً لقوله »

هذه الاقوال ترينا كيف تغشنا الافكار التى تتعلق بالعموميات اذا ما استعملت فى ايضاحها كلمات عامة فى معانى خاصة

« لانج » و « مفات » و « ازارا » مؤلفون مدين لهم علم الانسان بانباء مفيدة عن القبائل التى رأوها . ولكن يظهر أنهم يزعمون أن كل اعتقاد مخالف للاديان الشائعة بين الامم الراقية ليس من الدين فى شيء . فينسبون من يخالفهم فى الاعتقاد الى عدم التدين كما كان ينسب علماء الدين من آلهتهم تخالف الهتهم الى الكفر بالله فقديما وصف الآريون الفاتحون قبائل الهند الهمجية بكلمة « اديفا » أى لا اله لهم . ووصف اليونانيون المسيحيون بمثل ذلك الى العهد القريب منا الذى كان يرمى فيه بالزندقه كل من لم يؤمن بالسحر ثم الى عهدنا هذا اذ يعتقد المجادلون أن الطبيعيين الذين يؤيدون نظرية الرقى النوعي لا بد أن يكونوا كفارا . هذه أمثلة عن فساد الاراء فى الحكم فى المسائل الدينية التى من نتائجها ماعم من عدم فهم أديان الامم المنحطة بدرجة تستعجل المستنيرين بذهل . . لا شك فى أن بعض المرسلين يفهمون ما حوته عقول الهمجيين الذين يحتكون بهم ومن هؤلاء حصلنا على أفيد المعلومات

عن درجات الاعتقاد بين الامم المنحطة ولكن كثيراً من « المتـدينين » يكرهون اعتقاد «الكفار» ويحتقرونه ولذلك لا يضيعون وقتاً فى فهم ماعليه هؤلاء الناس الممقوتون عندهم الذين تسود فى خرائط المرسلين البقاع التي يسكنونها . ما من يهتمون بفهم معنى الدين وطبيعته فى أول درجاته فينظرون المتوحشين بغير هذا الظن . وهؤلاء مع علمهم بالخرافات المعتقدة والفظائع المرتكبة باسم الدين — يبحثون بشغف عن كل أثر للانسـان فى السعى وراء معرفة الحق بما كان لديه من النور . فهم يفكرون فى معانى الاعتقادات مهما كانت طفولية — وقد يكون المتمسكون بهـا تمام التمسك فى عمى عن فهم كنهها ويبحثون عن المعانى المعقولة التى أوصلت الهمجيين الى الاخذ بهذا الاعتقادات التى صارت الآن فى الظاهر أو فى الحقيقة خرافات مبتذلة ينسب صاحبها الى الغفلة الفاضحة . . ويعلمون انه « ما من الامة خلا فيها نذير » أما مكافأة هؤلاء الباحثين فهى فهمهم اعتقادات من يختلطون بهم فهما معقولا . ولا يتسني لعـارف الدين فهمه الا كما يتسني للعارف باللغة فهمها . ولا ديانة منفردة تمام الانفراد عن الديانات اذ أساس وقواعد الديانة المسيحية مثلا متصلة باعتقادات كانت قبل المسيح بمدة تقرب من عهد ابتداء الحضارة لا بل من بداية الانسان

اذا كان الباحثون الذين درسوا ديانات الهمجيين لم يقدروا الحقـائق التى رأوها حق قدرها فلا عجب من تسرع من يحكمون على الاشياء وليس لديهم من الحقائق ما يؤيد حكمهم الذى لا أهمية له بغيرها حكى سائح من سياح القرن السادس عشر عن سكان « فلوردا » قال « أما هؤلاء النـاس الذين لم نفهم لغتهم ولم نهتد الى محادثتهم بالاشارات فنظن أن ليس لهم ديانة

مطلقاً وأنهم يتبعون أهواءهم» أما الاخبار الصحيحة المختصة بهؤلاء الناس فتنبئ بان لهم دينا . ولقد نفت الاخبار الصحيحة كثيراً من الاحكام التي تسرع أصحابها في النطق بها مثل قول « الس » أن سكان مدغشقر لا فكر لهم في الآخرة ولا كلمة تؤدي معنى روح أو عفريت . وقول « دپييه » انه بحث عن ديانة سكان « تيمور » فأخبر ان لا دين لهم

وقو سر «تمس رو » ان « الهوتنتوتيين لا يعرفون الها ولا دينا » . . ومن بين الاخبار العديدة التي جمعها لورد « آفبرى » وقدمها كبراهين على عدم وجود دين لبعض الامم الهمجية أو أن أديانهم منحطة ما هو عرضة للانتقاد من الوجهة التي تقدمت

من ذلك أن قوله ان سكان جزيرة « سموا لا دين لهم يدحضه وصف « ترنر » الدقيق لديانة سكان سموا . وقوله أن » تيوبينامبي » برازيل « ليرى »و« دى لاريه »وآخرون عن مبادئ لا دين لهم لا نسلم به مع وجود مادون ما يعتقده وما يعمل به الجنس « التيوپى » ولشد ما يصعب على الانسان في بعض الاحيان أن يستنبط من الهمجيين تفصيلات دينهم مع علمهم بلغتهم وعنايته وطول اختياره لهم اذ يجتهدون في اخفاء عبادة آلهتهم عن الاجانب الذين يتنسمون الاخبار وكأن آلهة المتوحشين تنكمش أمام اله الابيض القوى كما ينكمش الهمجي أمام الابيض وما شاهده مستر «اسپروت» من هذا القبيل مثال حسن . قال « أقمت بين ظهرانى « الاهتيين » سنتين وعقلى دائما موجه نحو موضوع اعتقادهم وعجزت عن اكتشاف ما اذا كانوا على شيء من اعتقاد قوة كبيرة حاكمة أو بعث بعد الممات . وكان يخبرنى التجار الذين على الشاطئ كما كان يخبرنى من هم على بينة بالاهالى أن ليس لهم هذا

الاعتقاد . وكان يحقق هذا القول محادثتى لبعض الهمجيين الاغبياء ولكنني اهتديت بعد المشقة الى نتيجة راضية »

واتضح أخيراً أن « الاهتيين » كانوا طول المدة مسرين سلسلة مبادئ دينية عن الروح وسرحها وعفاريت السوء وملائكة الرحمة والاله المتعال . اذاً يجب علينا ألا نصدق نفس ماينفيه الباحثون القليلو الخبرة بالقبائل والعديمو العطف عليها . ولو لم يكن لديها من دامغ الحقائق ما يثبت أن لهذه القبائل دينا

اذا أراد الانسان أن يدرس ديانة الامم المنحطة درسا نظاميا فيجب عليه أولا أن يضع تعريفا بسيطا للدين لانه اذا جعل ضمن تعريفه الدين اعتقاد اله أكبر أو مناقشة الحساب بعد الممات أو تخيل الاصنام أو تقديم القربان فلا ريب فى أن ذلك يحمل قبائل عديدة تعد غير مدينة بدين . ولكن هذا التعريف الضيق يخطئ قائله فى اعتباره الدين مطابقا تمام المطابقة لبعض درجاته الراقية وكان الواجب أن يجعله مطابقا للوازع النفسي الباعث للاعتقاد . وان خير تعريف ما تضمن المنبع الاساسى ألا وهو اعتقاد الموجودات الروحانية . اذا لاحظنا هذا الاساس فى الحكم على تدين القبائل المنحطة نحصل على هذه النتيجة وهى : لا يمكن أن نحكم قطعيا بان كل قبيلة موجودة تعتقد الموجودات الروحانية لان حال كثير من القبائل غامض ولا يهدينا الى نتيجة لهذه المسألة وربما لن نهتدى أصلا لسرعة تغير هذه القبائل او زوالها واذا هممنا بذكر كل قبيلة ذكرت فى التاريخ أو عرفناها مما اكتشف من الآثار القديمة بانها وصلت الى أقل درجات الدين فلا اعتماد على قولنا . وما أبعدنا من الحكمة اذا قررنا ان هذا الاعتقاد الهمجى طبيعي ألهمه المخلوقات فى جميع الاجيال ، اذ ليس لدينا حقائق تؤيد القول بان

الانسان القابل للنمو العقلي الكثير لا يمكن أن يكون قد خرج من غير حالة دينية الى الحالة الدينية التي رأيناها عليه في الحالة الهمجية لما وصلنا الي معرفته. ولكن الواجب علينا الآن أن يكون أساس بحثنا النظر والاستقراء لا التفكير البحت . وحينئذ نقول أن ما وصل الى أيدينا من كثير الحقائق يجعلنا نصرح بان اعتقاد المخلوقات الروحانية شائع بين جميع الطبقات المنحطة التي عرفناها حق المعرفة. أما من يخالف قولنا فاما أن يكون كلامه على القبائل القديمة أو على القبائل الحديثة التي لم تعرف حق المعرفة

علاقة هذا الكلام بمسألة أصل الدين تنحصر على ما يأتى: اذا برهن على وجود قبائل في أى زمن كان لا دين لها فذلك مما نقابل بانشراح اذ ندعى أن هؤلاء يمثلون حالة الانسان قبل أن يرتقى الى حالة التدين ولكن ليس من الضرورى أن نقدم هذه الحجة لان اثبات وجود قبائل غير متدينة يتوقف على حقائق لا يشوبها تشويه أو تقصير . وزيادة على ذلك أن رفض هذه الحجة لا يضعف نظرية نشء الدين وارتقائه اذ من الجائز ألا نجد فى أيامنا قبيلة غير متدينة وهذا لا مساس له بمسألة رقى الدين الا بقدر ما تمس مسألة استحالة وجود قرية انجليزية الآن ليس فيها مقص ولا كتب بمسألة أنه مر زمن على بلاد الانجليز لم يكن لهذه الاشياء أثر فيها .

قلنا ان لكل مخلوق ديناً على قدره بيد أن أربعة منها تمكنت من قلوب المخلوقات ونجم عنها حروب غيرت وجه الممالك . هذه هي أكبر الديانات أهمية وأشملها انتشاراً . وهى الاسلام والنصرانية والبوذية والهندية. ولنبدأ بذكر علاقات بعضها ببعض سياسياً . وما قوبلت به كل ديانة من الممالك والحكماء الذين خضعوا لها .

مضي زمن طويل قبل تدوين التاريخ كان الانسان خاضعا فيه لعدة آلهة وتعددت فيه العبادات التى نتجت عن الاساطير الخيالية ونتج تباينها عن تباين أحوال الامم وجدودها . ولا تزال تمثل الدين فى هذه الدرجة أمم أواسط أفريقية .

فى الامم الهمجية ترى أن الاشغال الانسانية والالهية ممتزج بعضها ببعض كأنها سواء . ولا يمكن أن نفرق بينها . ولكن لما أتمت الفرق السياسية ابتدأت تفضل الواجبات الانسانية عن الالهية لدرجة أنك ترى فى بعض الامم الآن ان الضرورات العملية المتعلقة بالحكومات النظامية والاخلاق العمومية تفضل على كل شئ ديني

قد تنمو وتنشر فكرة تعدد الالهة فى الامم الراقية عقلا وحضارة . بدلنا على ذلك تاريخ اليونان والرومان. ولكن تأثيرها فى الاشغال السياسية فى اليونان لم يكن قويا وان كانت قد أثرت بعض الشئ فى الاخلاق . كانت وظيفة الحكومة — طبقاً لآراء اليونان— أن تشرع فى كل ما يتعلق بالانسان وأن تعلى شأن الاخلاق . فكانت قوانينهم تحرم انتهاك حرمة الدين وتعاقب على كل قول أو فعل من شأنه الحط من كرامة الدين

وتعاقب على كل ما يظن أن فعله يجلب على الناس السخط الالهى

أما فلاسفة اليونان فكانوا يعلمون الناس الاخلاق المعقولة ويحتقرون الاساطير ولكنهم نشروا بين الناس واجب احترام الآلهة وحضور الاجتماعات العمومية

كان مستوطنو كل محل يتبعون ماعودوه من العبادات بحرية تامة

ولكن حرية الدين كما فهمها الاولون بينها وبين أصول الحيدودة الدينية الحديثة بون شاسع . فمثلا في عهد الحكومة الرومانية كانت العلاقة بين الحكومة والدين كانت تزداد وثوقا باتساع ملك رومة وقوتها وكان للحكومة الرومانية الاشراف التام على الرسوم الدينية التي كانت معتبرة تابعة لقسم من الادارة : الغرض منه توثيق الروابط بين الناس بجامع الدين المتبع لتفريق الوحدة السياسية والاجتماعية . حقا ان الرومان لم يتداخلوا في الشؤون الدينية في مستعمراتهم لان سياستهم في الاستعمار كانت كسياسة الانجليز في الهند أى من شأنها الابتعاد عن مس كرامة الدين . فسهلت تلك السياسة عليهم حوز ممتلكات شاسعة في زمن يسير فاستفادوا من وراء ذلك ماديا . على أن رومه كانت تسعى في توحيد مراكز جميع العبادات . فكانت توقر آلهة الامم المغلوب على أمرها وترضيهم وكان القواد من الرومانيين يتضرعون ويطلبون اليهم ان يكافؤوهم ويشملوهم بعنايتهم . ثم يجعلون لهم أسماء رومانية وينتخبون لكل اله الها رومانيا يمثله في « البانثين » — أي ان الالهة الاجانب كانوا في الحقيقة يصبغون صبغة رومانية كما كانت تصبغ القبائل والمدن الاجنبية . على هذه الكيفية جمعت الامبراطورية الرومانية بين التسامح الديني وعظيمة الحكومة المركزية . ونجم عن الارتباط السياسي ادخال بعض صفات الهية في عالم السياسية فصار الملك يعتبر مثال القوة والبطش ثم صار يعتبر الصورة الظاهرة للنفوذ في منتهاه . وقبل هذه السياسة كل بسطاء أوروبا .

ولم يسبق للرومانيين — على دهائهم حتى ذلك الوقت عهد بحمية دينية ولا بمعجزات ولا بتمسك بالدين . ولكن كثر توجههم واتسعت تجارتهم في الشرق فبدخولهم آسيا . أغرق أوروبا طوفان الديانات الشرقية فاحتكت

رومه بعوامل دينية قوية يصعب أن تخضع لنظام كالذى خضعت له الديانات الاوروبية ذوات الآلهة المتعددة . ولكن أفلح الرومانيون في سياسة وضع الدين تحت سيطرة السياسة فى ولاياتهم الاسيوية . وتحديد امتيازات المابد ووضع القسيسين تحت ادارة القناصل المتقاعدين وبعد ذلك صار للالهة الرومانية اعتبار فى آسيا

ظهر الدين المسيحى بمشايخه ورهبانه المتعبدين - داعيا الى التقديس لاله واحد ومنكرا على الامبراطور صبغته الالهية وكانت ديانة الامبراطورية الرومانية على شفا جرف من الانهيار .

فقامت الحرب بين الحكومة والديانة الحديثة التى كانت تقاومها وأسفرت النتيجة عن انتصار الديانة المسيحية وانتشارها فى طول الامبراطورية وعرضها. فانعكست الحال وصارت الكنائس أكبر نفوذا من الحكومة لا بل صارت الحكومة آلة تشتغل لنشر الدين . كانت الحكومة ذات الآلهة المتعددة تصدر قررات ضد الديانة المسيحية فلما فازت الديانة المسيحية صارت هى التى تصدر القرارات ضد منازعتها وتوصدأبواب معابدها حتى أتى عهد قسطنطين فحدث الحادث الجلل وهو اصدار قسطنطين أمره بأن تكون الديانة المسيحية فقط ديانة شعبه .

بعد ذلك أتى عهد سقوط الدولة الرومانية الغربية باغارة الامم المتبربرة عليها . سقطت فبنى على انقاضها الكنيسة الكاثوليكية الكبرى التى حافظت على السلطان الاستبدادى وكانت وظيفة الكنيسة العظمى جمع اشتات الامم الغربية المختلفة المشارب السياسية تحت لواء واحد ذلك هو لواء الدين .

لم تلبث الديانة المسيحية وقد استتب لها الأمر — أن دوهمت بالديانة

الاسلاميـة التى هزتها هزة اقتلعتها من جـذورها . اقتلعتها من غرب آسيا ومن الشواطئ الجنوبية للبحر الابيض المتوسط .

أما الدولة الرومانية الشرقية فكانت ملاءى بالاختلافات الدينية المرة. وأما أتباع خاتم الانبياء صلي الله عليه وسـلم فكانوا متحدى الكلمة لذلك ساروا سريعا على سورية ومصر ثم محيت الكـنيسة اللاتينية واللغة اللاتينية من شمال أفريقا وهزم الفارسيون وتدين السواد الاعظم من أهل بلاد فارس بالاسلام ثم فتحت أسبانيا وصباء أهلها . ثم فتحت الدولة الرومانية الشرقية بالعثمانيين . ولقد أخطاء المسلمون فى تسامحهم الدينى مع البلقانيين اذ نشأ من ذلك بلاً مبين وشر مستطير ولو أنهم أجبروهم على الاسلام كما أجبر الاسبانيون المسلمين على النصرانية لأمنا اثارة الروسيا لمسيحي البلقان رغبة فى جعل عالى الاسلام سافله .

ان اصطدام الاسلام والنصرانية طويلا عند الحدود الاوروبية والاسيويه هو بداية الحروب الدينية التي سودت تاريخ الامم الغربية وسببت استمرار اللدد المتمكن من قلوب كل من الاسيويين والاوروبيين . ثبتت قدم النصرانية فى أوروبا وصار للاسلام نصف آسيا . ولكن الاصطدام الشديد بين الدينين سبب التعصب الديني فى نفوس النصارى فكانت الحروب الصليبية باعثة لروح التعصب والبغضاء لدرجة لم نعهدها قبل هذه الحروب في تاريخ الاديان وصار بعدها الغرض من الفتوح والاستعمار نشر الدين بواسطة المبشرين .

ولما حدث الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر انقسم سكان أوروبا الى قبائل متعادية واشتعلت نار الحروب السياسية التي هاجتها معضاة العداوة الدينيـة . لذلك دون في تاريخ أوروبا وغرب آسيا انه كان بين الحكومات

وديانتها الارثودكسية علاقات وثيقه كان لها أشـد التأثير فى سياسة الامم وجدها أو سوء طالعها ردحا طويلا .

لغاية القرن السادس عشر كانت سياسة الاسلام والنصرانية اجبار الناس على الاستمساك بالارثودكسيه وكان عن واجبات الحكومة العمومية أن تضرب على أيدى الكفار أو تنفيهم من الارض أو أن يصبأوا . اذ كانت الحكومات تعتقد أن توحيد الدين فى المملكة ضرورى لتوطيد الوطنية اذ من الصعب رسوخ قدم الحكومة الا اذا كانوا مخلصين لها ملتفين حول عرشها وهذا لا يتأتى فى أمة كثرت فيها الفرق الدينية المختلفة .

على هذه المبادئ رسخت دعائم الاسلام والنصرانية متحدة مع حكوماتها ومنذ الحروب الدينيـة التى حدثت في القرنين السادس عشر والسابع عشر لم تتغير الحدود الجغرافية ولا المذاهب المتباينة لهذين الدينين تغيراً ماديا

ولننظر الآن الى تاريخ الدين فى الشرق الاقصى الذى لم يدخـل فى فتوح اليونان أو الرومان ولم تصل اليه حضارتهما ولذلك لا تزال الاعتقادات والافكار الدينية التى كانت قبل النصرانية منتشرة فيه لكننى سأقصر بحثى على العـلاقة بين الدين وحكومتى الهنـد والصين اذ الديانة الهندية والبوذية لا تزالان ضاربتين أطنابهما في هاتين المملكتين

لقد علمنا ما كان للناس من قوة التأثير في حروب الغرب وسياسته . أما الدين فى شرق آسيا فلم يكن له مثل ذلك . فالحروب الدينيـة — واعنى بها التي نشأت من تنازع الاديان للسيادة - كانت فيما نعتقد نادرة ولم تظهر في الشرق فيما نظن حتى فتح الاسلام لبلاد الهند. ويظهر أن الحركات والتغيرات الدينية في تلك البقاع لم تكن نتيجة حروب أو فتوح أو ثورات سياسية

السعادة

لقد اشكل على الناس وجود السعادة وادراك كنها وهل هى منحة من منح الله التى ليس للانسان يدفيها أولها طريق سنة الله لمن يريدالوصول اليها وهل هي ثابتة لا تتغير باختلاف الازمان والاشخاص أو سعادة الانسان تتبدل بكر الليالى وباختلاف البيئة التي يعيش فيها كل ذلك كان موضع البحث قديما وحديثا فذهب كثير من القدماء كفيثاغورس وافلاطون الى ان السعادة هى تلك الراحة المنفسية التى ينتعش من أجلها الانسان عند بلوغه غايته فراحة العاقل بعد اداء واجبه سعادة . ولذة السياسى لتحرير بلده سعادة ... الخ ويرى هؤلاء الفلاسفة أن تلك الحالة النفسية لا يحتاج معها الى غيرها من فضائل البدن وغيرها فقد يكون الرجل سعيداً وهو ناقص الاعضاء معدم وذهب فريق آخر الى ان السعادة النفسية لا تكون بالغة منتهاها حتى تصحبها سعادة البدن أما الاسباب التى اعتبرها الكثير مصدرا للسعادة فهى الصحة والمال . والدين : أما الصحة فانها تكفينا شر كثير من الآلام الجسمية وتجعلنا قادرين على مزاولة العمل اللازم فى تحصيل المأكل والملبس والمسكن غير أنها لا تعطى الا القدرة والاستعداد فقط

وقد تتعطل القدرة بسبب من الاسباب كأن يكون الرجل بالغا منتهى الصحة وهو مع ذلك فى أشد حالات الضنك والاحتياج وما ذلك من موجبات السعادة .

وأما المال فانه يضمن لصاحبه عيشه اليومى ويسهل له اجتياز الكثير من المتاعب المادية غير ان المال لا يفيد شيئاً فى اجتياز المتاعب الادبية فمن شأنه الميل بالهمة الى الفتور واضعاف الارادة .

ومن أهم أسباب السعادة الامل . والمال لا يجعل للامل محلا لانه يسهل الحصول فورا على المراد وذلك يؤدى الى ضعف لذة الانتظار فالمال يضيع الاهتمام بكل شئ ومتى ضاع . الاهتمام فقد الرجل ذوق سعادة الحياة ذوقا صحيحا فلا يحفل بشئ ولا يحمله شئ على الا اهتمام .

بقى علينا الدين. وقد اعتبر بعضهم كافيا فى تحصيل السعادة فان الدين يساعد كثيراً على اجتياز متاعب الحياة النفسية الا انه ان لم يصادف فى نفس صاحبه قدرة على العمل واستعدادا للكد كان تأثيره قاصراً على التوكل والاستسلام الى حكم الايام ولقد يتذرع الناس بذلك الاستسلام الى الكسل والخمول ويقولون فى أنفسهم ان الحياة لا تساوى تلك المتاعب.فالدين اذا فسد العمل به يصير آلة ضعف وانحطاط مع أنه قوام الحياة وفيه أكبر معين على تحصيل السعادة ولكن الناس يعزون أنفسهم اذا فسدوا بقولهم ان الله يبتلى عباده المخلصين أو بقولهم (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) الى غير ذلك من الترهات والاباطيل ولقد ينال الاستعداد للعمل بالتربية الدينية الصحيحة ثم لنبين الآن ان التعاليم الاسلامية هى المصدر الاصلى لتحصيل السعادة

اذا قلنا ان السعادة حالة ارتياح تقوم بنفس أولئك الذين يتغلبون على متاعب الحياة كما يقول علماء الاجتماع فان الدين الاسلامى الحنيف يدعوا الى تلك السعادة ويحث عليها فالدين الاسلامى يطالبنا بالعمل ويتوعدنا على الكسل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) يطالبنا بالصبر على المكاره ومغالبة كوارث الحياة . حبب الينا الاسلام الهجرة لاعلاء كلمة الله ونشر دينه وهى الاساس الوحيد للاستعمار (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه

الموت فقد وقع أجره على الله) ولقد دعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس الى الخروج عن أوطانهم مهاجرين حتى ينتشر الدين بانتشارهم فى الآفاق فقال أيها الناس ليس الحجاز بدار لكم الا على النجعة فاخرجوا الى تلك الاراضى التى وعدكم الله بفتحها

واذ اعتبرنا السعادة في ركوب البحار واقتناص الصيد كما اعتبرها أهل اسپارطة فقد دعانا النبي الى ذلك اذ قال علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل واذا كان الفيلسوف يري السعادة في البحث عن أسرار الطبيعة وعجائب المخلوقات فان الاسلام رأي ما رأى أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت)

واذا كان السياسي يرى ان سعادة الامم فى استعدادها لصد غارات الطامعين فان الاسلام قد طلب ذلك من أهله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)

واذا كان الخلقى يرى السعادة فى كبح جماح الشهوات وعمل الخير للخير فان الاسلام يدعو الي ذلك ويحض عليه — (وعباد الرحمن الذين يمشون فى الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما) فالاسلام هو الطريقة القويمة لنيل السعادة ولقد كانت حكومته فى الازمنة السابقة أعز الحكومات وأشدها بأسا لمكانة الدين من القلوب فلما خضع الناس لسلطان الهوي وعكفوا على الشهوات أصابتنا من الضعف والتفرق ما جعلنا هدفا لسهام الاعداء . فعلينا معشر المسلمين ان نرجع الى كتاب الله وسنة رسوله ونسير على سنتهما حتى يرجع للاسلام عزه التليد ومجده الاثيل .

الشعر العصري

نجلو على قارئ الهداية قطعا شعرية لشاعر عرفه الشعر فارس ميدانه وصدر ديوانه ورافع أركانه وذلك هو الشاعر البليغ الطائر الصيت السيد حسن القاياتي المصري

انا لانقول في وصف هذا الشاعر أكثر مما ينم عليه به شعره ومايتم الاعن شاعرية وافية وألمعية يفخر بمثلها قالة الشعر وبراعة ترفعه الى مكانة أمثاله في المتقدمين

وانا ليسرنا أن يخص حضرته هذه المجلة بنفقاته البليغة فيما يتوخاه من مختلف المقاصد . قال حفظه الله تحت عنوان :

الحرب الحاضرة

بعض التدلل ياكل الأماني ... هـذا غرامـك مود بالقياتي
ما بال هجرك مقضيا توعده ... وليس وعـد تدانينـا بمقضي
أهل لرفقتك مطوى الضلوع على ... جمر ذكى وداء غـير مطوي
ماعهد(احسان) منسيافهل تركت ... لى الملولة عهداً غـير منسى
سقيا لليـل تلاق ماظمئت به ... الا ترشفت من معسولها ريى
يهدى لى الشوق خديها ويتحفها ... بخدى الشوق ورديا بوري
وفي (الجزيرة) كم زارت بمعصمها ... خصري كمهدك بالرقص الفرنجي

قولا (لتركية) العينين رامية ... مهلا كفاك الترامي كل (تركي)
لله أهلوك اذ ردوا عداتهم ... الى الهدى بعد طول الزيغ والغي
هم أشبعوا القوم طعنا في (طرابلس) ... بالسمهري وضربا بالسريجي
لا در در بني (الطليان) اذ حسبوا ... أن ليس وعد تلاقينا بمأتي
مناعم النوك أن يعطوا (طرابلسا) ... ولا تنال المعالي بالاماني
هيهات أو يتلقوا دون ساحتها ... قوما من الجن في زي الاناسي
لم يحسبوا الثغر محميا كما تركوا ... في (دورهم) كل (ثغر) غير محمي
ويلي على (حضري) [1] قاد (صبيته) ... جهلا الى كل مر الطعن (بدوي)
لاقي بهلكي اذا جد الطعان بهم ... لاذوا من الطعن بالدين الحنيفي [2]
تلك (القواذف) قد خارت شقاشقها ... صمت المحدث من ضعف ومن عي
ماذا تنال العدي من جمع معتزم ... عز الحنيفي فيه بالمسيحي)
اذا الملوك استبدت في رعيتها ... لم نخش حيف عقيد العدل (شوري)
سد ما تشاء (أمير المؤمنين) فما ... يرتاب قومك في النصر السماوي
هذا اليماني فاجعل حده حكما ... ان الحكومة في حد اليماني

وقال تحت عنوان

نفثة مصدور

بغيري لا بي أوقع الضيم أو هما ... فرغما لمن يغضي على ذلة رغما
أبيت فما تهوى الى دار سبة ... خطاي ولو أن المنى كلها ثما

(١) هو قائد الطليان (٢) اشارة الى ما يصنعه الطليان اذا استمر فيهم القتل

أجانب ورد المـاء في صفوة قذى — واشرب دون العز أطابه السما
اذا ما استذم المرء للناس لم يكد — يرى عاذرا من لا يقطعه ذما
كفى شرفا ضخما حياء وعفة — لمن لم يصب في بيته الشرف الضخما
لدى النجم حاج يستهام بها فتى — يرى نفسه هانت اذا ركب النجما
نجيب من الفتيان من أولعت به — لياليـه من جهل فأوسعها حلما
أذم زمانا أخملتـني صروفـه — وهل ردمن غرب الحوادث من ذما
ضياعا لتلك الشمس ان هي أشرقت — فلم تر فيمن طالعتـه سوى أعمى
من النبل ان تخفى على الناس طلعة — وان يعرفوا منك المحامد والاسما
رأوني فقـالوا ان تحت ردائه — هـلالا ترجيـه المكارم لو تما
عليّ لهـم أن ينطـق البكم شـائق — من الشعر أهديه وان يسمع الصما
أفي الحـق الا يذكر الناس ناشـئاً — بعـلم كـأن السن تكسـبه علما
يعدون نجم الذكر لا القول شاعراً — وأولى به من كان في شعره نجما
منحناهم جم الملاحـة فانثنوا — الى كل من يونيهم السخف الجمـا
يسـمون للبـلوى . فلانا . مبرزاً — هزيشابمن سموا طويلا ومن سمى
لقد كان طول الصمت حزما لقولنا — أطالوا هراء القول لوفقهوا الحزما
حمونا كـما قالوا الاجادة بتة — الا كذبوا ان الاجادة لاتحـمى
أعيذك ان ترتاب في زيـي كاشح — فتحسـبه سلما وليس الفتى سلما
سأقطع من لا يمنح النصف أهله — وان مضّ قطعيه الفـؤاد وان أدمى
دعوني ممن يرأم الظـلم جانبا — أبى شرفي الوضـاح أن أرأم الظلما

التمثيل العربي

وجورج ابيض

نرى جميع الامم الغربية الراقية تجل النقد وتعتبره أعظم منظم للأعمال ومثقف للعقول ولولاه ما بلغت أعمالهم مبلغها من الاتقان وسلامة الذوق

يخرج الكاتب أو الشاعر للناس ما نفحه به خياله والعالم ابحاثه والمصور ما جاد به بنانه وريشته والحفار تماثيله ويتمنى أن ينتقده مشاهير المنتقدين واثقاً بأنه سيستفيد من دروسهم أعظم مما أحرزه فى المعهد الذى تهذب فيه وياويل من لم تنل عمله أقلام النقد فانه ينقلب على عقبيه بالخسران ويقضى على عمله بالازدراء والنسيان

ان خلا النقد من الغرض وكان رائده الصدق والاخلاص عاد بالنفع وقابله الرأي العام بالارتياح ولكننا معشر المصريين نتذمر منه ونتبرم به ونعده من وسائل الانتقام وتصبو نفوسنا الى المدح والتقريظ ونستجدي الكتاب ليغدقوا علينا من فيوض تقريظهم قبل ظهور أعمالنا ولا نزال نلحف في السؤال ونضايقهم ونسد عليهم المسالك فى المنازل والطرق فلا يجدون لهم مفرجا من كربهم ومخلصا من ضيقهم الا التقريظ فيكتبون ما يخالف ضميرهم وما ينفخ أوداج حضرة المؤلف الفاضل بالغرور

تمنينا لو نرى يوما من يستنقذ التمثيل العربى من هاوية انحطاطه فقيض الله لنا جورج افندي أبيض ودخل فى احد المعاهد الاهلية لتعليم التمثيل بفرنسا (كونسير ڤاتوار) فنال فيه الجائزة الثانية فى (التراچيدى) والاولى

فى النطق والثانية فى (الكوميدى) ثم سافر مع الممثل الشهير (سيلفان) الى المغرب وبعض بلاد أوروبا ولم يمكث معه طويلا . فبعمله هذا يستحق وافر الثناء والاجلال لا سيما حينما نعلم أنه ليس من المثرين وانه استعان على نفاذ مشروعه ببيع عين كان يملكها وضحى وظيفته في احدى محطات الاسكندرية ولم يجد من يرد وأعانه الا قبيل خروجه من (الكونسير فاتوار) فحبذا العزيمة ونعم الاعتماد على النفس لبلوغ الغاية

لم يبلغ نوابغ الممثلين مثل (مونى سوللي) و(لامبير) و(سيلفان) و (كوكلان وأخيه) و (دوفيرودى) و (لوبارچى) و (لولوار) وغيرهم ومشاهير الممثلات مثل (ساره برنار) و«ريچان» و«مرجيريت مورينو» و« ديلمير » و«چان ايدنج » و«وسوزان ديبريس » وغيرهن ما أحرزوه من الصيت وحسن المنزلة الا بعد ما عالجوا التمثيل أعواما طوالا متنقلين من مسرح الى آخر أرقى منه حتي بلغوا غاية الغايات . وفضلا عن نبوغهم فى الفن نراهم معدودين من أفاضل الكتاب والروائيين . ومن ضمن مؤلفاتهم رواية « شيخوخة دون چوان » لمونى سوللى وله أيضاً شعر رائق وخطب جيدة . وقد كتب « كوكلان اينيه » عدة مؤلفات منها « الفن والممثل » و« الممثلون » و« فن قول المونولوج » ومما كتبه أخوه الاصغر « كتاب الناقهين » و « المونولوج الحديث » و « المراء » و « الضحك » و «المزاح » وغيرها . ومما كتبته « ساره برنار » : « خلال السحب » ورواية « الاعتراف » ورواية « ادريين لوكوڤرور » وقد حازت اقبالا عظيما وفاقت أختها التى وضعها « اسكريب »

من مميزات الممثل التى تؤهله للنبوغ أن يكون عالما بلغته وآدابها ليفقه

خفى المعانى ودقيقها فى المنثور والمنظوم حتى ينبعث فيه التأثر وتترجم نغمة القائه عن شعوره ويطابق تمثيله الحقيقة ولا يتكلف الاشارات والحركات وأن يكون فصيح اللسان ذا صوت مناسب لدوره الذى اختص بتمثيله وذاكرة قوية تغنيه عن الاستغاثة بالملقن والتمتم عند الالقاء

شاهدت تمثيل جورج افندى أبيض باللغة الفرنسية فى رواية « اندروماك »فلم يعجبنى منه الا حسن النطق والالقاء ولكن لهجته ونغمته كانت واحدة لا تتغير وكان يسرع في القائه لدرجة لا تسمح له أن يتمكن من تنويع الالقاء حسب تأثره وشعوره ووفق مقتضيات كل مقام وكان من ضمن جوقه ممثل وممثلتان أدهشوا الحضور بتفننهم وابداعهم وكان أبيض أفندى بجانبهم أشبه بتلميذ لهم وما كان ذلك رأيي وحدى بل شاركني فيه من كانوا حولى من نبهاء الافرنج المولعين بفن التمثيل. وكانت حركاته ملؤها التكلف خالية من الرشاقة وخفة الحركة

ما فتئت هذه الصفات باقية في تمثيله العربى بل زادها سوء النطق وتكلف الالقاء واللحن الفاضح

كان فى « أوديب الملك » عاطلا من هيبة الملوك وعظمتهم وروائهم ولولا ما امتاز به من الملابس لعددناه فردا من الحاشية . ولكنه كان أحسن قليلا فى دور « لويس الحادى عشر » ولولا التأوه وتكلفه فى الاشارات والحركات لما وجدنا للنقد اليه سبيلا

وان كان بعض القراء رأوا « أوديب الملك » حينما مثلها « مونى سوللى » منذ بضع سنين بمسرح الاوبرا فانهم يستقلون نقدنا وينفرون من تمثيله العربي ولو علم القراء أن هذا الممثل العظيم كف بصره منذ أكثر من عشرة

أعوام لزاد تعجبهم ودهشهم. وقد مثل أيضاً منذ عشر سنين تقريباً « لويس الحادى عشر » بمسرح الاوبرا « الكومندوراريميتى نوفيللى » زعيم ممثلى ايطاليا فأدهش المتفرجين مع كون أغلبهم يجهل اللغة الايطالية فكان آية فى البراعة والمهارة يمثل تمثيلا لايختلف عن الحقيقة دون تكلف مع طلاقة اللسان وفصاحة التعبير وحسن الالقاء وتنوع السحنة مع التأثر

مثل الممثل الطائر الصيت « لوبارچى » فى اليوم الثلاثين من شهر مارس من هذه السنة رواية « سيرانودوبيرچيراك » وهي المؤلف الرئيسى لنابغة شعراء العصر فى فرنسا « أدمون روستان » بمسرح برينتانيا فوطدت العزم على مشاهدتها ولو أنى رأيتها عدة مرات من غيره وكانت نفسى تحدثنى قبل رؤية التمثيل كيف يكون شأن هذه الرواية مع ممثلنا هذا لانها ليست من النوع الذى يمثله ولم يسبق له تمثيلها وخالجنى الشك لان الرواية شملت أغلب أنواع التمثيل من رقيق المزاح الى شائق النكات ومن شهى المناقشات فى الحب الى رقيق الحيل ومن حماسة الابطال الى رقة المحبين ومن رشاقة فتيان « الجاسكون » وخيلائهم وكبريائهم الى آلام الحب والمصائب وبحران الموت

وما تم التمثيل حتي بهت وأخذ منى الدهش كل مأخذ وحرت في أمرى ولم أعرف من الافضل فى تمثيل هذه الرواية « كوكلان » أم (لوبارچى)

ومن الغريب أن هؤلاء النوابغ لا يقلد بعضهم بعضاً اذ كل واحد منهم يختلف عن الآخر فى القائه ولهجته وحركاته واشاراته وهو الذى يبتدع لنفسه شكلا خاصاً من عندياته

كان يدعونى فضولى الى تكرار رؤية الرواية الواحدة من عدة ممثلين من هؤلاء المشاهير لا قارن بينهم وأرى ابتداع كل منهم . وقد شاهدت

رواية « البخيل » من مؤلفات (موليير) من (كوكلان) و (دوفيرودى) و(لولوار) فلم أر واحداً يشبه الآخر وكلهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها

يخيل الى أن جورج أفندى أبيض لا يعنى بتدريب جوقه تمام الاعتناء لانى لاحظت أن فهيم أفندى وهو يمثل دور العراف فى (أوديب الملك) يصيح صياح الفتيان الاشداء بصوت كالرعد مع كونه يمثل دور شيخ هم يناهز التسعين وكان هو هو فى دور الكاهن الهرم فى رواية (لويس الحادى عشر) . وشاهدت بعضاً من المنشدين يهزون رؤوسهم بشكل مضحك أشبه بمنشدى الاذكار في الموالد وكل الممثلين لا يحفظون جيداً أدوارهم وينصتون الي الملقن الذى يقرأ بصوت عال يسمعه جميع الحاضرين

ومما يغبط عليه ابيض افندى ان أتاح له الله عبد الرحمن افندى رشدي ذلك الشاب الحقوقى الاديب الفاضل من كان فى عقد جوقه درة يتيمة وفى سماء المسرح بدراً تماً ولقد جمع بين الفصاحة وحسن الالقاء واجادة التمثيل معبراً عن شعوره وتأثره باصوات تختلف نغماتها دالة على ما يخالج فؤاده من رقيق العواطف وشديدها . وكان رشيقاً فى مشيته خفيفاً فى حركاته وسكناته وقد ظهرت آيات مهارته في دور نيمور في رواية (لويس الحادى عشر) حتى سحر الالباب ببراعته وانطلقت اليه الالسنة من كل صوب ناطقة بالثناء والاعجاب والاكف بالتصفيق الحاد

كان المتفرجون يتساءلون كيف برع هذا الشاب لاول وهلة دون أن يعالج التمثيل أو يطرق أبواب (الكونسير فاتوار) ؟

يذهب عنهم العجب لو علموا أنه منذ صغره وهو مولع بالآداب العربية

والافرنجية وانه قرأ مؤلفات (فيكتور هوجو) و(لا مارتين) و (الفريد دوموسيه) و (موليير) و (راسين) و (كورنيي) و(جوت) و(شكسبير) وغيرهم من شعراء الافرنج وكان يحل العويص من شعرهم ويفهم خفى المعانى دون اجهاد فكر . وما كان ليفوته ممثل عظيم سواء كان فرنسياً او ايطالياً او انكليزياً أو صقليا وقد رأى أخيراً (جراسو) عدة مرات بمسرح عباس وهو يمثل بلغته الصقلية .فمعرفته بالآداب ومواظبته على رؤية التمثيل الجيد وذوقه السليم الرفيع وميله الشديد الى التمثيل هى التى هذبته وأهلته لهذه المنزلة السامية فى الفن وسيكون له شأن عظيم بعد قليل من الزمن

ألحان الاناشيد جيدة هى والموسيقى ولكن عدد الموسيقيين قليل جداً ويلزمه على الاقل خمسة وعشرون ويكون فيها بعض الآلات النحاسية لتوازى قوة أصوات المنشدين ولا تغطى عليها وعدد الموسيقيين بمسرح الاوبرا ستون دائما . وما الفائدة اذن من وجود عدد قليل من الموسيقيين لا يظهر صوت آلاتهم الوترية بين أصوات المنشدين

لاحظت عليهم أيضاً انهم لا يوقعون بين الفصول الا ادواراً تركية ولا أدرى ما الذى حداهم الى هذه الفكرة هل اعتقادهم بأنها ارقي موسيقى فى العالم أم ظنوا أن أذواق جميع الحاضرين ميالة اليها . لا أنكر عليهم الرأى الاخير وان كان فيه استثناء كثير ولكن السبب راجع الى عدم التعود الذى جعلنا نسمع الموسيقى الغربية باشمئزاز وننفر منها لجهلنا بها وعدم اعتياد آذاننا سماعها . فالاجدر بهم اذن أن يضربوا تارة قطعة تركية وطورا دوراً

غريباً لنرضى الفريقين ونعتـاد شيئاً فشيئاً فهم أسرارها الخفية ونغماتهـا السامية ومعانيها الدقيقة

ومن الغريب أن رواية مثل (أوديب الملك) تبلغ من العمر ٢٣٢٧ عاماً ويوقعون لها فى أدوار رقصها (ڤالزات) حديثة من المبتذلة فى قهاوي الرقص الافرنجية فكان الاولى لهم أن ينتخبوا لها فصولا من رقص الاوبرات القديمة وهذا شيء لا يعد . أما رقص رواية (لويس الحادى عشر) فكان مناسباً جداً للمقام ولقد أحسن الشيخ سلامه حجازى فى وضع لحن نشيده على نغمة رقص (التارنتيلا) الذى كان يرقصها القرويون يصحبها قطع أخرى متنوعة فى الرقص فكان الغناء والحركات والموسيقى على نغمة وحركة واحدة وهذا مما يدل على ما أسعد به الشيخ سلامه من سلامة الذوق

وقبل التكلم على تعريب الروايات وانشائها نلفت القراء لامر وهو ان التمثيل واسطة لتسهيل فهم ما استتر من خفى المعانى وعويصها وابراز الانشاء للسامع باكمل معانيه وأبهى محاسنه والفضل فى ذلك راجع الى فصاحة الممثل ومهارته فى الفن وحسن الالقاء . والناس لا يهرعون الى المسارح تطلعاً الى المناظر أو شوقاً لرؤية الوقائع والحوادث اذ لو كان الامر كما ذكرنا لاغنانا (السينماتوغراف) عن أهم المسارح ولكننا نؤمها طلباً لاستماع شعر رائق أو نثر شائق تزينه بلاغة نادرة ومعان باهرة يتخللها من رقيق العواطف ما يلين الافئدة القاسية وحبذا لو أسعدت باسأن ممثـل فصيح ماهر يزيدها جمالا وتأثيراً

من أنعم النظر فى ترجمة الروايات وجـدها ممسوخة مشوهة ركيكة التعبير سخيفة الالفاظ والتراكيب مما ذهب بمعانيها الرائقة وكساها اطماراً

بالية سترت محاسنها ونفرت منها الاسماع والقلوب . واليكم أيها القراء بعض أمثلة من رواية (أوديب) — فان كان ذلك كذلك - يا امرأة (وقد تكررت مراراً عديدة فى خطاب الملك لزوجه والملكة لخادمها) مع أن الترجمة الفرنسية لم يذكر فيها غير (سيدتى) وأظن أن المعرب رأى أن لفظ (امرأة) ملائماً للآداب السامية اكثر من لفظ (سيدتى) — وكان مشهدموتها مشهداً هائلا — المواشى - (وهى كلمة ابتذلت على السنة العوام والقرويين وتكررت بلفظها من اول الرواية لآخرها وان كان العلم بارح الصدور فانه لم يفارق السطور وحولنا من كتب اللغة والمترادفات شىء وافر) وكثيرا مايتكلف السجع السمج ومن ضمن سجعاته التى حفظها عن كتاب الف ليلة وليلة قوله : فاصبح فى هم شديد وغم ما عليه من مزيد — يلتمس تخلصاً يتخلص به — وقد فاته انه من الادب أن لا يستعمل الكاتب لفظاً مهما كان عربياً فصيحا ان كان معناه فى العامية قبيحا كاستعماله (البشر) عدة مرات وهاكم بعض نماذج من فصيح انشاء (لويس الحادي عشر) يعد له فى روايته نحو الثمانين مرة قوله (ومع ذلك (— مع ذلك نراه غيرة من ولى عهده حريصا على التاج يريد أن يحمله وحده وان ناء به الحمل فهو وان يكن نصف حي رجل فى القصر ورجل فى القبر لا يزال قابضاً على مطلق السلطان نعم هذا رسمه هذا هو بالذات

نراه فى الصحيفة السادسة فى الفقرة التى يخاطب بها (كواتييه) (كومين) وأولها بل (بل هو فى نظرى شديد) قد مسخها ولم يراع الاصل وترك منها خمسة أبيات وهى السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر من الفقرة . ومن رقيق عبارات هذه الجملة قوله : ثم هو الذى أشار على بدخولى البلاط معللا

ایای بسمو المكانة وتسلطت بعلمي على ذلك المتسلط عليكم جميعا — فنيمور — اذن سبب نعمتى مع ذلك ما استطعت حمايته — وقوله فى مواضع أخرى — مخافة واش يشى بك (وهي أشبه بقولهم كوشن شين واشكوك كوك كي ينفك عن كدرى — فان لا استبد به يستبد هو بى ولعمري أما هو مستبد بى — أنا ثم أنا على انه اذا كان — لقد نكد عيشى لذلك أنكد عيشه — على أن الجو جميل اليوم والفلاحين فى رقص وطرب وذلك مما يجعل زيارة الملك لبيعة العذراء بهيجة الرونق فيبعث الى نفسه شعاع السرور — بين أيدى مراضع جاهلات منصرفاً الى الالعاب الصبيانية بلا تعلم ولا تربية — ومنذ أتى بى الى هنا أى شىء أفدته — لسرعان ماتنسين كلام أبيك — لا تمل ربما فوالله لاخلعن فؤاده رعباً ولو لم يشعر الا بهذا العذاب لكنى — أريد أن أشاهد جبينه الملكى يصفر أمامي فقد رأى هو اصفرار جبيني — اذن فليمنحني اياها — تلك بعض أمثلة من صدر الرواية وما على القارىء الا أن يطالعها لآخرها ليشاهد الفصاحة المتدفقة والبلاغة المتفجرة والبيان الساحر والاعجاز الباهر

وسنكتب كلمتنا على تمثيل رواية (عطيل) حينما نشاهدها في اليوم التاسع من ابريل

شاهدت رواية (عطيل) فوجدت فيها جورج أفندى أبيض كما شاهدته فى رواية (أوديب) بل زاد جمودا فى الحركات وبطأً فى الاشارات فكان يخيل الي أنه شيخ فى السبعين من عمره وكان فى صياحه المتواتر يخرج من حلقه صوتا أشبه بخوار البقر ورأيته لا يفارق الملقن لعدم حفظه دوره

رأيت عزيز أفندى عيد في هذه الرواية وحدها فاعجبني قليلا فى تمثيل

دور لئيم شرير نمام منافق ولكنه سيء النطق ضعيف الذاكرة جداً وان حفظ كلمة يذ ى ثلاثا . ينطق بكلمات متقطعة كطفل يتهجي وقد وجدته سمجا فى حركاته وسكناته . ولا حظت ان فهيم أفندي فى دور (الدوج) أحسن من دروه في الروايتين السابقتين لانه يحسن دور الملوك والامراء لاختصاصه به من عهد بعيد .

ولقد اخمد تأثير المشهد الاخير في فؤادى جمود الجند والحاشية وعدم تأثرهم ودهشهم من رؤية هاته الجثث الهامدة المضرجة بدمائها فكانوا كالنيام أو الخشب المسندة

ما فتئت الموسيقى توقع فى أدوار الرقص (الفالزات) المبتذلة المرذولة المهجورة وقد تحققت الآن ان أغلب الموسيقيين لا يستطيعون ان يوقعوا ادواراً من الموسيقى الراقية «كالاوبرات» فالاجدر بابيض افندي ان يستعين بالموسيقيين الافرنج ولا يترك في جوقه من الوطنيين الا القادرين على توقيع اية قطعة مهما بلغت صعوبتها ونصف الموسيقيين بمسرح الاوبرا من المقيمين بالقاهرة والمدينة حافلة بمئات من مهرة الموسيقيين

أما ترجمة (عطيل) وانشاؤها فهما كالحسناء وخيالها فى المرآة جمعت بين البلاغة النادرة ومتانة الاسلوب وسبك المعانى الافرنجية فى قالب عربى صميم يزينه ذوق سليم وتراكيب تستهوى الافئدة رقة وعذوبة وتقع فى الآذان كرنات المثالث والمثانى . فلا فض فوك أيها الكاتب القدير وان عظام (شكسبير) لتثني عليك فى قبرها فقد حافظت على جمال انشائه ومعانيه وابرزتها لمصر فى ثوب قشيب من البلاغه

وانى أقترح على أبيض أفندى أمرا نافعا مفيداً يأتى بالغاية المنشودة

وهو ان يعمد فى الترجمة الى سبيل المنافسة العامة ويعلن للملأ الرواية التى يريد تعريبها ويعين جائزة لا تقل عن أربعين جنيها تعطى لمن يحوز قصب السبق فى مضمار الترجمة والانشاء وينتخب بعد الاستشارة لجنة تحكيم من أعظم النابغين في الآداب الافرنجية والعربية وأفاضل الكتاب فى العربيـة يناط بهم اختبار الترجمة والانشاء

سمعت ان جورج افندى سيحضر رواية سيرانودوبيرچيراك بعـد الانتهاء من ترجمتها فاخذ منى العجب كل مأخذ لصعوبة دور «سيرانو» ودور «روكسان» وقد بينا ذلك فى موضعه . وفضلا عن ذلك فان الرواية جمعت من النكات الافرنجية والهزل مالا يستملح الا فى لغتها وعند قومها وكلنا نعلم ضعف الممثلات فاين نجد من يستطيع ان يمثل دور « روكسان »

لعمرك قد سلكت طريقا وعرا تحفه العقبات وان استطعت سلوكه فانك لا تجنى منه الا السخرية والا زدراء

وقد فاتتك رواية عربية قريبة المنال فى التمثيل طار صيتها فى الآفاق وجمعت بين رقيق القريض وساحرا لمعانى وشائق الالفاظ ومكارم الاخلاق والآداب السامية العربية كانت تستحق ان تكون فاتحة لتمثيلك الا وهى رواية (عنترة) للشاعر المجيد (شكرى أفندى غانم) من تفتخر به سورية بل الشرق أجمعه وقد أبت وطنيته الا أن يبدأ بتمثيلها على مسرح شرقي فاختار الاوبرا الخديوية ومن حظه ان كان جوقها وقتئذ مركبا من خيرة الممثلين وفى مقدمتهم الممثلة الطائرة الصيت (مرجيريت مورينو) و (دارا جون) و (مونتو). وقد حازت الرواية اقبالا عظيما فى مصر ثم انتقلت الى المسارح الاوروبية وابتدئ بتمثيلها فى مسرح (الاوديون) فاعجب بها الغربيون ايما اعجاب

ودهشوا ان راوا شرقيا يكتب بلغتهم هذا الشعر الشائق وقرظتها أعظم الجرائد والمجلات الفرنسية

تلك كلمات تشف عن خالص النصح واوحى الي بها الوفاء والولاء فان قابلتها بالارتياح وحسن الظن وعملت بها نلت أرقى الدرجات ونهضت بالتمثيل الى اوج علاه وحزت رضا الامة والله يهدى من يشاء الى أقوم السبل والسلام

محمد كامل حجاج

ينبوع الحضارة العربية

صحيفة من كتاب « حضارة العرب » الذى عربه محمد افندي مسعود المحرر الفني بنظارة الداخلية ويقوم الآن بطبعه خدمة للاسلام والمسلمين

*
* *

لما انتقل العرب بظهور الدين الاسلامي بينهم من البداوة الى الحضارة كان نبراس الحضارتين الفارسية والبيزنطية لامع الضياء متألق السناء. وكانوا كلما ازدادوا عراقة فى المدنية ورسوخا في الحضارة علت كلمتهم وارتفع شأنهم اذ لم تمض سنوات قليلة حتى دالت لهم الايام واستولوا على البلاد وأخضعوا لشوكتهم رقاب العباد وصار اسمهم علما على الصولة والاقتدار والعزة والفخار

وما استقر لهم الامر وأمنوا عداوة الخصوم لما وثقوا به من قوتهم وغلمود من شدة بأسهم ورسوخ قدمهم حتى وجهوا تيار عزمهم الى تحصيل العلوم والفنون فزال سناء ذلك النبراس وانبعثت في مطارح أشعته أنوار

الحضارة العربيـة التى ملأت الآفاق سناء ولألاء ثم لم يلبثوا أن شادوا فى أمهات المدائن التى فتحوها معاهد للتعليم والتربية واستدعوا اليهم من أقاصى البلدان جهابذة الاساتذة ونبهاء العلماء لتعريب المصنفات اليونانيـة الشهيرة فى العلوم ومهد لهم القيام بهذا العمل الجليل ان اللغتين اليونانية واللاطينية كانتا الى ذلك العهد على ألسنة المتكلمين فى فارس والشآم اذ معلوم أنه لما نقم ملوك بيزنطية (الروم) على النسطوريين ونزع هـؤلاء الى الفرار طلباً للنجاة بحياتهم تفرقوا فى بلاد آسيا الصغرى أيدى سبا واتخذوا بعض بلدانها مقاما لهم فأسسوا بالجزيرة مدرسة كان من خريجيها جمـلة من فحول العلماء والادباء الذين تصدوا فيما بعد لبث ما جنوه من ثمار العلوم اليونانية فى تلك المدرسة بين أهل المشرق. ثم اتفق أن جاء ذو النون فعطلها وأغلق أبوابها وأخنى عليها وبدد شمل معلميها فى الاقطار فلجأ بعضهم الى ملوك ساسان الذين حكموا على بلاد فارس من سـنة ٢٢٦ الى سـنة ٦٥١ من الميلاد يستصرخون بهم ويلتمسون حمايتهم وقصد آخرون أرباب المظاهر والحيثيات ليعيشوا فى أكنافهم ويتفيأون ظلالهم فقوبلوا بما هو فوق أملهم من اكرام المثوى وهطلت عليهم غيوث النعم حيث شيدت لهم المعاهد العلمية الكبرى التى تولوا فيها التدريس فبرز منها على أيديهم الـكثيرون من العلماء والادباء

وقد اتفق فى ذلك الحـين ان الامبراطور الرومانى (يوستنيانوس) عطل مدرسـتى اثينة والاسكـندرية وشرّد علماءهما واساتذتهما فلم يسعهم سوى الانضمام الى أولئك العلماء الاسيويين الذين كانوا طردوا من بيزنطية ليستظلوا معهم بعدل أولئك الملوك الذين آووهم اليهم واحلوهم عندهم المراتب العلية من التكريم والتبجيل فلما وصـلوا اليهم قوبلوا منهم بالبشر والايناس

وشاركوهم فى ترجمة مؤلفات ارسطو وجالينوس وافلاطون وابقراطوغيرهم من فحول فلاسفة اليونان وكان لأولئك الاقيال ولع شديد بالاطلاع على ما تضمنته من كنوز العلوم والعرفان لافاضته على رعيتهم وابناء ملتهم

فلما سقطت بلاد الشآم وفارس التى كانت خاضعة لحكم أولئك الملوك فى قبضة العرب وجدوا بها بقية صالحة من نفائس العلوم اليونانية فأقبلوا على نقلها الى العربية من اللغات التى كانت ترجمت اليها كالسريانية والفارسية ثم جاؤا بمصنفات غيرها مما هو مدوّن باللغة اليونانية ولم يتناوله النقل وجدّوا فى ابرازه من هذه اللغة الاعجمية الى اللغة العربية الفصحى ودأبوا على ذلك حتى توفرت لديهم معدّات العمل وأصبح ما حصلوا عليه من نفائس العلوم واعلاق المعارف اليونانية كافياً لارشادهم الى طريق الاجتهاد والتوسع فيه بقدر ما يؤذن به استعدادهم

وما كادوا يبلغون الى المرحلة الاخيرة من هذه الطريق ويعلمون أن ما بين أيديهم من المنقولات أصبح دون همتهم وصار في عداد الحقائق البديهية بالنسبة لهم حتى عمدوا الى تعلم اللغة اليونانية نفسها وسبر أغوارها للتوصل الى استكناه أسرار العلوم وفك طلاسم المعارف التى لم تتناولها أيدى المترجمين فأبرزوها فى أبهى حلة من اللغة العربية وجعلوها قريبة المتناول لجميع الطالبين

وقد ذكر المؤرخون الذين طهرت ضمائرهم من اقذاء الاغراض أن العرب لما استولوا على الاندلس تعلموا اللغة اللاطينية وغيرها من اللغات التى كانت شائعة الى عهدهم فى بلاد أسبانيا وأنه لا يزال يوجد فى مكتبة

الاسكوريال منها مصنفات وضعها مسلمو العرب باللغة العربية مع احدى اللغات اليونانية أو اللاطينية أو الاسبانية وهي من قبيل ما يوضع فى أيامنا من المعاجم لمفردات لغتين من اللغات

يؤخذ من ذلك أن العلوم اللاطينية واليونانية كانت لكل عربى أراد الايغال فى ميادين العلوم الاساس الذى يركن اليه وأن اليونان هم الاساتذة الذين تلقى العرب عليهم الدروس الابتدائية في العلوم والفنون وهذه الحقيقة لا يأتيها الريب ولا يعترضها الشك ولكن مما لا مراء فيه أيضاً ولا مشاحة هو أن العرب لم يقفوا عند حد ما علمهم اليونان اياه بما نقلوه من كتبهم الى لغتهم ولم يكتفوا من بحر العلم بعصة الوشل بل تجاوزوا ذلك الحد مندفعين الى الامام أنفة منهم أن يقال أنهم جمدوا على تلك القشور وأنهم آثروا البقاء في سلك التتلمذ لليونان فتوسعوا فيما حصلوه وبنوا على مقدماته النتائج وكان لهم من حسن الاستعداد وصدق الميل والنشاط الذاتى للتحصيل أقوى مساعد وأكبر معين

والمطلع على المصنفات التي وضعوها وتنزلت كتب اليونان منها بمنزلة الآلات للمقاصد والمقدمات للنتائج لا يسعه الا أن يقف مبهوتا أمام الأثر الباذخ الذى شادوه بفضل اجتهادهم في تحصيل العلوم . فاذا كان ثمت أمة نافست العرب فى اجتهادهم وبلغت فيه مبلغهم فلسنا نعتقد قط بوجود أخري حازت قصب السبق عليهم وتركتهم بعدها من المختلفين لان العرب جعلوا دأبهم تعميم العلوم واذاعتها فى سائر الارجاء فكانوا كلما دخلوا قرية أو امتلكوا مدينة شاروا بها مسجدا ومدرسة الى جانبه ولسنا تعالى اذا قلنا ان هذه المدارس كان يبلغ عددها في المحلة الواحدة مبلغا لا يكاد الانسان يسلم

بصحته على انه الحقيقة التى لامراء فيها . ولقد ذكر المؤرخ بنيامين المولود بمدينة طليطلة والمتوفي بها سنة ١١٧٣ من الميلاد وهو من قوم اشتهروا بالحقد على مسلمي اسبانيا والكراهيه للاسلام أنه زار مدينة الاسكندرية فألفى بها اكثر من عشرين بناية فسيحة الجوانب رفيعة العماد شيدت بأمر الخلفاء وعلى نفقاتهم الخاصة لتكون معاهد للتعليم والتربية وهى عدا ما لا يعد من المدارس الصغرى التى تلقن بها للتلاميذ الذين يريدون الدخول فى تلك المعاهد العليا مبادئ العلوم الابتدائية

وكان فى كل مدينة من المدائن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة وغيرها سرى أمثال تلك المعاهد والمدارس مراصد فلكية ومعامل كيماوية ومكاتب عمومية ومنشئات من شأنها تمهيد الاكتشافات العلمية

وقد أجلت التحقيقات الاحصائية فى أمر المكتبات العمومية بديار الاندلس أنه كان يوجد بها منها سبعون مكتبة وان المكتبة الخاصة بالخليفة الحكم بقرطبة كانت تحتوى على اكثر من ٦٠٠ الف مجلد من المصنفات النفيسة والمؤلفات النادرة استغرق حصر اسمائها ٤٤ جلداً وقد كانت مكتبة الملك شارل العاقل الذي حكم فرنسا من سنة ١٣٦٤ الى سنة ١٣٨٠ من الميلاد أي بعد الخليفة الحكم بنحو أربعمائة سنة لا تحتوى فى أزهى مدة من عهده الاعلى ٩٠٠ مجلد فقط

وبعد ان استقصى العرب كتب اليونان واستخرجوا منها دفائن العلوم أدركوا أن التجربة والمشاهدة هما المرشدان الوحيدان الى الغاية التى امتدت اليها أعناقهم وسمت نحوها مطامحهم من التوسع فكدوا وكدحوا فى استنباط

المخترعات والمكتشفات التي تتقلب في بحبوحتها الآن الشعوب الاروبية العريقة في الحضارة والعمران

ولقد أجمع مؤرخو الافرنجة على أن روجر بيكون وهو ذاك العلامة الانكليزي الذي عزي اليه اختراع البارود أول من اتخذ المشاهدة رائداً والتجربة مرشداً في الابحاث والتحقيقات العلمية وهو زعم اكبره وهم أولئك المؤرخين أن الافرنجة سباقو غايات في كل باب ومطلب ولكن لم يلبث الباحثون في آثار السلف أن اجمعوا على بهتانه ذلك لما نهض عندهم من الادلة على أن العرب كانوا أول من رجع الى تينك القاعدتين في حل عويصات المسائل العلمية واستكناه الحقائق الفنية ولما قرره العلماء الذين عانوا البحث والتنقيب في الكتب العربية مثل المؤرخ همبولدت الذى أثبت أن العرب كانت لهم القدم الثابتة في العلوم وانهم أول من بنوا معلوماتهم على أساس متين من التجربة والمشاهدة حيث قال : « ولقد بلغ العرب الى هذه الدرجة وسموا منها الى ما يليها من الدرجات »

وقال المؤرخ سيديو : « ان الذي أبعد صيت مدرسة بغداد في آفاق المشرق والمغرب وجعلها رفيعة الرتبة ملحوظة المنزلة انما هو سلطان العمل الذى استولى على أساتذتها وطلابها وسائق البحث الذى ذهب بهم من توطيد أركان المعلومات الى استخراج أسرار المجهولات ومن الخيالات الى الحقائق ومن الاسباب الى المسببات ومن المقدمات الى النتائج حتى صار من ديدنهم ان لا يسلموا بقضية من القضايا الا بعد التمحيص الطويل والتعزيز بالادلة الوطيدة وقد عكفوا حتى القرن التاسع من الميلاد سائرين على هذه الخطة التي اقتفى أثرهم فيها الاوربيون منذ عهد حديث فكانت مما مهد لهم

سبيل الوصول الى أبعد غايات المدنية وأقصى مرامى العمران »

فالمشاهدة والتجربة كانتا من القواعد والاصول التى أعتمد عليها علماء العرب في أعمالهم العلمية بعكس الاوربيين الذين كانوا حتى اخريات القرن الثامن عشر لا يطمئنون الا الى ما دون فى أساطير الاولين فلقد ذكر المؤرخ الفلكى (دلامبر) فى كتابه الذى ضمنه تاريخ علم الفلك «أنه كان لا يوجد من علماء اليونان القدماء سوى ثلاثة فقط كانوا يمانون رصد النجوم ومراقبة دورتها فى أفلاكها بخلاف العرب فان الراصدين منهم كانوا يحسبون بالمئات » والذى يراجع التاريخ القديم لا يرى فيه ما يدل على أنه قام من بين اليونان كيماوى واحد طبق العلم على العمل وقاس قواعده على التجربة والمشاهدة أما العرب فقد نبغ بينهم من أصحاب التجارب فى الكيمياء من لا يحيط بهم العد

ولقد كان من ثمار انتهاج العرب سبل المشاهدة والتجارب أن قاموا فى زمن قصير بما لم يستطع فحول علماء اليونان أن يقوموا بشىء منه فى قرون متتابعة وأحقاب عديدة وأن من أوثق الادلة على بلوغ النهضة العربية شأواً بعيداً في القرون الوسطى أن مصنفاتهم فى العلوم كانت ما برحت متداولة بين الطلاب بمدارس أوربا الجامعة في عهد قريب منا وان قد خضعت لشوكتهم قروناً عديدة اكبر الممالك الاوربية المشهورة فى أيامنا هذه بالقوة والغنى والجاه كفرنسا وايطاليا واسبانيا وغيرها

العالم الاسلامي

ضحايا الجهل في مراكش

جاء فى رصيفنا (الهلال العثماني) الاغر تحت هذا العنوان بعدده الصادر يوم ٢٧ مارس ما يلي :

نزح العرب الى مصر فتونس فالجزائر فمراكش ومن ثم أشرقت على أوربا شمس المدنية الاسلامية ومكارم الاخلاق المحمدية . ولم يكد يتخطى العرب العدوة الدنيا الى العدوة القصوى من قارة أوربا حتى سارت تلك المدنية الصحيحة ورافقها العلم والصناعات والعدل

ولقد ظلوا فى بلاد الاندلس القرون المعدودة فكان يختلف الى مدارسهم الامم اليهودية والمسيحية وتتلمذ لفحولهم طلاب العلوم والفنون والفلسفة من الاسبانيين واللاتينيين والجرمان

فلما أخذت أوربا حظها من تلك المدنية وأعادت للعرب ما أفادوها من أسلحة العلم الجديدة كان هؤلاء قد أصيبوا بامراض الترف والنعيم فسكنت حركتهم وخدرت أعصابهم وخلت من العلم مدارسهم وعقولهم ومن الشهامة والاباء صغارهم وكبارهم . وقد تمكنت الغفلة من خاصتهم وعامتهم حتى أنهم ما كانوا ليفكروا فيما تضمر لهم الامم المجاورة المسيحية ولا ليعرفوا كيف يكون مصير أمرهم

ولقد أفرطوا في الغفلة والاهمال ثم أسرفوا في التخاصم حتى وهن

أمرهم وخف شأنهم وساءت سياستهم وضل تدبيرهم فشغلوا بانفسهم عن عدوهم وتمكنت بينهم العداوة والبغضاء حتى جعلوا يتقاتلون على القاب الامارة ومراسم العظمة فتمزق شملهم وتقطعت أوصالهم وانقسموا طوائف « لكل أمير المؤمنين ومنبر »

ولقد كان من بينهم من جعل يستعين الاسبانيول ويلحق بحاشيته جنودهم وقادتهم فيحكم بذلك سيوفهم فى مرقاب اخوانه المسلمين ويمهد السبيل لحكومة الاسبانيين وهو جاهل لا يفقه وغافل لا يشعر

بتلك المقدمات تمكن الاسبانيول من طرد العرب عن بلادهم بعد أن عمروها عدة قرون فلم يبقوا لهم عيناً ولا أثراً . ولقد سجل التاريخ على برابرة جبال البرانى ما جاءوا فى معاملة المسلمين من الوحشية الفظيعة وما ارتكبوا من الآثام فى سبيل اخراجهم وكأننا بتلك النيران الممتدة اللهب المسودة اللون لا تزال تتسعر فى الميادين والغياض فيلقى فيها من لم يتقبل من العرب الكثلكة ولم يركع خاشعاً أمامها

وكاننا بالناجين من المسلمين الفارين بدينهم وأرواحهم سراعاً يقطعون اللجج مختفين تحت أستار ظلمات الليالى قاصدين سواحل أفريقيا الغربية

سبحانك اللهم وبحمدك . كم في تلك الحوادث من عظة يتعظ بها المسلمون وذكرى يستيقظ بها الغافلون ؟ ولكن القوم فى مراكش نسوا آلام تلك النار التى كوت جنوبهم ولفحت وجوههم

نسوا تلك الفظائع التى بددت شملهم وسلبتهم ملكهم . نسوا ما أصاب حرماتهم من الاستباحة وصغارهم من التنصير والاسترقاق . نسوا جميع

ذلك فاعادوا ماضي تاريخهم وتاريخ جيرانهم من أهل اندلس فاشتد البأس بينهم واستحوذ التنافر والتناكر والتباغض على نفوسهم

ظلوا عدة قرون ينظرون كل يوم الي أوربا التي لا تغيب عن مرمى انظارهم فلا يبصرون ما يدبر بها من المكايد لهم . ويبصرون فيها آيات المدنية والحضارة فلا يهمون باقتباس شيء من آثارها

تطبع من حولهم الكتب وتنشر الصحف فلا ينهضون الى الحصول عليها لتعرف شيء مما بها

ينشر الاسبانيول والفرنسيون برنامجهم الاستعمارية فى بلادهم ومطامعهم الاشعبية فيهم فلا تجد منهم من يقرأها أو يبحث عما فيها بله المفكر فى محاربتها ونقض أركانها

يبصر المراكشيون السفن تجرى في مياههم فلا يدرون أيجريها البخار أو عفاريت الجن .

يبصرون القطرات تجري على القضبان الحديدية فتحمل الاثقال ونقل الجبال فلا يفكرون فى مفارقة بغالهم وجمالهم .

يقع بصرهم على الارض فلا يدركون غير الطبقة التي تطأها أقدامهم ولو عقلوا لابصروا ما فى بطونها من المعادن والمناجم والبرتول ونحوها من الكنوز الثمينة

يفتح الاوربيون في طنجه ومللادوسبتا ونحوها المدارس ويقيمون المصانع وأولئك يرتعون في أودية الجهالة ويستمرئون عيش الخمول والجمود .

نفثت فيهم الدسائس الاجنبية حتى قام فيهم أولئك الجهلة الاغرار بالغارات والقلاقل والسلاطين هناك عاكفون على اللهو واللعب مشغولون عن الملك والدين بما تحتوى قصورهم من صنوف الشهوات

كذلك ظلت مراكش القرون الطوال حتى نضجت للآكلين وطابت للمستمتعين من المستعمرين

ولقد أعاد مولاها عبد الحفيظ تاريخ من خلا من ملوك الطوائف في الاندلس اذ قام يبتهل الى فرنسا أن تمده بالجيوش والمدافع وتزوده بالضباط النابغين يريد بذلك ان يطفئ نيران القبائل الثائرة ويؤدب العصابات الخارجة. وما أسرع ما أجابت فرنسا طلبته فلقد حشرت فى أرضه الآلاف من جنودها وحملت لبلاده المدافع الضخام والخفيفة والبنادق المخترعة الحديثة وما علم ذلك المسكين أنه سيكون هو ومجده هدفا لرصاص تلك البنادق وغرضا لقنابل المدافع

جهل كل ذلك فلا عجب أن خف لاستقبال تلك القوى الفرنسية فرحا مستبشراً ظانا أنها جاءت لنصرته وقهر أعدائه .

ومن غريب شأن هذا السلطان أنه كان يحسن الظن بفرنسا ويستظهر بها على أعدائه والخارجين عليه من قبائل المغرب الاقصى بينا هى مسترسلة في مفاوضة المانيا وأسبانيا في أمر بسط الحماية على أملاكه الواسعة الغنية أنى لم يعرف كيف يسر بها ولا كيف يعمرها

سنحت فرنسا فى مداولاتها ومؤامراتها السرية والجهرية الايام بل السنين ومولاى عبد الحفيظ بمعزل عن هذا العالم لا يطلع على بعض شؤونه ولا يهتم بمعرفة شيء من مكايده ولا يقرأ حرفا واحدا مما تنشره صحفه وتلغرافاته حتى قضي الامر واجتمعت كلمة الدول على ان تبسط فرنسا رواق حمايتها على أرض تلك المملكة الاسلامية وان تملك تراث موسى بن نصير وطارق

ابن زياد بعد نحو من ثلمائة سنة وألف . ذلك التراث الثمين الذى صانه الله القرون العديدة للمسلمين الغافلين لعلهم يستيقظون فيستفيدوا منه ويذودوا عنه

فرغت فرنسا من مجادلات دول أوروبا بشأن الغرب وحملت بيدها جواز اعترافهم بحمايتها فلم يبق امامها الا ذلك السلطان الذى اعتبرته أوروبا خلال تلك المجادلات والمخاصمات كمية مهملة فلم تحسب له حسابا ولم تستطع له رأيا

أوفدت فرنسا سفيرها السابق فى تلك الديار ليحمل السلطان على الاعتراف لها بحق حماية بلاده وبعبارة أخرى على أن يقلب عرشه وينقض حكمه ويزيل ملكه ويطوق عنقه وأعناق رعاياه بالاطواق الاروبية المسيحية. ثم على أن يؤذن فى دين مملكته بالارتحال وفى نفوذ الاسلام بالاضمحلال والزوال

هنالك استفاق ذلك السلطان من رقدته ورأى ببصره كيف أحدق به الخطر المسيحي الفرنسى الذى محا آثار الاسلام من جارته (الجزائر) وشرد فى الجبال والادغال اخوانه من المسلمين فى تلك البلاد

لقد انفتق اليوم بصره فرأى أن نجم سلطانه وشيك الافول وان مصيره وعاقبة أمره ان يكون كباى تونس لا يستطيع أن يحتكم حتى فى شؤون قصره وخاصة أمره . فهو اليوم كما تقول الجرائد الفرنسية عرضة للنوبات العصبية وما هى الا نوبة اليقظة وقد وقعت الواقعة وصحوة الندم ولات ساعة مندم فلنبحث الآن عما عسى أن يكون من أمر هذه النوبات العصبية وماذا أعدت فرنسا لعلاجها ؟

قدمنا أن ذلك السلطان دعا فرنسا لتأديب الخارجين عليه من قبائل البربر وأنها ما لبثت ان ملأت عليه الارض بأداة القتال والجنود والضباط . ثم نزيد هنا أنها استدرجته حتى أخرج من كان يدرب جنوده من الضباط

الترك وزينت له أن يستبدل بهم ضبـاطا من الفرنسبين فيحلفون بين يديه أيمان الطاعة ويكونون له خداماً أمناء

وقد خدعته تلك التمويهات والزخارف حتى كان كل ما أرادوا فماذا يستطيع أن يصنع اليوم وقد سلب القوة وغلت يداه عن المقاومة

اذا صح أن الحاضر يقاس بالماضي وان أمراء المسلمين الغافلين متشابهون فى أطوارهم واخلاقهم فان فرنسا ستتخذ لنيل بغيتها أحد أمرين اما ان تفتن عبد الحفيظ بالمال فلا تزال تقرضه وتقرض حكومته حتى تحيط أعناقهما بالاطواق وأيديهما وأرجلهما بالسلاسل والاغلال واما أن ترجع الى عبد العزيز المخلوع فتدفعه الي المطالبة بالملك وتستهوى الجهال والمنافقين بالمال والآمال حتى ينادوا به ثانية سلطانا عليهم ثم تشعل بينهما نيران الفتنة ثم تظاهر ذلك الذى فتنته قديما حضارتها وملكته زخارفها ورأى فى سياحاته الحديثة فى الشرق والغرب من دهانها ولين ملمسها مالم يدرك معه حقيقة نياتها

وما نحن بغالين اذا جزمنا بان فرنسا ما ادخرته هناك الا لهذه الساعة ولا حملته على سياحاته التى ألمعنا اليها الا لتحمله على احسان الظن بها والركون اليهـا فى محاربة أخيه فى سبيلها ولقد رأينا منذ أيام قليلة التلغرافات العمومية تعلن أن فرنسا قد قررت ملايين الفرنكات لاعمال حربية في مراكش فعلمنا أن فرنسا تمهد السبيل لتلك الحركات التى كشفنا آنفا ستارها

وسنرى فى المستقبل القريب كيف تستفيد فرنسا من عبد العزيز ان استمر أخوه (فى نوباته العصبية) فيمثل لها هنالك ما مثله فى أرض فارس محمد على شاه الذى ادخرته روسيا تلك السنين لتنال به من الحكومة الفارسية الدستورية مأربها اذ تكثر الملاحم وتراق الدماء وتهن العزائم فتنضبج

مراكش لفرنسا كما نضجت العجم لروسيا وبعد قليل يصبح عبد العزيز وعبد الحفيظ وملك المغرب الاقصى من عالم الاخبار والاحاديث التاريخية وهنالك يتذكر « مولاى عبد العزيز » ما قلناه له وهو في فندق الكنتنتال بمصر (آفة الاسلام أمراؤه) وعما قريب ينقرض الاسلام من تلك الديار فلا يبقى للمسلمين بها عين ولا أثر . وتلك عقبي الجاهلين .

فهرست العدد الثانى والثالث

﴿ الجزء الرابع والخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

غرّاء

مجلة دينية علمية أدبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

أصحاب امتيازها
حسين بك تيمور
وشركاؤه

رئيسها المسئول
محمد عبد الملك حمزه
المحامي

(تصدر فى آخر كل شهر قمري)

بدل الاشتراك

٦٠ قرشاً فى القطر المصري
٤٠ قرشاً للطلبة والدفع سلفاً
٢٠ فرنكا فى الخارج

الرسائل

(ترسل برسم مجلة الهداية)
ولا ترد لمرسلها بحال

(مطبعة الهداية بأول شارع درب الجماميز بمصر)

(أعلان)

ترجو ادارة مجلة الهداية عموم حضرات مشتركي المجلة بجميع الجهات ان يتكرموا بارسال المتأخر طرف حضراتهم من بدل اشتراك المجلة عن سنه ١٣٢٩ الماضيه لداعي تصفية حسابها كذلك ترجو ارسال بدل اشتراك سنة ١٣٣٠ الحاضرة للادارة التي مركزها بشارع درب الجماميز او تسليم ذلك الى حضرة وكيل المجلة بالجهة المقيم بها المشترك ويعتمد ايصال البوسته او ايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة وبتوقيع امضاء الوكيل المذكور

(الى حضرات المشتركين)

ترجو ادارة مجلة الهداية حضرات عموم مشتركيها بالقاهرة أن لا يعطوا بدل الاشتراك لاحد ما الا بايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة والمستلم واذا ظهر خلاف ذلك يكون لاغيا وليعلم حضرات المشتركين أيضا أن الوكيل الوحيد لمجلتنا هـذه في القاهرة هو حضرة حسن أفندى محمد فنرجو اعتماده فقط

(الوكلاء)

(١) حسن أفندي محمد بمديريات الغربيه والمنوفيه والقليوبيه والدقهلية والبحيرة ومركزه طنطا

(٢) الشيخ مصطفي نوح بمديرية الشرقيه مركزه أبو كبير

(٣) ابراهيم أفندي صالح زكي ومركزه بادارة العلم باسكندرية ومحمد افندي عوض جبريل بالاسكندريه وضواحيها ومركزه بالاسكندرية بالميدان

(٤) حضرة الشيخ أحمد عزت وكيلا ومحصلا لمديرية المنيا وأسيوط وبنى سويف وجرجا وسكنه سوهاج

(٥) الشيخ سيد سعودي مطر وكيل مديريات الجيزه وبني سويف والفيوم واقامة الجيزة

الهداية تباع بمكاتب المعارف والهلال بالفجاله والتأليف باول شارع عبد العزيز والمكتبة العباسية بشارع محمد علي وبادارتها

تباع غنية المؤدين بمكتبة مصر الفتاة بالاسكندرية وادارة مجلة الهداية بمصر

(المطبوعات)

جميع الكتب والجرائد والمجلات ترسل برسم مجلة الهداية بشارع درب الجماميز بمصر

(اعلان)

سنزيد في الهداية المواد الآتية

تاريخ الاسلام — وتاريخ أوربا من بدء القرن السادس عشر — وأيضاً سنفتح بابا لتقريظ وانتقاد الكتب التي ترسل لادارة الهداية لنعطي كل ذي حق حقه

﴿ الجزء الرابع والخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

غزلان

﴿ القاهرة في ربيع الثاني وجماد أول سنة ١٣٣٠ هـ ابريل ومايو سنة ١٩١٢ م ﴾

أسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا
أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي. قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر
عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها
قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون.
قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة
لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

جاءت هذه الآية الكريمة لتقص على بنى اسرائيل كيف كان سلفهم يقابلون تكاليف الله تعالى وأوامره ولتبين كيف كان موسى عليه السلام يصبر على مشاقتهم وعنادهم

ولقد يبتلى الله عباده بالتكاليف مهما كان نوعها ليتبين طيبهم من خبيثهم. ومؤمنهم من منافقهم والمطيع منهم من معاندهم ومكابرهم (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم)

ابتلى الله بنى اسرائيل بذبح البقرة فعدوا ذلك دعابة وهزؤا فلما تبرأ موسى من ان يكون أحمق جاهلا يأتيهم باللغو الباطل من التكاليف وأبان لهم ان ذلك وحي أوحى اليه وما عليه الا البلاغ أخذوا يستوصفونه اياها ويعنتون فى إعناته بما طلبوه من شرح مميزاتها .ولو أنهم جاءوا أول الامر الى بقرة ما فذبحوها لأجزأت عنهم ولما عوملوا بالضيق والشدة التى جرها عليهم استهزاؤهم باحكام الله واستخفافهم برسوله صلى الله عليه وسلم

وخلاصة أوصاف البقرة التى أمروا بذبحها انها بقرة لافارض (١) ولا بكر (٢) وانما هى عوان بين الفارض والبكر . فلما فرغوا من تعيين مايختص بسنها سألوا موسى عن لونها ليتعرفوه فقال لهم انها بقرة صفراء فاقعة اللون (٣) ولقد كان يكفيهم فى تعرفها ماسمعوه من المشخصات والمميزات ولكنهم عادوا فسألوا موسى بعض مميزات أخرى اذا تشابه عليهم كما قالوا البقر فلم يعرفوا ماذا يذبحون .هنالك قال لهم موسى انها بقرة غير مذللة لحرث الارض وكرابها ولا مسنى عليها لسقى الارض وما تخرجه من النبات كما أنها لم تخالط

---

(١) الفارض المسنة يقال فرضت البقرة فروضا نهى فارض (٢) البكر التي لم تلد
(٣) الفقوع أشد مايكون من الصفرة

صفرتها اثارة من الالوان الاخرى وسلمت من كل عيب أو مرض

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة ان البقرة المراد ذبحها كانت معينة خاصة وانما أرادوا بتلك المسألة ان يمتحنوا موسى ليعلموا هل يطلعه الله على صفاتها ومشخصاتها فيبينها لهم فيتعرفوا بذلك صدقه وانه يوحى اليه من عند ربه

يدل على ذلك قولهم فيما وقع لهم من المناقشة لموسى (الآن جئت بالحق) فان الحق الامر الثابت فاذا لم يعلموا شيئاً من أمرها ما وقفوا مع موسى عند هذا الحد ولا اعترفوا له بأنه جاء بالامر الثابت الذى لم يسعهم عنده التردد فى قبوله والتسليم به

واذا نحن أعرضنا عما يرويه المفسرون من القصص الخرافية التى اقتطفوها من الاسرائيليات وضربنا صفحا عما ينسبونه باطلا لابن عباس وما يعزونه الى الرسول عليه السلام مما لم يصح منه شئ فيما نعلمه استنبطنا من سياق الآية وفهمنا من أسلوبها العربى المبين ان بنى اسرائيل لابد ان يكونوا قد بيتوا فيما بينهم ذبح بقرة معينة ذات صفات خاصة ثم جاءوا موسى يمتحنونه أيطلعه الله على ما بيتوه وهل يوحى اليه بصفات تلك البقرة التى اختاروها فلما جاءوا موسى وهم على ما بيتوا أنزل الله على قلبه ان يأمرهم بان يذبحوا بقرة فلما شعروا بأنه قد ظهر على أمرهم حاولوا طرق التعمية والتلبيس فقالوا اتتخذنا هزوا فلا تخاطبنا بالجد وهل تعمد الى مداعبتنا غير قاصد ماتقول . كأنهم يريدون بذلك ان يلبسوا عليه الامر وان يوقعوه فى الريب والشك حتى لا تطمئن نفسه الى وحى الله تعالى

ولكن موسى كان يعلم انه ما ينطق عن الهوى وان ما جرى على قلبه

انما كان وحيا يوحى . لذلك (قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين)

فلما عرفوا يقينه وثبات قلبه وجزمه بأن الوحى لم يكذبه فيما بلغه أخذوا يسألونه عن أوصافها ومشخصاتها حتى استقصاها لهم وسردها طبقا لما أضمروه وعرفوه من صفاتها وأحوالها . هنالك لم يسعهم الا أن يذبحوها وما كادوا يفعلون ذلك لا لانهم لم يريدوا ذبحها ولا لعصيان ما أمرهم به موسى ولكنهم لكثرة ما تشددوا فى امتحان موسى عليه السلام وما أسرفوا فى التثبط والتعنت كانوا كأنهم لا يريدون ذبحها طلبا للاستزادة من امتحان رسولهم فيها واستيصافه اياها وحرصا على مشاقته وافراطا فى معاندته وابتلائه . وما قولهم (وانا ان شاء الله لمهتدون) الا وسيلة أرادوا ان يتذرعوا بها الى إفهام موسى انهم غير معاندين ولا هازئين واستدراجه رويداً رويداً ليعلموا مبلغ صدق نبوته وحقيقة أمره

ولقد جاءت هذه القصة ساردة ما كان من المحاورة بين موسى وقومه وكيف أراهم موسى فى ذلك من آيات الله مالم يبق لهم معه ريب

وللمفسرين هنا كلام كثير لو اننا رأينا له سنداً من كتاب الله أو صحيح الاحاديث لتقبلناه خاضعين وقلنا به مسلمين . ولكنا تصفحنا أدلة ما أسرفوا فيه من الاقوال فوجدناها لا تكاد تتجاوز حد الاسرائيليات ولا تخرج فى بعض الموضوعات عن دائرة الروايات الملفقة تلفيقا

ومن الغريب اننا لا نتصفح ماوضع من تفاسير القرآن الا ونجدها متشابهة الالفاظ متحدة المعانى والمصادر . يخطئ سالفهم فيما يكتب أو يقصر فى البحث والتحرى فلا يعنى من يليه من المفسرين بتمحيص الحقيقة وتعرف الصواب ونقض ما أبرمه سلفه عمداً أو خطأ ولكنهم يتعاقبون على القديم

فيروونه ولو خالف المعقولات أو ناقض السنة والآيات

واننا ننصح لاخواننا المسلمين ان يغضوا أبصارهم عن كل مايرد للمفسرين مما لم تثبته السنة أو يؤيده الكتاب فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وعسى الله ان يأتى بيوم يطهر فيه الاسلام وكتبه من كل ما أبعده عن أفهام النابتة الاسلامية ولاسيما الذين نشئوا في المدارس الحديثة التى تلقى بها العلوم المادية كالكيميا والطبيعة والفلسفة . فلكم أستهوت هذه العلوم نفوس المتعلمين واستدرجتهم الى حيث الالحاد والكفر بالله تعالى وبشرائعه . ولقد وجد الجحود سبيله الى قلوب كثيرين ممن لم يؤخذوا بالشريعة المطهرة ولم ينبتوا فى بيوتهم نباتا حسنا . ولقد رأينا منهم من كانت الشبهة تحاول أن تسكن قلبه فيفزع الى كتب التفسير أو الحديث أو التوحيد يلتمس لنفسه مقرا منها فلا يكاد يلجأ اليها حتى يجد من خرافاتها وتشكيكاتها ومجادلاتها وهذياناتها مالا يزيده الا ريبا ولا يرجعه الا خاسرا

واذا كانت النصيحة من الايمان فانى أعزم على اخوانى المسلمين ان يبتعدوا عن تلك الكتب حتى يجدوا غيرها أو يقووا على السلامة مما جاء بها. هذا ولنعد الى مانحن بصدده فنقول :

بعد أن جاءت الآية السالفة ببيان ما أتى به اليهود قديما من معاندة رسولهم ومحاولتهم إعناته أراد الله جل شأنه ان يذكرهم بنعمة شرعها لهم لدرء الشر عنهم وايجاد الامن والسكينة فى ربوعهم قال تعالى :

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

تذكر هذه الآية الكريمة بنى اسرائيل بما كشف الله لهم من الجناية التي أخفاها مقترفها ثم بما كان من أمر الله نبيه موسى عليه السلام ان يقتص منه وقد ثبت أثمه وجرمه. والمفسرون يروون فى هذه الآية ان أحد اليهود قتل عما له لاسباب بسطوها مختلفين فيها ثم حمل هذا القتيل الى جهة أخرى يريد بذلك ان يبرئ نفسه وان يلقى الجزاء على غيره فلما علم أهل تلك المحلة بوجود القتيل قريبا منهم فزعوا الى موسى ليدعو الله فيظهر لهم من فعل تلك الفعلة فلما جاءوا موسى أمرهم بذبح بقرة فكان ما كان من عنادهم وتشددهم واستهزائهم بنبيهم عليه السلام وما زال موسى بهم حتى ذبحوها وما كادوا يفعلون ثم أمرهم أن يضربوا القتيل ببعضها فقام القتيل فقال قتلنى فلان ثم اضطجع ميتاً كما كان فسيق الجانى الى القصاص فقتل

ذلك مجمل قولهم هنا ولهم فى تفاصيل ذلك روايات وقصص لم يصح شئ منها وانما هى رجوم وظنون

ومن المفكرين من نظر الى القرآن الكريم وحده معرضاً عما ورد من الخرافات والقصص السخيفة وتباعد عن حمل الكتاب المقدس عليها قاصراً بحثه على ما تؤديه عباراته من حيث أنه كتاب عربى مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

وخلاصة رأيه فى هذه الآية الكريمة أن نظامها وسياقها يدل على أنه

قد قتل قتيل فى بنى اسرائيل فجاء القوم الى موسى يتدارءون يحاول كل منهم أن يسقط الآخر فى هذه الجناية لينال عقابها جزاء وفاقا . فلما سمع موسى عليه السلام الخصومة وتبين له خلال التخاصم من هو القاتل أوحى الله اليه أن يأمر القوم أن يضربوا القاتل بالنفس أى يرموه بها وهذا مأخوذ من قولهم ضرب ببليته أى رمى بها وأصيب . كذلك هذا القاتل لما ثبتت جنايته أمر موسى قومه أن يصيبوه بها أى بجزاء ما فعل بها وهو القصاص

قال الليث وبعض العرب يصل بكلمة « بعض » كما يصل بالحرف « ما » فى نحو « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » وذلك كما فى قوله تعالى فى قصة مؤمن آل فرعون وما أجراه على لسانه فيما وعظ به آل فرعون « ان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم » يريد يصيبكم الذى يعدكم « باعتبار كلمة بعض صلة زائدة لا يراد معناها» وقيل ان المراد يصبكم كل الذى يعدكم أى ان يك موسى صادقا يصبكم كل الذى ينذركم به ويتوعدكم لا بعض دون بعض لان ذلك من فعل الكهان وأما الرسل فلا يوجد عليهم وعد مكذوب . انتهى بتصرف من لسان العرب صفحة ٣٨٨ جزء ٨

والمعنى على هذا أن الله تعالى قد شرع لبنى اسرائيل فى هذه الحادثة القود اذ أمر أن يقتص من القاتل بعد أن عجز عن درء التهمة عن نفسه . ولا يخفى أن هذه المنة من أكبر المنن وأعظم المواهب الالهية فان القتل كما يقولون أنفى للقتل كما أن الله تعالى جعل فى القصاص حياة الارواح

وقد جرت العادة أن العرب يسمون القتيل اذا لم يقد له ويقتص من قاتله تَوًى وَهَدَرًا بخلاف من اقتص من قاتله فانه يعتبر كأنه حىٌّ لم يذهب لغوا قال الشاعر

ويذهب بينها المرّئى لغواً كما ألقيت فى الدّية الحُوار

وخلاصة هـذا القول أن منة الله على بنى اسرائيـل هنا فظهرها أن شرع لهم من الدين ما يحمى أرواحهم ويمـد رواق الامان والسـلام عليهم لذلك فرض القتل على من يقتل منهم نفساً حرم الله قتلها

« وكتبنا عليهم فيهـا « أى التوراة » أن النفس بالنفس والعين بالعـين « والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصـاص فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم »

ولقد شـدد الله على قاتل الانفس المحرمة حتى اعتبر فاعل ذلك كأنه قتل الناس جميعاً

« منْ أجلِ ذلكَ كتبنا عَلى بَنى اسرائيلَ أنهُ منْ قتلَ نفساً بغير نفس أوْ فسادٍ فِى الارضِ فكأنما قتلَ الناسَ جَميعاً ومنْ أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً »

فلما شرع لهم موسى من أمر القصاص ما شرع أخذ الجانى فقتل فى قتيله جزاء وفاقا . وبذلك لم يطل دم القاتل ولم يذهب هدراً ولغواً وهـذا ما يشير اليه قوله تعالى « كذلك يحيي الله الموتى »

ولقد يشعر بهـذا المعنى من طرف خفى قوله فى ختام الآية « ويريكم آياته لعلكم تعقلون » فانه لولا ما شرعه لهم من الحكم معقول والامر مقبول ما حقنت الدماء ولا أمنت الابرياء فأخـذ القاتل بقتيله يرضى أصحاب الدم فلا يحملهم فقدان فقيدهم على الثأر له من قاتله ومن العاقلة التى يعتزى اليها فان المقاصـة تطفئ نيران الاحقاد وتذهب الغـل من الصدور كما أنها زجر وردع وكفارة لمن قتل النفس البريئة وأقوى نذير لغيره ممن يهمون باغتيال النفوس والسعي بالفساد فى الارض

كذلك أراد جل شأنه بما شرع لهم من القصاص أن يحذروا عاقبة أمر القتل بغياً وعدواً ولكن اليهود بعد أن رأوا آيات الله وحكمته البالغة فيما شرع لهم على لسان موسى خالفوا مقتضيات العقل ونسوا حظاً مما ذكروا بهِ فقستْ قلوبهمْ منْ بعدِ ذلكَ فهيَ كالحجارةِ أوْ أشدُّ قسوةً وانَّ من الحجارةِ لمَا يتفجرُ منهُ الانهارُ وانَّ منها لمَا يَشَّقَّقُ فيخرجُ منهُ الماء وَانَّ منها لَمَا يَهبط منْ خشيةِ الله

فالحجارة التي هي من عالم الجمادات والتي لا تشعر ولا تدرك قد خضعت للنواميس الآلهية التي سير الله عليها كونه دون أن تعدى له أمراً أو تنقض له قانونا. فمنها على جودها تنفجر الانهار وتنبثق العيون ومنها ما اذا ألقيت به في الهواء اطاع ناموس بارئه فهبط الى حيث الارض التي تجذبه الى مركزها وما كان له أن يعصى أمر ربه فيطلب غير ما قدر له من الاوضاع والمواقع. وأما بنو اسرائيل فقد رزقوا آلة التفكر والارادة وهي العقل ثم منحوا الجوارح تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه ثم أوضح الله لهم السبل وميز لهم الخبيث من الطيب وفرق بين الحق والباطل على ألسنة رسله كيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. فهل أطاعوا أمر ربهم واستخدموا هبة العقل والجوارح فيما خلقت له؟ وهل كفوا عن الاثم والاذى وتناهوا عن الفحشاء والمنكر؟ وهل ملكت الحكمة معاقد قلوبهم واخذت العظات بأزمة شهواتهم وميولهم؟ كلا. فما زادتهم الآيات الا كفرانا ولا النذر الصادقة الا طغيانا

فان اتكلوا على انهم احباء الله وابناؤه فان اقرب الناس منزلة من الله اتقاهم وان ظنوا انهم يستخفون فيما يبيتون فما الله بغافل عما يعملون .

وماذا عسى ان يغنيهم من الله تناولهم صريح آياته بالتأويل وهم يعلمون ان الله تعالى لا ينظر الى الصور والظواهر وانما ينظر الى القلوب والمقاصد .

وكيف ترجى الاستقامة على الطريق لقوم يحاربون الله مستخفين بأمره ونهيه لاجئين الى ابواب الحيل واساليب التلبيس التي لا تغني عنهم شيئاً من الله لو عقلوا

الى هذا يشير قوله تعالى:

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

فان من الحزم والسداد ألاّ يطمع الانسان في هداية من يضلون على علم ويفسدون على تعمد فما ذا تغني الآيات والنذر عمن يرون الشمس فيغضون دونها ابصارهم ويتبينون الحجة جلية واضحة فينصرفون عنها قاصدين ويسلكون معوجات السبل متعمدين . فأمثال هؤلاء لا يجوز لاحد عقد الآمال بهم ولا ترقب رشدهم وهدايتهم

صرح البخاري وقال به طائفة من الفقهاء والمحدثين أن تحريف اليهود للتوراة انما وقع في التأويل فقط لا في تغيير الالفاظ وتبديل العبارات

وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه » ان اليهود كانوا يحرفون التوراة التي أنزل الله عليهم يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقاً . اذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله واذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك

الكتاب فهو فيه شق . واذا جاءهم أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق

كذلك كانت تفعل اليهود فى محاربة الله تعالى . وكذلك استثاروا غضب الله عليهم حتى جعل منهم القردة والخنازير

وان المسلمين بعد الصدر الاول للاسلام ولا سيما فى القرن الثالث فما بعده قد سلكوا مسلك اليهود في تأويل أحكام الله وتحريف قرآنه على نحو ماحرف هؤلاء توراتهم بل أنهم أمعنوا في التأويل وأسرفوا في اختراع الحيل التى بها عطلوا أحكام الله واستلبوا حقوق البشر وما زالوا يجرأون على الله باسم الله ويعطلون الدين باسم الدين حتى ابتدعوا الابواب الواسعة وعقدوا الفصول المطولة داعيها باسم « الحيل الشرعية » فلم يقفوا من قرآنهم موقف اليهود من توراتهم بل جعلوا يهينون الاسلام وهم يزعمون أنهم حماته ويهدمون قواعده وهم مدعون أنهم بناته وما زالوا ينقضون أركانه ويعالجون بمعاول حيلهم الشيطانية صروحه حتي كاد يستنكره الراءون وينصرف عنه الباحثون

ولقد يجمل بنا أن نقتطف هنا من أقوال أئمة المسلمين السابقين ماعسى أن يكون ذكرى للغافلين وعظة للمتعظين . قال فى اعلام الموقعين (١) مانصه وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة فان الشارع يسد الطريق الى المفاسد بكل ممكن والمحتال يفتح الطريق اليها بحيله فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم الى من يعمل الحيلة في الوصول الى المحرم . فهذه الوجوه وأضعافها تدل على تحريم الحيل والعمل بها والافتاء بها فى دين

(١) جزء ثالث صفحة ١٣٦

الله ومن تأمل أحاديث اللعن وجدها عامتها لمن استحل محارم الله أو أسقط فرائضه بالحيل كقوله لعن الله المحلل والمحلل له . لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا منها . لعن الله الراشي والمرتشي . لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده . (الى أن قال) والله تعالى مسخ الذين استحلوا محارمه بالحيل قردة وخنازير جزاء من جنس عملهم فانهم لما مسخوا شرعه وغيروه عن وجهه مسخ وجوههم وغيرها عن خلقتها

والله تعالى ذم أهل الخداع والمكر ومن يقول بلسانه ما ليس في قلبه وأخبر أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وأخبر عنهم بمخالفة ظواهرهم لبواطنهم وسرائرهم لعلانيتهم وأقوالهم لأفعالهم وهذا شأن أرباب الحيل المحرمة وهذه الاوصاف منطبقة عليهم فان المخادعة هى الاحتيال والمراوغة باظهار أمر جائز ليتوصل به الى أمر محرم يبطنه والخداع على قسمين خداع فى الاصول وخداع فى الفروع فخداع الاصول أن يقول المنافق بلسانه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ولما يدخل الايمان في قلبه وانما قال ذلك اما حقناً لدمه واما ليطلع على أمر المسلمين فيكشفه لاخوانه من المشركين

وما أتم الموازنة بين من يخادعون فى أصول الدين ومن يخادعون في فروعه فان كليهما يتغفل الله ويحارب الدين بأسلحة مصنوعة من أحكام الدين المفتعلة

قارن بين أولئك المنافقين وبين قول المرابى بعتك هذه السلعة بمائة وليس لواحد منهما غرض فيها بوجه من الوجوه ولا مبطنا لحقيقة هذه اللفظة ولا قاصداً لها ولا مطمئناً بها وانما تكلم بها متوسلا الى الربا وكذلك

قول المحلل تزوجت هـذه المرأة أو قبلت نكاحها وهو غـير مبطن لحقيقة النكاح ولا قاصـد له ولا مريد أن تكون زوجته بوجـه ولا هى مريدة لذلك ولا الولى أيضاً . هل تجد بينهما من فرق فى الحقيقة أو العرف فكيف يسمى أحـدهما بمخادع دون الآخر . فالاول نفاق فى أصل الدين وهـذا نفاق فى فروعه . يوضح ذلك ما ثبت عن ابن عباس أنه جاءه رجـل فقال ان عمى طلق زوجته ثلاثا أيحلها له رجل فقال من يخادع الله يخـدعه وصح عن أنس وعن ابن عباس أنهما سئلا عن بيع العينة فقالا ان الله لا يُخدَع هذا مما حرم الله

وقال أيوب السختيانى فى أهـل الحيل يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان فلو أتوا الامر عيانا كان أهون علىّ . وقال شريك بن عبـد الله القاضي فى كتاب الحيل هو كتاب المخادعة (الى أن قال) ومدار الخـداع على أصلين أحدهما اظهار فعل لغير المقصد الذى جعل له وأريد هو منه . الثانى اظهار قول لغير مقصوده الذى وضع له وهذا منطبق على الحيل المحرمة : وقد عاقب الله تعـالى المتحيلين على اسقاط نصيب المساكين وقت الجـداد بجد جنتهم عليهم واهلاك ثمارهم فكيف بالتحيل على اسقاط فرائض الله وحقوق خلقه .

وقد نقـل ابن القيم عن شيخ له (١) أن بنى اسرائيـل أكلوا الربا وأموال الناس بالباطل وهو أعظم من أكل الصـيد فى يوم بعينه (٢) ولم يعاقب أولئك بالمسخ كما عوقب به من استحل الحرام بالحيلة لان هؤلاء لما كانوا أعظم جرما كانت عقوبتهم أعظم فانهم بمنزلة المنافقين يفعلون مايفعلون

(١) اعلام الموقعين (٢) يوم السبت

غير معترفين بالذنب بل فسدت عليهم عقيدتهم وأعمالهم بخلاف من أكل الربا وأموال الناس بالباطل والصيد المحرم عالما بتحريمه فانه يقترن بمعصيته اعترافه بالتحريم وخشيته لله تعالى واستغفاره وتوبته يوما ما واعترافه بأنه مذنب عاص وانكسار قلبه من ذل المعصية وازدراؤه على نفسه ورجاؤه لقوة ربه له وعد تة مه مع المذنبين الخاطئين وهذا كله ايمان يفضي بصاحبه الى خير بخلاف الماكر الخادع المحتال على قلب دين الله ولهذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام من ارتكاب الحيل فقال: لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل. فحقيق بمن اتقى الله وخاف نكاله أن يحذر استحلال محارم الله بأنواع المكر والاحتيال وأن يعلم أنه لا يخلصه من الله ما اظهره مكرا وخديعة من الاقوال والافعال وأن يعلم أن لله يوما تكع فيه الرجال وتنسف فيه الجبال وتترادف الاهوال وتشهد فيه الجوارح والاوصال وتبلى فيه السرائر وتظهر الضمائر ويصير الباطن فيه ظاهراً والسر علانية والمستور مكشوفا والمجهول معروفا وتجرى أحكام الرب هنالك على القصود والنيات كما جرت أحكامه فى هذه الدار على ظواهر الاقوال والحركات. يوم تبيضُّ وجوه بما فى قلوب أصحابها من النصيحة لله ورسوله وكتابه أوما فيها من البر والصدق والاخلاص للكبير المتعال. وتسودّ وجوه بما في قلوب أصحابها من الخديعة والغش والكذب والمكر والاحتيال

هنالك يعلم المخادعون أنهم لانفسهم كانوا يخدعون وبدينهم كانوا يلعبون وما يمكرون الا بانفسهم ولكن لا يشعرون

وقد فصل قوله عليه الصلاة والسلام « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » الامر فى هذه الحيل وانواعها فأخبر أن الاعمال تابعة

لمقاصدها ونياتها وأنه ليس للعبد من ظاهر قوله وعمله الا ما نواه وأبطنه لا ما أظهره وأعلنه . وهذا نص فى أن من نوى التحليل كان محللا ومن نوى الربا كان مرابيا ومن نوى المكر والخداع كان ماكراً مخادعا

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » أى بأسهلها وأقربها لان المطلق ثلاثا مثلا من أسهل الحيل عليه أن يعطى بعض التيوس المستعارة عشرة دراهم ويستعيره لينزو على امرأته نزوة وقد طيبها وجملها له كما يفعل القوادون بخلاف الطريق الشرعية التى هى نكاح الرغبة بقصد المشاركة فى الحياة فانها يصعب معها عودة المرأة الى الزوج الاول جداً

(قال ابن القيم) وكذلك من أراد أن يقرض ألفاً بألف وخمسمائة فمن أدنى الحيل أن يعطيه ألفاً الا درهماً باسم القرض ويبيعه خرقة تساوى درهماً بخمسمائة وكذلك كانت حيلة اليهود بنصب الشباك يوم الجمعة وأخذ ما وقع فيها يوم السبت من أسهل الحيل التى حاولوا بها الخروج من تحريم الصيد فى يوم السبت

وروى عن محمد بن عبد الله الحافظ المعروف بمطين فى كتاب البيوع له عن أنس أنه سئل عن العينة (١) فقال ان الله لا يخدع . هذا مما حرم الله ورسوله

---

(١) العينة أن يبيع رجل من آخر سلعة بثمن معلوم الى أجل معلوم ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به فوراً فيكون فرق ما بين الثمنين فى الحقيقة ربا احتيل عليه بتلك الطريقة وهذا البيع فاسد متى اشترط على المتعين أن يبيعها من بائعها الاول سواء كان الشرط صريحاً أو مفهوما من القرائن على ما نرى

ولقد يلجأ الى بيع العينة وأشباهها من حيل المبايعات من يريدون انتهاز فرصة اضطرار المضطرين ليسلبوهم أموالهم ويغنموا الربح من وراء ضروراتهم مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن بيع المضطر نهيا مغلظا فقد روى عن حذيفة أنه حدث عن سيدنا الرسول ان بعد زمانكم هذا زمانا عضوضا يعض الموسر على ما فى يديه ولم يؤثر بذلك يبايعون كل مضطر . الا أن بيع المضطر حرام . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخونه . ان كان عندك خير فعد به على أخيك ولا تزده هلاكا الى هلاكه

قال ابن القيم ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعوا على تحريم هذه الحيل وابطالها واجماعهم حجة قاطعة بل هى من أقوى الحجج وآكدها

واذا كان هذا قولهم فى التحليل والعينة ونحوهما فما ذا يقولون فى التحليل لاسقاط حقوق المسلمين بل لاسقاط حقوق رب العالمين ولاخراج الابضاع والاموال عن ملك أربابها وتصحيح العقود الفاسدة والتلاعب بالدين

قال الامام أحمد فى رواية موسى بن سعيد الديدانى لا يجوز شئ من الحيل وقال فى رواية الميمونى وقد سأله عمن حلف بيمين ثم احتال لابطالها فقال نحن لا نرى الحيلة وقال فى رواية بكر بن محمد اذا حلف على شئ ثم احتال بحيلة فصار اليها فقد صار الى ذلك الذى حلف عليه بعينه وقال من احتال بحيلة فهو حانث وقال فى رواية صالح وأبي الحرث وقد ذكر له قول أصحاب الحيل فأنكره وقال فى رواية اسماعيل بن سعيد وقد سئل عمن احتال فى ابطال الشفعة فقال لا يجوز شئ من الحيل فى ابطال حق امرئ مسلم . وقال فى رواية أبى طالب وغيره فى الرجل يحلف وينوى غير ذلك فاليمين على نية

ما يحلفه عليه صاحبه اذا لم يكن مظلوما فاذا كان مظلوما حاف على نيته ولم يكن عليه من نية الذى حلفه شئ ونقل فى رواية عبد الخالق بن منصور من كان عنده كتاب الحيل فى بيته يفتى به فهو كافر بما أنزل الله على محمد

استدل أهل الحيل بجملة أدلة أقوى ما يعتمدون عليه منها آية أيوب عليه السلام اذ حلف ليضربن امرأته مائة ضربة فأباح الله له أن يضربها بضغث مؤلف من مائة عصا ضربة واحدة (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أوّاب)

أخذ أصحاب الحيل من هذه الآية أنه يجوز الخروج من موجبات الأيمان والنذور بصنوف الحيل فغلوا حتى أضاعوا حقوق العباد وعطلوا حدود الله وفتحوا الباب لعامة المسلمين حتى تداعت أركان الشريعة وطمست معالمها الواضحة ففشا الربا الفاحش المدمر واختلطت الانساب بالتحليل الذى لا يراه الشارع الا زنا بحتاً. ثم عطلت الزكاة التى هى عماد النظام الاجتماعى والسياسى للعالم الاسلامى

وما زالت الحيل تنشى وتنتشر على أيدى أولئك الضالين المضلين حتى تبدلت معالم الاسلام وحلت البدع وصنوف الضلال محل كتاب الله المبين وسنة رسوله الامين

ولقد تصدى لبيان آية أيوب وتحقيقها ابن القيم فى اعلام الموقعين فأتى عن شيخه بما لم يبق معه ريب لمرتاب ولا باطل لمبطل

وتنحصر توجيهاته فيما يلى

(١) ان من الفقهاء فى شرعنا من يرون أن لمن حلف ليضربن عبده

أو امرأته مائة أن يضرب تلك الضربات مجموعة أو مفرقة . فلا حيلة فى هذه الآية اذاً

(٢) ان ذلك كان شرعا لأيوب لا شرعا لنا. واذا نحن قلنا برأى من يرى أن شرع من قبلنا شرع لنا فان ذلك مشروط بألاّ يكون فى شرعنا ما يناقضه

(٣) ان ما يجب تفريقه شرعا اذا كان المضروب صحيحاً يجوز جمعه اذا كان المضروب مريضاً مرضاً يوسامنه بالاجماع أو مريضا على الاطلاق عند بعضهم كما ثبتت بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانت امرأة أيوب عليه السلام ضعيفة عن احتمال مائة الضربة التى حلف أن يضربها اياها وكانت كريمة على ربها فخفف عنها برحمته الواجب باليمين بأن أفتاه بجمع الضربات بالضغث كما خفف عمن كان فى حكمها من المرضى فالجمع بالضغث على هذا ليس من الحيل فى شئ وانما هو حكم الله رحمة بعباده وتخفيفا عليهم . ألا ترى أن السنة قد جاءت فيمن نذر الصدقة بجميع ما له أن يجزيه الثلث فاقام الثلث فى النذر مقام الجميع رحمة بالناذر وتخفيفا عنه . كما أقيم الثلث فى الوصية مقام الجميع رحمة بالوارث . وفى السنة كثير من أشباه ذلك وقد أتى ابن القيم على عدة منها فلتراجع

وأصح تلك الاوجه فيما نرى هو آخرها . والخلاصة أن كل ما أفضى من الحيل الى استباحة حرام أو اسقاط واجب أو ابطال حق فهو باطل حرام على كل مسلم محاولته . وليس من ضروب الحيل المحظورة المعاريض القولية والتوريات التى تستعمل للتخلص من ظالم أو نحوه مما لم يتضمن مفسدة فى الدين أو الدنيا فان ذلك جائز لا حرج فيه

ولقد تبين للمسلم الطاهر النفس النقى الايمان أن المسلمين اليوم على سنة يهود الصدر الاول . أولئك الذين بدلوا وغيروا وفسروا وتأولوا واتخذوا من الحيل ذرائع استعملوها فى نيل مآربهم وشهواتهم وأضاعوا بها الحقوق البشرية وعطلوا بها الحدود الالهية . ذلك شأن المسلمين اليوم فهل نعجب اذا نحن رأينا لعنات الله تتساقط عليهم وغضبه حائقا بهم واذا أبصرنا الامم الصليبية تتخطفهم من كل جانب وتفتك بهم فى كل حين . ثم هل نعجب أن يتساهم الله اذ نسوه ويكلهم الى أنفسهم بعد أن أعرضوا عن كتابه وحاربوا تعاليمه وأحكامه

نعمد فى التخلص من أحكام الشريعة الى الحيل فأنفسنا نخادع أم الله ؟ لقد ضلت الاحلام وعم الفساد ولم يبق الا أن نتدارك أمرنا ونرجع الى ديننا الذى دانت الدنيا لمن اعتصم به من أسلافنا الصالحين والا فكأننا بصوت القضاء الالهى يؤذن فينا بالفناء والزوال

هذا وبعد أن ضرب الله لنا المثل بما أصاب اليهود من عواقب مخادعتهم اياه أراد أن يرينا مضار النفاق وتبييت المكايد وعاقبة المنافقين والماكرين وجزاء المحتالين المخادعين فقال فى اليهود الاقدمين :



ابن رشد وتعاليمه

لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

قبل ان نذكر حياة الرجل وبيان تعاليمه وأثرها فى العالم نذكر نبذة صغيرة نبين فيها أدوار العلم والفلسفة فى بلاد الاندلس

أدوار الفلسفة فى بلاد الاندلس

لما دخلت الفلسفة بلاد الاندلس قام الفقهاء الجامدون وأفهموا العامة أن الفلاسفة انما يقصدون هدم الدين ونقض أساسه فمن ذلك انقسم الناس الى حزبين حزب يكره الفلسفة ويحقد على المشتغل بها وهم الفقهاء ومن تبعهم من العامة . وحزب آخر كان ينصر الفلسفة ويعزز المشتغل بها وهؤلاء هم العقلاء الذين عرفوا كيف ترقى الامم وكيف تؤسس الفضائل على دعائم الحق

والملوك كانت رغباتهم مختلفة وأهواؤهم متباينة لذلك كنت تراهم في بعض الاحيان يعطفون على الفلاسفة ويجلونهم ويستشيرونهم فى مشكلات الامور ومعضلاتها لما رأوه من بعد نظرهم ورجاحة عقلهم .وفى بعض الاوقات كنت ترى الفلاسفة معذبين مضطهدين لا ينالون من الامراء الا العسف ولا من العامة الا المهانة . واذا نظرت الى سبب ذلك رأيته تابعا لاميال الامراء ورغباتهم

فالامير العادل لا يرمى الا الى الخير ويرى ان أكبر معوان له على ذلك الفيلسوف . لذلك كان يقربه اليه لينتفع بآرائه السديدة

أما الامراء الظلمة فانهم لا يسيرون الاوراء شهواتهم ولا يرضون الا أهواءهم ولوكان فى سبيل ذلك شقاء الرعية. ولما كانوا لا يرون من الفلاسفة الا محاربة الشهوات ودك اركانها وبث الفضائل في نفوس الناس ساموهم خسفا وأجلوهم نفيا لئلا يكونوا حربا عوانا عليهم

ولم تنفق سوق الفلسفة ويكثر طلاب العلوم والآداب الامنذ ان تبوأ الحكم المستنصر عرش امارة الاندلس فانه كان يرسل الرسل العديدة الى الاقطار النائية لجمع الكتب القديمة والحديثة وكان له فى الاسكندرية ودمشق وبغداد والقاهرة رجال يبتاعون له الكتب ويرسلونها اليه مهما أدّى ذلك الى كثرة النفقات . وكان قصره مملوءاً بالفلاسفة والنساخين والادباء والمجلدين حتى صار فى مكتبته ٤٤ الف كتاب

ولقد كانت نتيجة محبة هذا الامير للعلم وعنايته بأهله كثرة الفلاسفة والادباء على اختلاف مللهم ونحلهم . كنت ترى المسيحى واليهودى والمسلم يدرسون على أستاذ واحد وينطقون بلسان واحد حتى خضع الجميع لسلطان العلم والفلسفة ولدولة المسلمين التى كانت تبسم بمقدمهم وترحب بهم كما كانت ترحب بأبنائها .غير ان ذلك العصر ما لبث أن درست آثاره فان هشام بن الحكم لما اغتصب منه الحاجب المنصور الملك أراد أن تجتمع له كلمة العامة تقوية لعرشه الجديد واضعافا لحزب هشام فأخذ يضطهد العلماء والمشتغلين بالفلسفة وحصر قرطبة عاصمة العلم واسقط قصر الخلفاء فيها وأمر باحراق كتب الفلسفة والمنطق والفلك

وما زالت العلوم فى تأخر من جراء تلك الجناية التى اقترفتها يد الحاجب حتى سقطت دولة المرابطين وقامت على انقاضها دولة الموحدين فقيض الله من أمرائها من كانت حياة الفلسفة والآداب على عهده بعد زوال أثرها. ذلك الامير هو عبد المؤمن بن على فانه كان مؤثرا لاهل العلم محبا لهم يستدعيهم من البلاد ليغدق عليهم نعمه ويجرى عليهم رزقه

ولما مات عبد المؤمن وآل الملك لابنه ابي يعقوب يوسف اقتفى أثر أبيه في الاحتفاء بالعلماء والاكبار من شأنهم حتى طمحت نفسه الى تعلم الفلسفة فصار يجمع له من كتبها حتى اجتمع له ما اجتمع للحكم المستنصر. وكان ممن صحبه من العلماء أبو بكر محمد بن الطفيل كان شديد الحب له عظيم الاعجاب به حتى كان يقيم معه في القصر أياما عديدة ليلا ونهاراً وفى أيامه اشتهر أبو الوليد بن رشد وذاع ذكره

حياة أبي الوليد

ابن رشد

نشأته

هو محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد ويكنى أبا الوليد ولد فى قرطبة في شهر شوال سنة ٥٢٠ هـ - ١١٢٦م ولما ترعرع اشتغل بدراسة الفقه على مذهب الامام مالك والاصول وعلم الكلام حتى صارت له اليد الطولى فيها. وقد روى الحديث عن أبى مروان بن سراج وعن أبى عبد الله محمد بن خبرة وعن أبى محمد عبد الله بن فرج وعن أبى على الغسانى وقد أجاز له ما رواه أبو العباس المذرى

أما أساتذته فى العلوم الدينية فهم أبو القاسم بشكوال وأبو مروان بن مسرة وأبو بكر بن سمحون وأبو جعفر بن عبد العزيز وهؤلاء كانوا أعظم فقهاء الاندلس في ذلك العصر. وبعد ان تمكن من العلوم الدينية تاقت نفسه الى تعلم الطب والفلسفة والرياضيات فتعلمها وبرع فيها حتى صار المرجع فى مشكلات الفلسفة ومعضلات السياسة. ولما جعله السلطان من أطبائه وكان من بينهم أبو مروان بن زهر قويت بينهما أواصر المودة حتى ان ابن رشد لما الف كتابه الكليات فى الطب رغب الى صديقه ابن زهر ان يكتب كتابا فى الجزئيات (أى التعرض للامراض الجزئية والتكلم عليها جزئية جزئية فكتب ابن زهر كتابا فى ذلك سماه التيسير فكان جملة كتابيهما كتابا كاملا في الطب)

رفعته وسبب شرحه
كتب أرسطو

لما أقام الامير عبد المؤمن بن علي بمراكش كان ابن رشد فى ريعان شبابه فاستدعاه اليه الامير فعبر البحر سنة ٥٤٨ حتى وصل الى مراكش وأقام فيها مساعدا للامير عبد المؤمن على تنظيم المدارس وتشييد دور العلم

ولما مات عبد المؤمن وآل الملك لابنه يوسف الذى كان أكبر الملوك علما قرب اليه الفيلسوف الكبير أبو بكر محمد بن الطفيل فانتهز بن الطفيل هذه الفرصة وملأ بلاط الملك بالفلاسفة والعلماء كابن رشد وابن بجا وغيرهما

قال الفقيه أبو بكر بن يحيي القرطبي أحد تلاميذ ابن رشد سمعت أبا الوليد يقول غير مرة : لما دخلت على أمير المؤمنين أبى يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن الطفيل ليس معهما أحد فأخذ أبو بكر يثنى علي ويذكر

نسبي وسلفي ويضم الى ذلك أشياء لا يبلغها قدري فكان أول ما فتحني به أمير المؤمنين بعد أن سألني عن نسبي أن سألني هذا السؤال ماراى الفلاسفة في السماء أقديمة هي أم حادثة فأخذني الحياء والخزى فأخذت أتملل وأنكر اشتغالي بالفلسفة ولم أكن أدري ماأتفق عليه أمير المؤمنين وأبو بكر ففهم أمير المؤمنين مني الروع والحياء فالتفت الى ابن الطفيل وأخذ يتكلم على المسألة التي سألني عنها ويذكر ما قاله ارسطو وأفلاطون وسائر فلاسفة اليونان ويورد مع ذلك احتجاج أهل الاسلام عليهم فرأيت غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بالفلسفة ولم يزل يبش في وجهي ويبش حتى تكلمت على المسألة فعرف ما عندي فلما انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنية ومركب

هذا هو السبب في اكبار الامير لابن رشد وفي حفاوته به . ومن ذلك الحين أخذ ابن رشد يستوى على عرش القضاء متنقلا من بلد الى آخر

ففي سنة ٥٦٩ هـ ولي قضاء اشبيلية ثم نقل منها الى مراكش سنة ٥٧٣ ثم نقل ثانية الى اشبيلية سنة ٥٧٤ وبقي بها الى سنة ٥٧٨ ثم استدعاه الامير يوسف الى المغرب وجعله طبيبه الخاص مكان ابن الطفيل وولاه منصب قاضي القضاة في قرطبة

ولقد كان مع اشتغاله بالقضاء مكبا على الفلسفة مواليا التأليف فيها فقد أتم كتاب الحيوان في اشبيلية ولما عاد الى قرطبة اشتغل بشرح كتب ارسطو وكان السبب في ذلك ان أبا بكر بن الطفيل استدعاه يوما وأخبره ان أمير المؤمنين قد تشكى من تاق عبارة المترجمين لكتب ارسطو وغموض أغراضه وانه ليود ان يتاح لهذه الكتب من يعرف أغراضها ويفهمها فهما جيدا فيلخصها

حتى يقرب على الناس من مأخذها . فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل وانى لأرجو ان تفى بذلك لما أعلم من جودة ذهنك ووفرة عقلك وقوة نزوعك الى هـذه الصناعة وانى لم يمنعنى عن ذلك الا كبر سنى واشتغالى بالخدمة . ذلك ما حمل ابن رشد على تلخيص كتب أرسطو وشرحها مع ميله الطبيعى الى ذلك

اضطهاده ونفيه

قلما يخلو بلد من البلدان من رسل الشر الذين توغر صدورهم وتملأ قلوبهم حقداً وحسداً على العلماء والفلاسفة بما نالوه من حفاوة واكرام يعز على هؤلاء ان يروا النعم تجرى على أولئك الفلاسفة والخلع تخلع عليهم فلا يجدون وسيلة ينالون بها ما يريدون الا الدسائس والوشايات. غير أن تلك السعايات قد تكون صرخة في واد اذا ما كانت بطانة الامير من العلماء المخلصين وكان الامير من العقلاء الذين يزنون الرجال وأعمالهم . ولقد كان ذلك شأن المنصور فى أول أمره فانه كان يضرب صفحا عن أقوال الواشين الذين كانوا يرمون ابن رشد بجحد القرآن وبتعريضه بالخلافة

وقد تكون تلك الوشايات فى ارهاق هؤلاء الفلاسفة ذلا وسومهم خسفا وأكثر ما يكون ذلك اذا كان الامير مأفون الرأى متخذا بطانته من أعداء العلم ونصراء الباطل

هذا ابن رشد ذلك الذى كان ديدنه الاخلاص وخيمه الحق ذاك الذى يبغض الالقاب الضخمة التى يلقب بها الملوك قد ختمت حياته بالاهانة والنفى من غير ما ذنب جناه سوى اخلاصه لامته واشتغاله بالفلسفة وعلوم الحياة التي

نال بها الحظوة عند الامراء فعز على أعدائه ان يروه محترما مقربا من الملوك فنصبوا مكايدهم حتى أوقعوه فى أحبولتهم

وانى لذاكر الاسباب التي ذكرها المؤرخون لتعلم ان كانت تصلح باعثا للامير على نفى الرجل أو هي الاحقاد وجدت سبيلا الى نفس الامير فأخذ يتجسم له الخيل فظن أن الرجل ضال . ولو كان الامير ممن يحب الانصاف فتخذ سبيله العدل لعلم ان ما بلغه من المشاءين انما يقصد به الانتقام من ذلك الذى كان يحتقرهم ولا يأبه لاقوالهم. قال المراكشي فى المعجب : ان السبب فيما أصاب أبو الوليد من النفي والاضطهاد انه أخذ في شرح كتاب الحيوان لارسطو فهذبه وبسط أغراضه وأبان مراميه وزاد فيه ما رآه لائقا به فقال فى هذا الكتاب عند ذكره الزرافة وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ (وقد رأيتها عند ملك البربر) جاريا فى ذلك على سنن العلماء فى الاخبار عن ملوك الامم غير ملتفت الى ما يتعاطاه خدمة الملوك من الاطراء والتقريظ وغير ذلك من طرق الخداع والنفاق فكان ذلك سببا لحقد الملك عليه . فأخذ أعداؤه بعد ذلك يكيدون له المكايد لينالوا منه فأخذوا يتصفحون كتبه حتى عثروا على عبارة كان يحكيها عن قدماء الفلاسفة فأخذوها وبتروها وقدموا للملك هذه العبارة (فقد ظهر ان الزهرة أحد الآلهة) فاستدعاه الامير بعد ان جمع له الرؤساء والاعيان من كل طبقة فلما حضر أبو الوليد قال له الامير بعد ان نبذ اليه بالاوراق أخطك هذا فأنكر فقال أمير المؤمنين لعن الله كاتب هذا الخط وأمر الحاضرين بلعنه ثم أمر باخراجه على حال سيئة وابعاده وابعاد كل من يتكلم فى شيء من علوم الفلسفة وأمر الناس ان يحرقوا كل ما عثروا عليه من كتب الفلسفة الا ما كان

من الطب والحساب وما يتوصل به من علم النجوم الى معرفة أوقات الليل والنهار

وروي الانصاري سبباً آخر فقال ان سبب نكبة أبي الوليد اختصاصه بأبي يحيي أخي المنصور والى قرطبة ثم ذكر السبب الذى نقلناه عن المراكشي بصورة أخرى فقال : ويقال ان من أسباب نكبته أن قال فى كتاب الحيوان له ورأيت « الزرافة عند ملك البربر » وأن ذلك وجد بخطه فاطلع المنصور عليه فهمّ بسفك دمه فوافق أن كان بالمجلس صديقه أبو عبد الله الاصولى فقال وقد جرى فى مجلس المنصور منع العمل بالشهادة على الحق منعت الشهادة على الحق فى الدينار والدرهم ويجيزونها فى قتل المسلم ثم قال ان ابن رشد قد كتب « ورأيت الزرافة عند ملك البربر » فاستحسن ذلك فى الوقت وأسرّها المنصور فى نفسه

وقد حكى الضبي سبباً آخر فقال:

لقد شاع فى الشرق والاندلس على ألسنة المنجمة أن ريحا عاتية تهب فى يوم كذا وكذا فتهلك الناس ولقد استفاض ذلك حتى اشتد جزع الناس فاتخذوا القيعان والانفاق ليكونوا فى مأمن من هذه الريح

ولما ذاع ذلك فى انحاء البلاد حتى صارت تلك الريح حديث الناس فى نواديهم استدعى والى قرطبة اذ ذاك طلبتها وفاوضهم فى ذلك وكان فيهم ابن رشد قاضى قرطبة وقتئذ فقال بعض الحضور اذ صح أمر هذه الريح فهي ثانية الريح التى أهلك الله بها قوم عاد فانبرى ابن رشد لهذا السائل وقال والله وجود قوم عاد ما كان حقاً فكيف سبب هلاكهم فسقط فى أيدى الحاضرين وأكبروا هذه الزلة التى لا تصدر الا ممن امتلأ قلبه كفرا فلم يصدقه آيات القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تلك

هى الاسباب التى ذكرها المؤرخون غير أننا اذا اطلعنا على آراء الرجل وعقائده لا نشك فى كذب تلك الاسباب التى لها مساس بالدين فان قوله (قد ظهر ان الزهرة أحد الآلهة) كان حكاية لرأى أرسطو لا اختباراً منه وهاك عبارة أرسطو: لقد ورد فى أقوال الاقدمين فى سياق أسطورة من الاساطير أن الاجرام السماوية آلهة وان الالوهية تشمل الطبيعة كلها. فاذا جردنا هذا القول من ثوبه الخرافى ونظرنا الى ما تحته من المعنى الدقيق الذى ماله أن العقول الاولى التى خلقت الكون هى آلهة أمكننا أن نقول ان ذلك القول فى غاية الصواب

فحكى ابن رشد حكاية أرسطو واستنتج من عبارته أن الزهرة أحد الآلهة الا أن أعداءه أخذوا العبارة وبتروها لينالوا من الرجل

أما انكاره قوم عاد والريح التى أهلكتهم فان صح فان الرجل لم ينكر الا تلك الخرافات التى يذكرها المؤرخون فى شأنهم وفى شأن تلك الريح التى أبادتهم فأخذ حساده من ذلك فرصة ينالون بها ما يريدون فغيروا الكلم عن مواضعه ليغيروا قلب الامير فيحنق على الرجل فيوقع عليه من ضروب العسف والاهانة ما تقر به أعينهم ويهدأ به خاطرهم وان فى حوادث الوشاة من تغييرهم أقوال الناس وتبديلها بما يوافقهم لدليلا بيناً على صحة ما أقول. فالرجل لم يحد عن طريق الحق ولم يقل بشئ يخالف القرآن الكريم بل السياسية قد فعلت به ما فعلت باسم الدين حتى تخضع النفوس لحكمها ويعتقد الناس أن من أمطر عليه العذاب لا يستحق الاشفاق والحنان فحكمت عليه بالنفى الى (أليسانه) (بلد قريب من قرطبة سكانه من اليهود) ونشرت المنشورات فى بلاد الاندلس والمغرب لتحذير الناس من الاشتغال بالفلسفة

وان ما أصاب أبا الوليد قد أصاب كثيراً من اخوانه الفلاسفة فان سقراط قد اتهم بتغيير آلهة الوطن فحكم عليه بالقتل سيما مع أنه كان من أكبر المحافظين عليها كأن الطبيعة كما قال أرسطو ضنت على الفلاسفة بالراحة والنعيم وأمطرت عليهم النفي والقتل ليعلم الناس صفاء قلوبهم وأن ليس لهم غرض الا سعادة الانسان

العفو عنه ووفاته

لبث ابن رشد فى (اليسانه) منفاه هادئ البال لا يهمه أن يكون الامير راضيا عنه أو ساخطا لانه لم يجن ذنباً حتى يطلب الغفران . لم يبك على تلك السرر المرفوعة والنمارق المصفوفة . لم يألم من اتخاذه الارض مهداً والسماء سقفاً بعد الفراش الوثير لان السعادة فى نظر الفيلسوف راحة الضمير والسير فى طريق الفضيلة مهما كلفه ذلك من العناء والنصب

مكث ابن رشد فى منفاه ينشر مبادئه بين أولئك اليهود الذين أصبح بينهم حتى التفوا حوله وصاروا من المعضدين لفلسفته العاملين على نشرها

ولما علم الامير أن الرجل من المخلصين وانه لم يجن ذنباً عفا عنه وعن سائر المنكوبين ورضى عنهم فرجعوا الى بلدهم . غير أن ابن رشد لم يعش بعد العفو طويلا فانه مات فى السنة التالية فى مراكش ليلة الخميس التاسعة من صفر سنة ٥٩٥ ودفن بجبانة تاغزوت ثلاثة أشهر ثم حمل الى قرطبة فدفن بها فى روضة سلفه بمقبرة ابن عباس وقد صلى عليه ابنه أبو القاسم

ولقد خلف ابن رشد أولادا عدة منهم أبو محمد عبد الله الذي صار بعد ذلك طبيباً للخليفة النصير

ولقد كسدت سوق الفلسفة بعد وفاة أبي الوليد فان أهلها قد طواهم الدهر والامراء قد شغلوا عن العلم بالحروب التي كانت بينهم وبين الفرنجة وانتهت بهزيمة المسلمين وذهاب علوهم وبلادهم غنيمة للفاتحين

اخلاقه

كان أبو الوليد مثال الوقار والحلم والصمت الحسن والهدى الصالح كان مصدر النزاهة والاخلاص كان كبير النفس والهمة لا يعرف النفاق والملق كان سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه جميل العشرة لهم حافظا لعهدهم كثير البر بهم كان يخاطب الامير دائما بقوله أيها الاخ ولم ترعه أبهة الملك لانه يرى أن المسلمين سواء لا فضل لأحدهم الا بما يقدمه من عمل نافع

كان اذا رأى من الامير حفاوة واكراما لم يشمخ بأنفه ولم يعجب بنفسه كما هو شأن الجهلاء المغرورين بل كان لا يأبه لذلك شأن الفلاسفة العقلاء يدل على ذلك ما رواه ابن أبي أصيبعة قال:

كان ابن رشد مكينا عند المنصور وجيها في دولته ولما كان المنصور بقرطبة وهو متوجه الى غزو الفنش وذلك في عام احدى وتسعين وخمسمائة استدعى أباالوليد بن رشد فلما حضر عنده احترمه احتراما كثيراً وقربه اليه حتى تعدى به الموضع الذى كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الهنتاتي صاحب عبد المؤمن وكان أبو محمد هذا قد صاهره المنصور وزوجه بابنته لعظم منزلته عنده فلما قرب المنصور ابن رشد وأجلسه الى جانبه حادثه ثم خرج من عنده وجماعة الطلبة وكثير من أصحابه ينظرونه

فهنأوه بمنزلته عند المنصور واقباله عليه فقال : والله ان هذا ليس مما يستوجب الهناء فان أمير المؤمنين قربني دفعة الى أكثر مما كنت أؤمل فيه أو يصل رجائي اليه

ولقد كان الرجل محباً لبلده لا يؤثر عليه بلداً آخر بدا، على ذلك انكاره فى كتاب الكليات على جالينوس الذى كان يقول ان أجود هواء فى الدنيا هواء اليونان. فقال ان أجود هواء واصحه هواء قرطبة. ولما كان يشرح جمهورية افلاطون رأى ان فيلسوف اليونان يخص قومه بالذكاء والاستعداد للعلوم العقلية فأخذ يدافع فى الشرح عن أهل بلده ويشركهم فى ذلك الفضل وحسب الرجل ما قدمه لقومه من المؤلفات وما خلفه من الآراء والتعاليم فان ذلك أعظم عمل يقدمه الفيلسوف لامته

مؤلفاته

لقد وقف الرجل حياته على التأليف حتى أبرز للناس كتبا عدة فى فنون شتى وان مؤلفاته على كثرتها لا يوجد منها الا القليل فى بلاد المشرق مع انتشارها فى بلاد الغرب فى اسبانيا وباريس وليدن وغيرها وهاك مؤلفاته

كتاب الكليات فى الطب. شرح على أرجوزة ابن سينا فى الطب. تلخيص كتاب العلل والاعراض لجالينوس. تلخيص كتاب الحميات لجالينوس. تلخيص كتاب المزاج لجالينوس. تلخيص كتاب الادوية المفردة لجالينوس تلخيص كتاب حيلة البرء لجالينوس. مراجعات ومباحث بين أبي بكر بن الطفيل وبين أبي الوليد بن رشد فى رسمه للدواء فى كتاب الكليات. كتاب ما بعد الطبيعة. كتاب الكون والفساد. كتاب جوامع كتب ارسطو

فى الطبيعيات والآلهيات. كتاب السماء والعالم. كتاب القوى الطبيعة. شرح كتاب النفس لارسطو. شرح كتاب الاسطقسات لجالينوس. مقالة فى اتصال العقل بالانسان. مسألة فى الزمان. كتاب فى الفحص عن مسائل وقعت فى العلم الالهي في كتاب الشفاء لابن سينا. مقالة فى دحض شبهة من اعترض على الحكيم وبرهانه فى وجود المادة الاولى. مقالة فى الرد على أبي على بن سينا فى تقسيمه الموجود الى ممكن على الاطلاق وممكن بذاته والى واجب بغيره وواجب بذاته. مقالة فى الزمان. مقالة فى حركة الفلك. مختصر المجسطى. مقالة فى بيان ما خالف فيه أبو نصر ارسطو. كتاب الآثار العلوية. جوامع سياسة أفلاطون. تلخيص كتاب الاخلاق. مقالة فى علم النفس. مايحتاج اليه الانسان من كتاب اقليدس فى المجسطى. شرح عقيدة الامام المهدي. مقالة فى البذور والزرع مقالة فى ان الله يعلم الجزئيات. كتاب تهافت التهافت رد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى. كتاب القياس. كتاب البرهان. كتاب المقولات. كتاب منهاج الادلة فى علم الاصول. كتاب نهاية المجتهد فى الفقه. كتاب التحصيل جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين. كتاب المقدمات في الفقه

الآراء والتعاليم

(الفلسفة والشريعة)

لقد قام ببلاد الاسلام نفر حقدوا على الفلسفة وعلى المشتغلين بها غير ان هؤلاء لم يدعموا آراءهم بالبرهان بل سلكوا طرقا أعمتهم عن الحق وأبعدتهم عن سبل الهدى ويمكن حصر الطوائف التي عادت الفلسفه وأهلها فى ثلاث

(١) طائفة الفقهاء. جل هذه الطائفة لم يشتغل بالفلسفة ولم يعرف من أصولها ما يبرر له هذا العداء وانما ابغضوا الفلاسفة لمخالفتهم لهم فى كثير من العقائد زعموا أنها أصل الدين فمخالفتها كفر وانتحال غيرها زندقة ولو ثابوا الى عقولهم لعلموا انهم فى زعمهم واهمون وما مخالفة الفلاسفة لهم الا كمخالفة الكرامية للمعتزلة والاشاعرة للماتريدية واننا نترك هذه الطائفة تتخبط في جهلها فأنها لا تخضع لحق ولا تحترم رأيا

(٢) الطائفة الثانية اشتغلت بالفلسفة وعرفت كثيرا من مبادئها واصولها غير أنها لم ترجع الى كتب القوم انفسهم بل اعتمدت فى نقلها واشتغالها على كتب ابن سينا وابى نصر الفارابى الذين كثيرا ما خالفوا الاقدمين وذهبوا الى غير ما ذهبوا. وهؤلاء لم يكفروا الفلاسفة الا فى مسائل معدودة سنتكلم فيها بعد. ولقد كان الاجدر بهؤلاء أن يرجعوا الى كتب القدماء قبل أن ينبروا للرد عليهم. ومن هذه الطائفة الامام الغزالى قال في كتابه تهافت الفلاسفة

انا سنقتصر على اظهار التناقض فى رأى مقدمهم الفيلسوف المطلق والمعلم أرسطو فانه رتب علومهم وهذبها بزعمهم وحذف الحشو من آرائهم وانتقى ما هو الاقرب الى أصول أهوائهم وقد رد على كل من كان قبله حتى على استاذه افلاطون ثم أعتذر عن مخالفته له بأن أفلاطون صديق والحق صديق الا أن الحق أصدق منه وانما نقلنا هذه الحكاية ليعلم أن لا ثبت ولا ايقان لمذهبهم عندهم وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن

التخمين كعلومهم الحسابية والمنطقية ما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في العلوم الحسابية ثم المترجمون لكلام ارسطوا لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج الى تفسير وتأويل حتى أثار ذلك ايضا نزاعا بينهم واقومهم بالنقل والتخمين من المتفلسفة الاسلامية ابي نصر الفارابي وابن سينا فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجراه واستنكفاه من المتابعة فيه لا يتمارى في اختلاله ولا يفتقر الى نظر طويل في ابطاله فليعلم انا مقتصرون على رد مذهبهم بحسب نقل هذين الرجلين

الطائفة الثالثة — اشتغلت بالفلسفة واحاطت بكثير من فروعها الا انها قد غفلت عن كثير من الاصول لهذا تراها تعترض على بعض الاصول غافلة عن البعض الآخر ومن هذه الطائفة ابن خلدون قال في مقدمته:

ان ضرر هذه العلوم في الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد فيها وذلك ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحس تدرك ذواته واحواله الانظار الفكرية والاقيسة العقلية كأن تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وقد بحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على اصابة منه ووضعوا قانونا يهتدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق وقد زعموا ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدي وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودوّن علمها وسطر حججها أرسطو المقدوني ثم كان من بعده في الاسلام من أضله الله من منتحلي هذه العلوم فأخذوا بتلك المذاهب واتبعوا فيها رأيه الا في

القليل وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي فى المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو علي بن سينا فى المائة الخامسة لعهد نظام الملك بن بويه بأصبهان

فهذه الطوائف على اختلاف آرائها قد اتفقت على أنه لا اتصال بين الشريعة والفلسفة والاشتغال بهما مضر غير أن أبا الوليد بن رشد لم يلتفت الى هذه الآراء ولم يأبه لقائليها فبحث حتى وصل الى الاتصال المتين بين الشريعة والفلسفة وذهب الى أن الاشتغال بها وبعلوم المنطق من الواجبات التى طالب بها الشرع وهذه المسألة من المسائل التى لم يسبق بها ابن رشد فهى من بنات أفكاره وحسبنا أن نلخص رسائله التى كتبها فى هذه المسألة

الحكمة أو الفلسفة النظر فى أحوال الموجودات على ما هى عليه بقدر الطاقة البشرية فالفيلسوف لا يشغل بشئ أكثر من النظر فى الموجودات من جهة دلالتها على الصانع فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعها فكلما كانت المعرفة بصنعها أتم كانت المعرفة بالصانع أكمل

واذا كان الشارع قد طلب منا اعتبار الموجودات وحث على ذلك فان ما يدل عليه الاسم اما واجب بالشرع أو مندوب اليه فأما ان الشرع دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به فذلك بين فى غير ما آية من القرآن مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الابصار) وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلى أو العقلى والشرعى معا ومثل قوله تعالى (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) وهذا نص بالحث على النظر فى جميع الموجودات وقال تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت) وقال (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) الى غير ذلك من الآيات. واذا تقرر ان الشرع قد أوجب النظر بالعقل فى

الموجودات واعتبارها وكان الاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول واستخراجه منه وهذا هو القياس فواجب ان نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى وبين ان هذا النحو من النظر الذى دعا اليه الشرع وحث عليه هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس . واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان كان الافضل لمن أراد ان يعلم الله وسائر الموجودات بالبرهان ان يتقدم أولا فيعلم أنواع البراهين وشروطها وبماذا يخالف القياس البرهانى القياس الجدلى والقياس الخطابى والقياس المغالطى ولا يمكن ذلك دون ان يتقدم فيعرف قبل ذلك القياس المطلق وكم أنواعه وما منها قياس وما ليس بقياس وذلك لا يمكن أيضاً دون ان يتقدم فيعرف أجزاء القياس أعنى المقدمات وأنواعها . اذن يجب على المؤمن بالشرع فيمتثل أمره بالنظر فى الموجودات ان يتقدم قبل النظر فيعرف هذه الاشياء التى تنزل من النظر منزلة الآلات من العمل فكما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه فى الاحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على أنواعها كذلك يجب على العارف ان يستنبط من الامر بالنظر فى الموجودات وجوب معرفة القياس وأنواعه بل هو أحرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الابصار) وجوب معرفة القياس الفقهى فبالحرى ان يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلى

واذا تقرر انه يجب بالشرع النظر فى القياس العقلى وأنواعه كما يجب النظر فى الفقهى فتبين انه ان كان أحد ممن قبلنا لم يتقدم بالفحص عن القياس العقلى وأنواعه انه يجب علينا ان نبتدئ بالفحص عنه وان يستعين فى ذلك المتقدم بالمتأخر حتى تستكمل المعرفة فانه عسير أو غير ممكن ان يقف واحد

من الناس من تلقائه وابتداء على جميع مايحتاج اليه من معرفة أنواع القياس الفقهى بل معرفة القياس العقلى أحرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا فى ذلك سواء كان المتقدم مشاركا لنا فى الملة أو غير مشارك فان الآلة التى بها تصح التزكية ليس يعتبر فى صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا فى الملة أو غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة

واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر فى أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغى ان نضرب بأيدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صوابا قبلناه منهم وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التى بها نقدر على الاعتبار فى الموجودات ودلالة الصنعة فيها فقد يجب ان نشرع فى الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وتبين أيضاً ان هذا الغرض انما يتم فى الموجودات بالفحص عنها واحداً بعد واحد وأن يستعين فى ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ما عرض فى علوم التعاليم. فانه لو فرضنا أن صناعة الهندسة فى وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة الهيئة ورام انسان من تلقاء نفسه أن يدرك مقادير الاجرام السماوية وأشكالها وابعاد بعضها ما أمكنه ذلك ولو كان أذكى الناس طبعاً الا بوحى أو شبه وحى بل لو قيل له ان الشمس أعظم من الارض بنحو مائة وخمسين ضعفاً أو ستين لعد هذا القول جنونا من قائله وهذا شئ قد قام عليه البرهان فى علم الهيئة قياس لا يشك فيه من هو من أصحاب هذا العلم. ولو رام انسان اليوم أن يقف من تلقاء نفسه على جميع الحجج

التي استنبطها النظار من أهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وضعت المناظرة فيها بينهم في أكثر بلاد الاسلام لكان أهلا أن يضحك لكون هذا ممتنعاً وهذا أمر بين بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر أن ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة

واذا كان الامر كذلك فقد يجب علينا ان الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه

يتلى

اثارة من نظم شيلير

نابغه شعراء الالمان

وهي مما سيذكر فى الجزء الثاني من بلاغة الغرب

الغواص

من منكم أيها الفرسان والفتيان النبلاء يقدم على الاندفاع فى هذه الهاوية؟ لقد رميت قدحا من نضار فابتلعته الحفرة المهلكة فمن آنس فى نفسه قدرة على أخذه فليحفظه لنفسه منحة منى

فما أتم الملك كلامه حتى رمى من ذروة الصخور المنحدرة المشرفة على اللجج المائلة قدحا من عسجد فى مياه (كربد) وكرر نداءه:

«من منكم يعهد فى نفسه الاقدام على غوص هذه الاعماق؟»

عم السكوت وخيم السكون وما من مجيب وما هى الا هنيهة حتى هب بغتة شاب سرى جمع بين اللطف والجرأة فتقدم وحل منطقته وتجرد من عباءته فدهش كل من رآه من رجال ونساء وأعجبوا به أيما اعجاب. وبينا هو على حافة الصخر يتأمل فى هذا المهوى اذ اندفعت اللجج من أغوارها مزمجرة كالرعد

صفر هذا الضارى ثم أزبد وغلى كماء المراجل غذته النار وارتفعت نوافير الماء والبخار الى عنان السماء وتبعت اللجة اللجة. فكأن قوة هذا المهلك تتجدد ولا تنفد أو كأن المحيط يتمخض ليلد يما آخر

ثم سكن هذا التيار اندوار ولمح الناس وسط الزبد الابيض فوهة

سوداء لا قرار لها فاغرة فمها كالجحيم لا تلبث أن تزدرد ما يهوى فيها من الموج المضطرب

وفى هذه الآونة اعتمد الشاب على الله وطلب منه الرعاية ... ثم سمع على حين غفلة صياح الفزع والرعب اذ ابتلعت اللجة هذا الغواص المقدام وانطبق عليه فم الوحش الكاسر

صمت كل شئ على وجه الماء ولكن الانواء ما فتئت تدوى فى ظلمات الحفرة وطفق كل متفرج يقول: « الوداع الوداع أيها العزيز » وما برح هزيم الهاوية يهبط شيئاً فشيئاً حتى هلعت القلوب وحارت العقول

ثم صاح أحد المشاهدين: « لئن رميت تاجك فى هـذا النور المائل قائلا: « الملك لمن يرده » ما سولت لى نفسى أن اتطلع اليه اذ لم تستطع نفس حية أن تقول ما شاهدته فى هذه الحادس والمهاوى »

« كم من فلك اختطفت هذه الاغوار ولم تزد منها الا حطاما وساريات مهشمة ودفن باقيها فى بطون الرموس » ثم علت زمجرة اللجج بغتة واقتربت أصواتها

زأر الكاسر الرهيب وهاج وأرغى وأزبد وعلت لججه كالاطواد وأنشأت تنقض على الشاطئ فيسمع لصدماتها هزيم كالرعد

ثم شوهدت طى الموج المظلم العنيف ذراع وعنق وضاح كالجليد: وما هو الا الشاب السرى يسبح بقوة عظيمة وعاد متهللا حاملا القدح بيده اليسرى

استنشق الهواء طويلا ثم حيى نور السماء فصاح الناس مستبشرين فرحين: « ها هو حى! ولم يستطع تبر اللجج أن يحجزه واقتحم الغواص الجرئ الخطر وظهر عليه »

اقتربُ الفتى فالتف حوله المتفرجون ثم ركع تحت قدمى الملك وقدم له الكأس الذهبية . فأشار الملك الى ابنتـه العزيزة بأن تملأها من رحيق فاخرفصاح الغواص :

«أمد الله فى عمرك ايها الملك ان السعداء من يستنشقون هذا الهواء النقى ! وهاته الهاوية ترتاع منها القلوب الشـداد . فلا ينبغى للانسان ان يبلو الأرباب ويتطلع الى معرفة ما عندهم من الرحمة والحنان وما اختفى تحت أستار الظلام»

«هـويت الى هنـاك بأسرع من البرق فقذفتنى لجة عاتية الي صخرة ثم حملتنى أخرى لا تقل عنها بأساًودورتني كالخزروف فلم استطع ان اثبت امامها»

«أرانى الآله الذى استغثت به عند ما حفت بى المخـاطر الهائلة فرجة فى الصخرة وبها نجوت من الموت . . . وقـد لمحت ثمت الـكأس معلقة فى شعب المرجان التى منعتها من السقوط الي الاغوار السحيقة»

« ابصرت تحتى اعماقا لا قرار لها ولم تسمع اذنى اقل جلبة وارتعدت فرائصي عنـد ما شاهدت الحيتان والتنانين ووحوشا غيرها جائلة في هـذه الحفرة الجهنمية

«كنت ثمّ عـديم النصير لا اسمع صوتا آدميا وحيداً فى مخبأى المزعج اتأمل فى هذه الوحوش الفظيعة وافكر فى حظى . فاقتربت مني مئات منها وهي تحاول ان تنقض على فتركت المرجان من الهول ثم ارتفعت الموجة وحملتنى الي سطح المهلك »

فنظر اليه الملك باعجاب وقال له : «هـذه الكأس لك وسأعطيك ايضا

خاتما ذهبا مرصعا بالاحجار الكريمة لجرب النزول الى اللجج ثانية ثم تعال الىّ لتحدثني عما رأيت »

فاصغت اليه الفتاة وارتسمت على وجهها عاطفة حنان وقالت له بلهجة تسيل توسلا وتعطفا :

« اعدل ابت عن هذه التجربه القاسية فأن هذا الشاب اقدم على مالم يقدم عليه آخر قبله ورجع من مكان لم يعد منه حي قط »

« وبيناهي تتكلم اذ رمى الملك القدح قائلا : ايها الفتى ، أن أتيتنى به جعلتك من فرساني الأخصاء وزوجتك من توسلت الىّ لأجلك »

فآنس غواصنا فى نفسه قوة سماوية وتوقدت الشجاعة فى عينيه ولمح ابنة الملك وقد علت وجهها الحمرة ثم بهت لونها فوقعت على العشب . فأراد ان يظفر بهذه المنحة الفتانة فطوح بنفسه فى الموج ليخوض غمار المنون مرة أخرى

أنشأ الناس يسمعون هزيم اللجج وينحنون وفرائصهم ترتعد على حافة الهاوية فكانت اللجج تنتفخ وتزبد وتعلو وتهبط ثم تعلو ولم تأت بالغواص

الانتظار

أأسمع الباب الصغير يفتح أم صرير المزلاج ؟ كلا ! بل ذلك صوت الرياح التى تهب بين أشجار الحور فتترنم بحفيفها

أيتها الاوراق الخضراء تزيني فانك ستلاقين اللطف والجمال . أيتها " هيأى مخبأ ظليلا يحميها فى الليل الصامت الناى . تيقظ يانسيم الصبا

وامسح ورد خديها بخطراتك حينما تقبل سائرة بخفة الى مواطن ينتظرها فيها الهوى

صه صه ! ماهذه الجلبة التي أسمعها بين الخمائل ؟ انه لطائر نافر هرب من هذه الايكة

اطفىء يانهار سراجك الوهاج وتعال أيها الليل الهنىء بأسرارك الحلوة وانشر حجبك فوق هاتيك الحقول الارجوانية ونسيج الاوراق المشتبكة: فان الحب يبتعد حين صفوه وسعادته عن الآذان التي تنغمس فى حمأة الفضول وتسترق مالا يعنيها كما أنه يهرب من الضوء المسئم الممل . وكوكب المساء الامين هو الذي تعهد اليه وحده الاسرار

ما الذى أسمعه هناك من همس أشبه بصوت خافت ؟ لا ، فذاك النجم يمرح فوق الماء الرائق ملتفا كالحلقة

نعم شجى يردده الهواء والينبوع يتفجر ماؤه بخرير لطيف والزهر ينحني من لثمات النسيم

مالى أرى جميع الكائنات تميل من نشوة الملذات وعنقود العنب يعطف على الخوخ اليانع الشهى المستتر بين الاوراق والهواء الشذى يمتص حرارة خدى الملتهبين

أماسمعت وقع أقدام وراء الحرجة ؟ كلا ! فانها ثمرة ناضجة سقطت من ثقلها

طفقت اشعة النهار تنعدم شيئاً فشيئاً حتى بهت لونها وأخذت الازهار التى تخشى حرارة الشمس تتفتح فى الشفق البليل ثم أشرق القمر الفضى وظهرت الاشياء جليا بعد غموضها وحلت المناطق فتجلى جمال الطبيعة عاريا أمام ناظرى

تلك حلة بيضاء تلمع هناك أم ثوب من خز ؟ لا ، فما هي الا العمد البيضاء ينعكس لونها على السور المظلم

أيها القلب الجزوع ! لا تصب الي لعب لا يجدى يصدر من الغيد الحسان. امد ذراعى لمعانقة من أهوى فلا أجد فيهما شيئاً والخيال الغرور لايقنع فؤادي . آتونى بقرّة عيني ودعونى أشم يدها الجميلة وانظر أطراف عباءتها وسأسلك سبيل الحياة من طريق الامانى الخادعة

أقبلت ساعة الهناء العميم بسكينة كأنها هبطت من أعالى السماء واقتربت الحبيبة العزيزة دون ان ترى فأيقظت محبها بقبلها الحارة المنعشة

اقتسام الارض

(قال جو پيتير) يوما من على عرشه للناس : « خذوا الدنيا فهى لكم وامتلكوها وتمتعوا بكل ما اشتملت عليه وما أوصيكم الا بالعدل والاخاء فى القسمة »

هب الناس سراعا وأقبل كل من يستطيع ان يحرز له نصيبا من شبان وشيوخ ، فاستولى الزارع على الحرث واختص السرى بالغاب واختار الراهب الصهباء المعتقة ووضع الملك حواجر فوق القناطر وحول الطرق ونادى : «الخراج لى وحدى »

انتهت القسمة من أمد بعيد وأقبل الشاعر من أقصى الارض ولكن حظه لم يبق شئ الا أصبح فى حوزة مالكه. فارتمى أمام عرش رب الارباب متوسلاً شاكياً : « بالشقائى وتعسى ! أيصبح أدنى أبنائك نسياً منسيا دون

الناس كافة « فأجابه :» لاتتهمني ان ضللت في عالم الخيال والاماني : أين كنت حينما اقتسم الناس الدنيا »

— « كنت بجانبك أشاهد بهاءك منصتا الى الانغام العلوية . فاصفح عن عقل فتن بنورك فنسي نعيم الدنيا » فأجابه بصوت جهوري رنان :

— « ليت شعري ما الرأى ما العمل ؟ قضي الامر واقتسمت الارض ووزعت الثمرات والصيد والاسواق وأصبحت ملكا للناس. فلو شئت ان تأتي الي سمائي وتعيش بجانب عرشي وجدت أبوابي مفتحة لك متي أردت »

اثارة من شعر الفرنسيين

قصيدة لفخر شعراء فرنسا الفيلسوف الحكيم (الكونت الفريد دو ڤيني) وهى مما سيذكر فى الجزء الثاني من (بلاغة الغرب)

غضب شمسون

صحراء خرساء وسرادق منفرد فأى راع شجاع نصبه فى مفاوز الرمال والسباع ؟ — لم يسكن الليل بعد وما فتئ الهواء ملتهباً من آثار حمارة القيظ وقد هبت ريح خفيفة فى الافق وجمدت ما انتشر من لجج العجاج كما تعبث بوجه بحيرة رائقة راكدة وطفقت تداعب نسيج الخيمة الابيض فخفق من ملاعبتها وتأرجح . وكانت مشكاة من بيض النعام ساكنة ساهرة فوق مسافرين ككوكب درى وقد رمت ظلين طويلين منهما على نسيج الصيوان. أحدهما كبير عظيم والآخر تحت قدميه ذليل حقير : وان هما الا دليلة ورفيقها الفتي القوى مغلول اليدين والركبتين بعد ما كان البأس والبطش طوع بنانه

جلست بجانب محبها كفهد جميل خفيف الحركة يروق منظره ويروع مخبره وقد أسبلت غدائرها المسترسلة على قدميه تنظره بعينين نجلاوين ناعستين توقدتا مما ارتسم فيهما من حب الشهوات التي يبتغيها طرفها المنبعث منه ضوء بهى متقطع كبرق خلب . وقد تصببت ذراعاها النقيتان الناعمتان عرقاً فاتراً وتربعت على رجلين شائقتين . لها عطفان مرتفعان يزريان باعطاف الغزلان . متحلية بأساور وخواتم وأقراط من ذهب . وقد زهت بلونها الاسمر كبنات (هطصور) ربة الجمال وتدلت على نهديها تمائم قديمة وضايقتهما حالل سندسية شآمية

ضمت ركبتا شمسون بوثاق متين فأمسى يمثل (انوبيس) وقد غفلت عنه من أسرته ولبثت ضاحكة تؤرجحها يدها المسندة الى رأسها وتخاف من بطشها الاسود.أنشأ يتمتم اليها بأناشيد الموت والآلام بلهجته العبرية فلم تفقه لغته الاجنبية ولكن الغناء جلب الى رأسها نعاسا ورنق في عينها سنة وليست نائمة

« تنتشب حرب عوان فى كل زمان ومكان . على بساط الصحصحان . وفي حضرة الملك الرحمن . بين طيبة الرجل وخداع المرأة وهى مخلوق مدنس الروح والجثمان

« الرجل دائما فى حاجة الي الملاطفة والحب وقد ارضعته أمه أفاويقهما مذ ظهر فى عالم الوجود فكانت ذراعها أول من أرجحه وخدّره من الملاطفة والمسح فأشرب فى قلبه الميل الى الحب وفتور الهمة . فتراه ان نغص فى عمله أو كدر صفوه فى مقاصده ونواياه حن الى الحضن الدافئ وأناشيد الليل وقبل السحر والشفة الملتهبة بنار الحب البنوى التي كانت تنقض عليها

شفته انقضاض النسر على فريسته . والشعر المنثور الذى كان يلتوى على جبينه. فان مشى وتعب عاودته ذكرى المهد فذهبت نفسه حسرات. وكلما شب وبسل زاد خذلانه وقهره كالنهر ما كبر واتسع الا وزاد اضطرابه وكثرت أمواجه

« وحينما يكشر له القضاء عن أنيابه الحداد ويشهر عليه هو وما أقلته وأظلته من العوالم حربا يستعر لظاها ويشيب من هولها الولدان يضطر لان يبحث له عن حضن يستريح فيه بعد نصبه وقبلة تكفكف ما انهمر من عبراته . ولكنه قبل أن يتخلص من مصابه وأوصابه وما انهال عليه من صنوف الأحن تشن عليه غارة أخرى خفية ملئت غدراً وجبنا وتحتدم تحت ذراعه وفوق فؤاده وما أصلاها الا المرأة وكل امرأة (دليلة)

« تضحك ظافرة بسماجة متقنة وتجلس بين أترابها متباهية مفتخرة بأنها لم تكابد قط نيران الحب وتعترف لأعز خليلاتها بان الناس يحبونها دون أن تعرف للحب معنى وانها ترتعد من سيطرة الرجال

« انها لاتحب الا اللذات والرجل فظ قاس لا يهمه الا ان يأخذ من الشهوات قسطا وافراً دون ان يعلم كيف يرده لغيره بدوره

« ان ضحيه غالية يضرب بها الامثال لترفع شأن ربة الجمال الفتاك الفتان في عين أترابها أكثر مما يعمله النضار الوهاج فتعرف كيف تروى قدميها من دم ثمين مهدور

« اللهم انى لا أجد ما أتمناه ! — وأصبحت من هى قبلة الحب ومنبع الحياة تفتخر ان صارت لنا عدوا لدودا وظلت المرأة الآن أسوأ منها فى الزمن الغابر الذى فيه تبرأ البارئ من الناس . وسيرحلون فى القريب العاجل

الى دولة ممقوتة ويؤسسون هناك مدينة (عمورة) للنساء وبجانبها (سدوم) للرجال وينفصل كل من الجنسين بمعزل عن الآخر وينظران الى بعضهما شزرا من كثب الى ان يفني كل منهما فى مواطنه

« أيها الدائم قهار الجبابرة ! انك تعلم ان نفسى لم يكن لها غذاء الاحب امرأة فاغترفت من حياض الهوى قوة وعزما يفوقان مامنح شعرى المقدس قلبي من السطوة والبأس — فاحكم بيننا وأنت خير الحاكمين — هاهى نائمة على قدمي وقد باعت سرى وحياتى ثلاث مرات سكبت فى كل منها دمع المكر والخداع فلم يدار حنقا وكلما يتلألأن في عينيها وتغلب خجلها على دهشها لافتضاح أمرها وغفران ذنبها لان طيبة الرجل عظيمة قوية ولطفها عند المغفرة يتهر هذا المخلوق الضعيف الكاذب

« قد كلت ورزحت نفسى تحت أثقالها ومتاعبها وأصبح جسمى العظيم ورأسي القادر القوى اللذان يستطيعان ان يقلا عمد الفولاذ لا يقدران ان يحملاها هى وهمومها وأتراحها

« ما برحت أنظر الافعي ذات اللون الذهبي زاحفة فى حمأها المسنون ظانة أنها مجهولة متوارية . وهذا القرين الذى مازال قلبه مفعما شكا ورياهى المرأة بل الطفل المريض بل الدنسة النجسة . تعمل جهدها فى حفظ غضبها بقلبها المهان كمثل محراب اضطرمت فيه النار فالتهمت ما حوله . وقد حرم عليها ان تنظر أو تبكى حتى أصبحت قاسية القلب جامدة العين !

« رب ان هذا لا يطاق ! — وان سبقت مشيئتك به فامتنى وأرحنى من هذا العالم . بحت بسرى الى دليلة فباعته وأذاعته فبارك اللهم فى قدم جمت الى لتنذرنى بالموت ! ولتتم ارادتك كما تشاء »

قال ذلك ثم نام بجانبها الى ان حانت الساعة التي ضربت لحضور الفرسان فذعروا حينما دخلوا ذراه واشتروا شعره بزنته ذهبا . وغلوا يديه وفقأوا عينيه بحديد محمى وقادوه مخضبا بدمائه راسفا فى سلسلة ينوء عن حملها ستة أزواج من الثيران . ثم أوقفوه صامتا أمام الههم (داجون) الذى زأر بصوت مختنق ودار دورتين على قاعدته فاصفرت وجوه الكهان من الرعب والذهل فاطلقوا البخور وأدبوا مأدبة فاخرة سمع لغطها من أبعد جبل في المدينة وأجلسوا دليلة بجانب القربان المذبوحة تحت قدمى المهم وهى بنى شاحبة اللون متوجة محبوبة مليكة الوليمة فقالت وهى ترتعد : لن يرانى!

أيتها الارض والسماء! هل طرتما فرحاً حينما رأيتما هاته الخليلة الكاذبة تتبع فريستها ناظرة بطرف وحشى الى عينيه الغارقتين فى دمائهما وهما تبحثان عن الشمس وهيهات لما تمناه ؟

ثم انتهى الامر بان تمطى شمسون بين العمادين الحاملين لهذا الهيكل المعظم فهدمها وانقض المعبد على أعدائه وعدتهم ثلاثة آلاف فاهلكهم هم وأربابهم ومحاريبهم

أيتها الارض والسماء ! هلا جازيتما بمثل هذا القصاص العادل الغدر المدبر بحب كاذب كله تصنع ورياء وافشاء سر قلوبنا الذي نزعته من بين أذرعنا قبل كاذبة خادعة ؟

محمد كامل حجاج

كلمات كبيرة

للحكيم الروماني النابه الذكر (ماركس اريليس انتونيس)

(١٦) احذر المداجاة حذرك النزق فكلاهما ينشأ عن نزاع النفس الى الأنانية وكلاهما يؤذى

(١٧) هل تعرض حياة الانسان شيئاً أكبر من العدل والحكمة والشجاعة ؟

(١٨) الانهماك فى الملذات أضر وأعود عليك بالملامة من الانهماك فى الالام

(١٩) لشد ما يضر الانسان نفسه اذا غلبه السرور أو الأسى على أمره

(٢٠) انى لأستطيع فى أى مكان يطوح بى اليه المقدور ان أكون رجل مجد وسعادة لان السعادة معناها وقف النفس على الفضائل الحقيقية الصالحة وما تلك الفضائل الا أخلاق رضية وفكر سديد وأعمال صالحة .

(٢١) اذكر ساعة كآبتك ووجدك أن حياة المرء لحظة وأننا بعد قليل ستطوى صحائفنا ونودع الرمس .

(٢٢) أذكر أنك خلقت للبقاء

خلق الناس للبقاء فضلت   أمة يحسبونهم للنفاد

(٢٣) لاتجبن ولا تأس اذا لم تنجح فى أى عمل قمت به وفاق مبدئك الصحيح وعقيدتك الثابتة

(٢٤) هل قمت بعمل للمصلحة العامة ؟ اذن لقد نلت جزائى

(٢٥) ليس اطراء القوم الا رنين نغمات الألسنة

(٢٦) يقرأ المحبوب فى ايجاز المحب كل شيء

(٢٧) لا يأبه الرجل الصالح بالبواطن الغفلة والقلوب المريضة

(٢٨) مقاومة المرء لأخيه مقاومة للطبيعة

(٢٩) يجب ان نسارع الى العمل لا لاننا نقترب على مر الزمن من الموت بل لأن حركة التفكير في الاشياء وادراكها ستفنى فينا قبل ان نموت

(٣٠) عجيب صنع الانسان ! أنه يحب ذاته أكثر من حبه لغيره

(٣١) لقد طال عجبي من هذا الانسان ! أنه يؤثر نفسه على بقية المخلوقات ولكنه مع ذلك لا يحسن الموازنة بين رأيه وآرائهم

(٣٢) كن جذلا مستبشرا ولا ترتقب آية مساعدة أو سكينة يهبك غيرك اياها

(٣٣) تتجلى نهاية الكمال الأخلاق فيما يأتي : ان تمضي كل يوم كسابقه وألاّ تكون سريع الغضب شديده ولا جامد الحركة ثقيلها ولا ملاّقا مذّاقا

(٣٤) انني أؤكد وأنا بنجوة عن الشك ان السكينة ليست الا رزانة الحصاة ونظام العقل الصالح

(٣٥) هب ان انسانا يمتهني ويزدريني . ذره يتطلع الى ذلك . بيد أنني يجب عليّ ألاّ أعمل عملا أو أقول قولا يستحق المهانة والازدراء

(٣٦) ثلاثة هي الانسان : جسم ضئيل وحياة قصيرة وادراك فأما الجسم والحياة فهما له ما دام يعني بهما وأما الادراك فهو خاصيته عني به أو أهمله

(٣٧) لا أمر أجلب للعار وأدعى الى المنديات من صداقة مدخولة ووداد مكذوب

(٣٨) أحق الناس ان يسخر منه ويعجب له من يدهش لامر يحدث في الحياة

ع . علي

فى عالم الاكتشافات

رسائل الكبتن اسكت

الرحلة القطبية

— أسباب التأخير —

(خطر هوات جليدية وجلاميد ثلج عوامة)

ان رسائل الكبتن (اسكت) التي أرسلت تلغرافيا من (نيوزيلند) فى أول ابريل تنبئ بأن كلا من الفريقين — مكتشفى القطب جنوبا ومكتشفيه شرقا — سيستمرون فى رحلتهم سنة أخرى تحت قيادة لفتننت (كمبل)

فى يوم ٣ يناير كان الكابتن اسكت وأتباعه على استعداد تام لاتمام بقية الرحلة اذ لم يبق بينهم وبين القطب سوى ١٥٠ ميلا . وكانت المؤن بكميات وافرة . وكانوا فى صحة جيدة. فرسموا الخطة وعينوا الامكنة التى فيها توضع المأكولات الاحتياطية

بناء على هذا نظن أن الكابتن اسكت وصل القطب بعد شهر من وصول الكابتن المندسن والحملة النرويجية التى وصلت فى ١٤ ديسمبر الماضى

تقريرات المكتشف

ان الرسائل التي أتت للسفينة ترانوفة من المستر اسكت تنقسم الى ثلاثة أقسام . القسم الاول منها مؤرخ فى ٣ اكتوبر سنة ١٩١٢ من المأوى الشتوى فى (ملك مردوسوند) فيه أخبار عن الاستعدادات للرحلات

الاساسية . أما الاخرى فتاريخها ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١١ وصف فيها مبدأ الرحلات القطبية — أما القسم الثالث وهو أعظمها أهمية فتاريخه ٣ يناير وكتب عند خط ٨٧ درجة و ٣٢ دقيقة جنوبا وفيه وصف منتهى الرحلة بالقرب من القطب

ان صحة أعضاء الرحلة جيدة جداً ما عدا صحة اللفتنت (افتانس) اذ أصابه مرض من الامراض الجلدية ولكن صحته آخذة فى التحسين

ان السفينة (ترا نوفة) سترجع الى الجنوب في نوفمبر القادم

المآوى الشتوية

ان تقريرات الكبتن اسكت هي كما يأتى : —

المأوى الشتوية بقرب (مك مردوسوند)

فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١١

اشتغلت فرقة مكونة من ١٢ رجلا ومعهم ثمانية أفراس وكلبان من الكلاب التى تجر العربات على الثلج لغاية ٣٠ يناير — بعمل قاعدة للمأوى الثابت الاساسى فى شرق (مركز العشش). ثم اتخذت محلات في ركن المأوى الاساسى ومواضع أخر

رجعت مع الكلاب من هذا المأوى الى المأوي الاساسى فى (الجزيرة البيضاء) ولما كان الضوء ضئيلا سقطت الكلاب فى هوة

أما أنا (وميرز) والعربة فتعلقنا على جسر ثلجى وكانت هذه من معجزات الزمان. وبعد أن جاهدنا ثلاث ساعات أمكننا أن نخرج الكلاب

ولما وصلنا (مركز العشش) وصلتنا الاخبار عن السفينة (ترانوفة) والسفينة (فرام) أما اللفتنت (بورز) والمستر (تشرى) و (جارارد)

و (كرين) وأربعة أفراس ممهرة فانقطعوا عنا على جامود ثلج لما تفكك الثلج في أول مارس . ولكن شددنا العربات ولاقينا في ذلك كل صعوبة . ولقد خفي أثر أحد الافراس أما الاخريات فصارت تقفز من جلمود الى جامود حتى وصلت الى الحاجز. فلما علمنا ما أصاب هذه الفرقة ذهبنا لنجدتهم وقد تمكنا من تخليص الرجال بواسطة حبل (ألبي)

كانت الجلاميد مرتفعة عن سطح الماء وطرقها حزنة . وكانت الحيتان على بعد ياردات قليلة عنا. وقد نجت فرس واحدة أما الاخريات فسقطت بينما كانت تقفز من جلمود الى آخر

ولقد وجدنا كوخ الاكتشاف مملوءاً بالثلج فجلسنا كأننا نحن من الهمجيين أو تعودنا عيشتهم ولقد وجدنا صندوقا مملوءاً جرائد قديمة فسررنا جداً من ذلك وارتاح خاطرنا لوجودنا في ذلك المحل

وفي يوم ١٥ مارس رجعت الفرقة الجيلوجية الغربية فصار جمعنا يبلغ ١٦ نفساً وهذه الفرقة الجيلوجية الغربية كانت قد أمضت ستة أسابيع في مسح الاودية الجافة مسحاً دقيقاً

أما درجة البرودة في مدة الاربعة الاشهر الشتوية في محطتنا فلم تكن أقل من ٤٠ درجة (فارنهيت) . ولقد كنا نلقي بعض المحاضرات ونلعب بكرة القدم

وفي الاول كان مركز كلاب (ميرز) المأوى الاساسي . ولقد نزل بأربعة منها مرض لم نعرف له اسما تقضي عليها. كان كل كلب تظهر عليه علامات الصحة ثم نراه يموت بعد ساعات قليلة وقد عزونا ذلك الى جراثيم تلحق المخ فتصيب الكلب حالا ولكن هذا رجم بالغيب

أما استعداداتنا للسياحة الجوية فتامة. ولقد صممت على ألاّ أعرض أفراسي الى البرد الشديد حتى يتسنى لنا ان نستعملها فى اكتشافاتنا ولذلك عزمت على ارجاء يوم قيامنا للاكتشاف عن اليوم الذى كنت عزمت عليه من قبل

منذ خمسة أيام قامت فرقة بمركبات بخارية تحمل وقوداً ولقد لاقت من الصعوبات فى البحار الثلجية مالم يخطر لنا على بال كلما أدمنا فى المسير ازداد المناخ رداءة وازدادت عاصفات الجليد وسد السماء غمام مكفهر حتى صارت الارض لايمكن ادراك لونها بحاسة البصر

ولقد وصلنا خط (٨٣ درجة ، ٢٤ دقيقة) يوم ٤ ديسمبر وكانت الرياح شديدة والثلج يتساقط علينا كالصواعق . ولقد كنا نكابد مشقات كثيرة فى الكشف عن الامهار ومسح الثلج عن الاكواخ ثم صارت درجة الحرارة ٣٥ فوق السفر (!) فساح الثلج وأغرق شيئاً كثيراً من متاعنا . وكان سماك الثلج السطحى (١٨ بوصة) . ولولا أننا ألبسنا المهر المرشد حذاء المسير على الثلج ولبسنا أحذية الثلج لما كان فى استطاعتنا الاستمرار فى التجوال . كنا نقطع كل ٨ أميال فى ١٤ ساعة مادمنا لابسين أحذية الزلق على الثلج . ولقد نفد طعام الامهار فاستغنينا عنها .

اليوم وصلنا الى الممر ثم عرجنا على جلمود (تيردمور) . وانى مرسل هذه المذكرة مع الكلاب الآتية

(يوم ٢١ ديسمبر) — نحن الآن عندخط العرض (٧ ،٨٥) جنوبا وخط الطول (٤، ١٦٣) شرقا على مكان ارتفاعه عن سطح البحر ٦٨٠٠ قدم بعيدين عن جبل (دارون) بمقدار ٣٠ ميلا غربا و٤ أميال جنوبا .

بعد خمسة أيام تجمد سطح الارض . ومنذ ١٦ ديسمبر تمكنا من المسير بسرعة فكنا نقطع من ٢٣ ميلا الى ٣٠ ميلا فى اليوم .

طبقا للترتيبات التى رسمتها . تأهبت للبعد عن خط العرض (٨٥) مع ٨ رجال و٨ وحدات وانا نرجو أن يصلنا ٣٠ وحدة من الطعام حين نبلغ (بيدمود) . ومقدار الوحدة مايكفى أربعة أشخاص مدة أسبوع .

الافراس الباقية عشر ولكن منها فرس لايعتمد عليها وواحدة نشك فى صلاحيتها

ربما لايتمكن الفرقة البعيدة التجول فى الجنوب لا يمكن أن تصل الى السفينة (نرانوفا) قبل ان تضطر الى مغادرة مكانها .أما أنا فقد صممت على الاقامة هنا سنة أخرى

(ابتداء التجول)

فى يوم ٢٤ نوفمبر عند خط الطول (٨١ درجة و١٥ دقيقة)

لقد غادرنا مركز الا كواخ مساء يوم ، نوفمبر مصممين على الاستراحة نهاراً والمسير ليلا . فاقتفينا أثر المركبات وبعد مسير ٦٠ ميلا انقطع عنا الأثر أى بعد مسير ٨ أيام لأننى كنت صممت على ألاّ أسير الا خمسة عشر ميلا فى الليلة الواحدة

ولقد وجدنا فرقة المركبات تنتظرنا عند خط العرض (٥و٨٠ درجة جنوبا) أما فقدان أثرها فمنشأه أن آلاتها البخارية ازدادت حرارتها فاضطربت ولما وصلنا مع فرقة المركبات الى خط العرض (٨١ درجة و ١٥ دقيقه) استمررنا قاصدين الجنوب مؤملين أن نجد مناخا خيرا مما نحن فيه. وعند خط

العرض (٨٢ درجة و ١٠ دقائق) استغنينا عن مهر وعند خط (٨٣ درجة ، ٤٥دقيقة) استغنينا عن آخر . وعند خط (٨٣ درجة) استغنينا عنها لا لأنها عجزت عن المسير ولكن لانا احببنا ان نوفر غذاءها للكلاب

آخر رسالة

(احتمال النجاح)

خط العرض (٣٢ و٨٧ جنوبا) الارتفاع (٩٨٠٠ قدم)

في يوم ٣ يناير سنة ٩٠٢

بعد ان غادرنا مأوانا البحرى قصدنا الجنوب الغربي وسرنا في تلك الجهة ومن اجل ذلك لم نتمكن من رؤية الهوات وما في تلك الجهة من العقبات الجمة ومنذ تركنا المأوى كانت سرعتنا زيادة عن ١٥ ميلا في اليوم حتى اننا يوم عيد ميلاد المسيح وصلنا الى خط العرض ٨٦

ومن حسن طالع عيدنا أننا سرنا يومئذ ١٧ ميلا ولكن كانت النتيجة أننا لم نجد سرورا في اليوم التالى فقد اشتدت صلابة سطح الارض وصعب المسير لما قربنا من خط العرض (٨٧)

في يوم عيد رأس السنة وضعنا عند خط (٥٦و٥٦) ٣ وحدات من المؤن . أما الآن فنحن على بعد ١٥٠ ميلا من القطب .

وسأدمن في المسير الى الامام مع فرقة مكونة من خمسة رجال واني مرجع ٣ رجال تحت قيادة لفتننت (ايفانز) مع هذه المذكرة .

أما فرقة الادمان في السير الى الامام فمكونة من :

الكبتن اسكت

الدكتور ولسن رئيس الفرقة العلمية

الكبتن أوتس المسؤول عن الامهار والبغال لتتنت (بورز)

ضابط بوليس

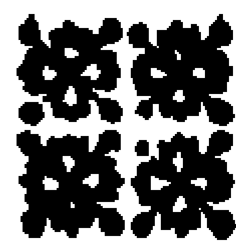
الضابط (ايفانز) المسؤول عن المركبات والمعدات

أما هذه الحملة فمها من المؤن ما يكفيها شهراً وأمامها أمل فسيح فى النجاح على شرط ان تلاقى مناخا حسنا وألا يصادفها من العقبات مالم يكن لها فى حسبان .

أما مناخ الهضبة ففى الجملة حسن . اذ الشمس بازغة دائما ولكن درجة الحرارة منخفضة . (اذ تبلغ ٢٠ درجة تحت الصفر)

جميع استعداداتنا حتى الآن على ما يرام . انه من المحتمل جدا ألا تصل منا أخبار بعد هذه فما مدة السنة الحالية . اذ سنرجع متأخرين

الامضا (ربرت . ف اسكت)



اللغة والأدب

الانتقاد

(رسالة كتبها الاستاذ الشيخ عباس الجمل الطالب بمدرسة القضاء الشرعى)

معنى النقد

النقد تمييز الدراهم وغيرها كالتنقاد والانتقاد والتنقد وقد نقدها وانتقدها وتنقدها اذا ميز جيدها من رديئها انشد سيبويه

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة   نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

والنقد اختلاس النظر نحو الشئ يقال ما زال فلان ينقد بصره الى الشئ اذا لم يزل ينظر اليه كأنه شبه بنظر الناقد الى ما ينقده ويقال ناقدت فلانا اذا ناقشته الأمر

وقد كنت أظن ان العرب لم يستعملوا هذا اللفظ استعمالنا له حتى عثرت فى لسان العرب على حديث رواه أبو الدرداء قال عليه الصلاة والسلام ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك وقال صاحب اللسان معنى نقدتهم عبتهم واغتبتهم وهذا الاستعمال صريح أو يكاد يكون صريحا فيما نفهم من هذه اللفظة وان كنا توسعنا فيه فالعرب من قبلنا توسعوا فيه

منشؤه

يشبه الانتقاد أن يكون فطريا عند الانسان فانك لا تكاد ترى شيأ

الا حكمت عليه بأثره فى نفسك. ورأيت كاتبا في الانتقاد جعل منشأه تنازع البقاء فقال ان الحياة ميدان حرب لاتخمد شعلتها ولا تنطفي جذوتها يظفر فيها القوى بالضعيف والشاكى بالاعزل وقد كان الانسان بدء نشأته يكافح بأظفاره وانيابه ثم ارتقى فحارب بالحجر والخشب ثم ارتقى فقاتل بالسيف والرمح ثم هو الآن وقد قرب من غاية الرقى أصبح يناضل بلسانه وقلمه وكاد يترك حرب الحسام الى حرب الأقلام. فالانسان محارب بفطرته لم يلق سلاحه من يده ولكنه حال الى ما نراه

اليوم سلاحا ماضياً يناله من النفوس ما لا ينال السيف وذلك السلاح هو الانتقاد

ولست أرى رأيه هذا فما كان الانتقاد فى يوم سلاحا يسطو به القوى يزحزح به الضعيف عن مكانه ليرثه وما رأينا الكلام ينوب عن الحسام عند الخصام بل يحكم السيف فى الخصمين اذا عجز رائد السلام ولن يأتى يوم فيه يقر السيف فى غمده ويتخلى الفارس عن ميدانه للكاتب فان لكل مقاما لا يغني فيه صاحبه. ولا يسمع صوت القلم حين يتكالب الانسان على شىء من هذه الحياة وانما القول الفصل حينذاك للسيف ينطقه الساعد المفتول. وانما مجال القلم بين الآراء والعقائد اذا تنازعت البقاء فتقرع الحجة بالحجة ويرمى الدليل بالدليل حتى يستقر صبح اليقين بعد ليل الشك فيعرف الرأى الحكيم والعقيدة السديدة ويمحوان ما سبقهما من رأى اخطل وعقيدة خاطئة ولعل الكاتب شبه له مقام السيف بمقام اليراع فقال ما عرفت مكان الخطأ منه

وأرى ان منشأ الانتقاد هو طلب الكمال والاحساس بغاية يساق اليها الانسان ليدركها وهذه الغاية وان كانت أعلامها مشتبهة وحدودها غير واضحة فانها مجمع القصد ونهاية المسير له خيال يتجلى للانسان وهو مقياس الكمال

لما يراه فاذا رأى شيئا دون ذلك الخيال عابه وذمه واذا رآه قريبا منه استحسنه ومدحه وان رأى له حظا من الكمال ونصيبا من النقص حكم له وحكم عليه وهذا هو الانتقاد

ودليل دعواى ان النقد اظهر فى اخلاق المتعامين منه فى اخلاق العامة لأنّ الغاية يضئ طريقها بالعلم وهو مظلم عند الجاهلين وظلامه يطمس آثاره فلايترك نور القصد يشع لتلك العقول فترى ان ادراكهم للفرق بين النقص والكمال قليل

هذا هو منشأ الانتقاد وسيدور بخلدك ان للانتقاد بواعث ليست فى شئ من طلب الكمال فاعلم ان كثيرا من الاشياء التى تدعو اليها الفطرة قد خرج بها الناس عن معناها حتى صارت ليست فى شئ مما قصدت له والتأنق فى الملبس و المطعم والسمو بالبناء حتى يناطح السحاب ليس فى شئ من اتقاء الحر والبرد وسد الرمق . وليس الانتقاد بدعا فى الخروج به عن معناه فان الأثرة اجاءت اصحابه الى تداول ما يظنون نافعا لهم وان كان عملهم سافلا غير فاضل وللأثرة عمل في اختلاف اغراض الناقدين حتى كانوا اصنافا متباينة وانواعا مختلفة لا تتلاقى غاياتهم وقد اتحد طريقهم

أصناف الناقدين

(١) قصد نصيب عبد العزيز بن مروان بأول شعر صنعه فى مدحه وكان منه قوله

أعنى على برق أريك وميضه تضئ دجنات الظلام لوامعه

اذا اكتحلت عينا محب بضوئه أضاءت له حتى الصباح مضاجعه

فمر على الفرزدق فأحب أن يعرض عليه شعره ليرى لن كان يحسن لهذ

يقصد بمثله الامراء وأسمعه اياه فقال له الفرزدق ويلك أهذا شعرك الذى تريد به الملوك لست في شيء ان استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل فقام كاسفا خجلا فأومأ اليه قرشي سمعه ينشد وقال أهذا شعرك قال نعم قال قد والله أحسنت والفرزدق شاعر وقد حسدك وانا نعرف محاسن الشعر فامض لوجهك. فالفرزدق لم يعب من شعر نصيب معيبا وانما خاف ان تعرفه الملوك فيزاحمه والشعراء أحرص الناس وأشدهم اثرة

فهذا الصنف فى النقاد لا يطلب الكمال لمن ينقده وانما يقطع على السائرين طريقهم نحو الكمال لينفرد بالفضل ونباهة الذكر

(٢) قال جرير والله مايهجونى الاخطل وحده وانه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلهم عربى ليس بدونه وذلك انه كان اذا أراد هجائى جمعهم على شراب فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً وينتحل هو القصيدة بعد ان يتموها

وجرير شاعر نابه والاخطل ينافسه فأراد أن يحط منه ليخلص من قرين شديد يزاحمه فغمزه غمزتين فى كلمة اذ جعله منتحلا لشعر غيره وجعله من عامة الشعراء الذين يوجد منهم خمسون في طبقة واحدة. وقال حافظ فى شوقى انه لم يغادر معنى من معانى العرب والفرنجة الا سلخه ثم مسخه وهو مهزول اللفظ غامض المعنى يحتاج الناظر فى كلامه الى طوالع الرمل وتخوت التنجيم وقد قصر همه على اصطحاب طائفة من الالفاظ لا يعدوها الى غيرها حتى أصبح بعضها علامة تدل على شعره وان كان غفلا من ذكره وحافظ فى كل هذا مثل جرير فى محاولة الزعامة لتخلص له من غير منازع

وهذا صنف فى النقاد لا يريد ان يحسن الى من نقده ولكن الناس ينتفعون بنقدهم اذ كانوا أقدر على تمييز الجيد من الرديء وأعرف بمواطن

الضعف اذا أرادوا الاحتجاج لما يقولون كما فعل أبو فراس حين وقف للمتنبي ينشد بين يدي سيف الدولة فما كاد يسلم للشاعر بيت من قصيدته فحين قال المتنبي

يا أعدل الناس الا في معاملتي　　فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال له مسخت قول دعبل وادعيته

ولست أرجو انتصافا منك ماذرفت　　عيني دموعا وأنت الخصم والحكم

ولما قال

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا　　بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي　　وأسمعت كلماتي من به صمم

قال له سرقت هذا من قول ابن عروة

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت
دهراً وأظهرت اغرابا وابداعا
حتى فتحت باعجاز خصصت به　　للعمي والصم أبصارا وأسماعا

ولما قال

الخيل والليل والبيداء تعرفني　　والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال له وما أبقيت للأمير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة أتمدح نفسك بما سرقته من شعر غيرك

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى　　وجود المذاكي والقنا والقواضب

فقال المتنبي

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره　　اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال له سرقت هذا من معقل العجلي

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعينى فالعينان زور وباطل

ولما قال

ان كان سركمو ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكمو ألم

قال له سرقت هذا من قول الشاعر

اذا رضيتم بأن نجفى وسركمو قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

وطال الكلام بينهما على هذا النسق وان كان أبو فراس يرمي بنقده الى اسقاط المتنبي ونيته غير صالحة فنقده مفيد لمن يريد أن يعرف الاجادة والتقصير فى الشعر والمتبع من المبتدع لا لمن يتعلم الاخلاق

(٣) وصنف ثالث تجده بين الخاملين يريدون النباهة بغير عمل فيعمدون الى كبار النابهين من قومهم وينقدونهم بحق أو بباطل فيظن الناس أن هؤلاء لو لم يكونوا كباراً لما أقدموا على نقد الكبار

ونحن نعرف من هؤلاء من ابتدأ وهذه حاله ثم حمد مغبة السرى وسمع باسمه تتداوله الافواه فحبب اليه النقد حتى صار له صناعة ولو كان ينقد للحق لانتفعنا به ولكنه ينقد كما اتفق بالحق وبالباطل ليقال ان فلانا نقد صنيع فلان

(٤) وصنف رابع وهم المتعصبون لغيرهم يعجب الواحد منهم برجل نابغة ثم يشغف به فيذى كل فضل لغيره وينكره ان رآه ولا يزال دائبا يحط من قدر منافسيه يتتبع سيآتهم بالنقد والتشهير

وكثير من هؤلاء ينطق بما يوحى اليه صاحبه وهو أدرى منه بمثالب من يزاحمه

(٥) وهذه الاصناف ساقها الى النقد سبب غير فطرى كما رأيت

والصنف الخامس وهو أشرف الناقدين ومن يسمع قوله منهم هو من ينقد لان المنتقد دون الغاية بعيد عن الكمال ويبعثه للانتقاد ما يراه فى المنتقد من نقص يرشد اليه ويدعو الى إصلاحه وبعض هؤلاء الناقدين قد يشتد فى عبارته حتى يظن الظان أنه يشفى بالانتقاد غلة فى صدره وقد يكون الباعث على الشدة غضبا للحقيقة لفحش الغلط وبعده عن الصواب أو يكون الغلط صغيراً ولكن ادعاء المنتقد وكبره يثير غضب الناقد فيكبر صغيرته ولا يقيل عثرته

وبعض أساتذة الانشاء فى المدارس يمكن أن يعد من هذا الصنف من النقاد ومنعنى أن أقول كلهم أن كثيراً منهم لا يقوم بعمله وسيان أن يكون التقصير عن جهل أو كسل فالمرء لا يستحق صفة لا يقوم بواجباتها

ولم أستقص أصناف الناقدين فقد رأيت أنهم اختلفوا باختلاف الاغراض والاعراض لا نهاية لها ولكنى ذكرت من الاصناف من ظننت عدده أكثر من غيره

الحاجة الى النقد

رأى قوم أن لا حاجة الى النقد وقالوا ان الناقد فى نقده انما يطلب من الكاتب أن يكتب على هواه وأن يخرج للناس صوراً غير التى في خياله فالنقد لا يكشف ما فى نفس الكاتب ويكشف ما فى نفس الناقد وفى حكم الناقد على العمل المنتقد اهمال لآراء الكاتب وحط لدرجته بحيث لا يكون له رأى فيما يكتب ونسى هؤلاء أن الناقد يراعى فى نقده الذوق العام لان الكاتب لا يكتب لنفسه فالنقد تضييق لدائرة الشذوذ وحكم الناقد ارجاع

للكاتب الى ما تدارنه النا س وأجمع عليه ذووا الرأى منهم ولذا كان خروج الكاتب عنه عيباً يؤاخذ عليه

والنقد لا يكشف عما فى نفس الناقد وحده بل انه يكشف ما فى نفس الكاتب ويستخرج من ثنايا عباراته ما يجول فى نفسه ثم يحكم عليه بما ظهر من مكنون قلبه لان كلام المرء مرآة ما فى نفسه . فاذا رأيت عبد الله بن قيس الرقيات ينشر بين يدى مصعب بن الزبير

انما مصعب شهاب من اللـــــه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيـ ـه جبروت وليس فيه رياء

ثم رأيته بين يدى عبد الملك بن مروان يقول له

ان الاغر الذى ابوه أبو العـ ـاصى عليه الوقار والحجب
يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فانك ترى فرقاً كبيراً فى نفس الشاعر بين الاميرين الممدوحين وقد قال له عبد الملك وأدرك ما فى نفسه تمدحنى بالتاج كاني من العجم وتقول فى مصعب

انما مصعب شهاب من الـــــه تجلت عن وجهه الظلماء

واذا رأيت مدحة المتنبي التي يذكر فيها خروج شبيب ويمدح كافوراً ورأيته يقول فيها

عدوك مذموم بكل لسان وان كان من أعدائك القمران
ولله سر فى علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان
اتلتمس الاعداء بعد الذى رأت قيام دليل أو وضوح بيان

ويقول

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان
فان يك انساناً مضى لسبيله ... فان المنايا غاية الحيوان
وما كان الا النار فى كل موضع ... يثير غباراً فى مكان دخان
نفى وقع اطراف الرماح برمحه ... ولم يخش وقع النجم والدبران

ويقول

وقد قتل الاقران حتى قتلته ... باضعف قرن فى أذل مكان
أتته المنايا في طريق خفية ... على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت سبل السلاح لردها ... بطول يمين واتساع جنان

فاذا نظرت الى هذه الابيات التى كلها تمجيد لشبيب وذم لكافور وهو يمدحه وعرفت أن الذى نقب عن قلب المتنبي انما هو الناقد حكمت بفائدة النقد واعتقدت خطأ من لم ير الحاجة اليه

علم الاخلاق والنقد

قال علماء الاخلاق فى تبيان فائدته ان علم الاخلاق يعتبر بانياً وهادما لانه يتتبع الاخلاق والعادات فما كان منها قبيحا حث على تركه والتخلص منه و بذلك يزيل من بناء المجتمع غير الصالح للبقاء فهو من هذه الجهة هادم ثم هو يحسّن ويرشد الى ما حسن أن يكون في الاخلاق والعادات ويحث على التمسك به فيدخل فى بناء الاخلاق ما يزينه ومن هنا يعتبر بانيا ويدل هذا على أن علم الاخلاق انما هو ضرب من الانتقاء

وقالوا عند الكلام على القوانين ان في القانون عيوبا لا يتمكن معها أن يستقل بالاصلاح منها ان أمره لا ينفذ الا بالقوة واستعمال القوة فى النظم العادلة مضر بها

ومنها ان القانون لا يطلع على القلوب ولا يرى الا ظاهر الاعمال فاذا كانت القلوب بعيدة من الخير كانت أوامر القانون رسوما لا روح فيها ولا اصلاح معها

ومنها ان أحوال الناس في تغير مستمر والقانون وضع في حال مخصوصة فاذا تغيرت الحال لم يعد صالحا واستنتجوا من هذا ان الكافل لسير الاخلاق فى طريق الرقى انما هو الرأى العام فاذا وجد في الأمة رأى عام ينشط المحسن بالثناء ويردع المسيء بالانكار عليه فلا حاجة الى القانون .

وترى أن الرأى العام انما هو صوت الناقدين مجتمعا وهذا دليل على أن دعامة الاخلاق الصالحة هو النقد

منزلة النقد من الدين

كان الكتاب الكريم ناقداً فى كثير من مواطنه فى حجاج المشركين فمرة يقول (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)

وتارة يقول (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها)

وكثيراً ما انتقد بعض أعمال الرسول عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى، فأنت عنه تلهى . كلا انها تذكرة)

وقد نقل الينا بعض ما انتقد به الرسل أممهم كقول هود عليه السلام لقومه (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ولذا

بطشتم بطشتم جبارين — وأمر بالنقد حين يقول (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

وعاب تاركي النقد اذ يقول (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقادة لا يترك عملا من أعمال أصحابه الا بين لهم مكانته من الحسن وأظهر لهم ما فيه من قبح بعبارة تؤخذ مثالا للنقد المقبول الذى يترك في النفوس أثراً صالحا يبلغ ما يريد صاحبه لا يؤلم أحدا بشدته أو يخجل انسانا بصراحته فقد كان عليه الصلاة والسلام اذا أراد النهي عن عمل أو نقد من أتاه قال ما بال رجال يصنعون كيت وكيت ولا يصرح بأسمائهم لئلا يترك فيها أثراً يدافع الاصلاح

هذا الى ما سنه الدين من تضامن المسلمين وتضافرهم على اقامة الحق وازهاق الباطل وتشديده فى ذلك حتى أوقع جميعهم فى الاثم اذا لم يأخذوا على يد الظالمين حين يقول تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)ويقول عليه الصلاة والسلام ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن مرآة أخيه صريح فى الأمر بالنقد واخلاص النصيحة فان المرآة أصدق ناقد لا تداجي ولا تحابي ولا تهضم الحق

لو احتذى الناس على مثال منها لقلت كثرة الضلال

والى ما أمر به من اقامة الدعوى والشهادة احتسابا على من خالف بعمل يعود ضرره الى الناس واعطائه حق التعزير لافراد المسلمين اذا رأوا أحدهم يرتكب اثما كل هذا يدلك على ان الاسلام ترك للنقد عملا كبيراً فى اصلاح

النفوس وحمل على عاتقه حملا ثقيلا فى تهذيب الاخلاق وهذا من الشارع اقرار له واذن به وحضّ عليه

فضل الانتقاد

يتسع للكاتب فى هذا الموضوع أن يكتب ما شاء ثم يطرد القلم حتى لا يقف عند غاية فان فضل النقد أكبر من أن تحيط به الاوراق . وحسبى أن أقول ان للنقد فى العلم والادب والصناعة والاختراع أثراً هو أثر المربى الذى تعهد كل ما ذكرت وحاطه وساسه حتى بلغ أشده وصار مما ينتفع به ولولا النقد لوقفت الافكار ولم يقتدحها زناده وبقى العلم طفلا فى مهده . وحسبك من الاطناب هذا الايجاز

قدرة الناقد على العمل

رأيت كثيراً من الناس يردون نقد الناقد لانه لا يحسن أن يصنع كالصنيع المنتقد . ورأيت من يقول أقدر الناس على الانتقاد أعجزهم عن العمل

كان الاولين يشترطون للناقد أن يكون قادراً على أحسن مما نقد حتى اذا عاب شيئاً وضع فى مكانه ما يصلح له . ولو تم هذا لكل ناقد لكان النقد أكثر نفعا وأكبر أثراً ولكنى لا أرد نقد من لا يحسن المنتقد فان الاحساس بالنقص يكون عند ادراكه ولا يجب أن يكون عن قدرة على التمام. فاذا رأيت من ينتقص عملا لانه قرنه بغيره فنقص عنه فأبان مكان الخطأ فيه وعدد عيوبه وكانت مقارنته بين العملين صحيحة على أساس من النظر العادل فبأي حق تطرح نقده حتى يصنع أحسن مما انتقد وقد عمل ملفق وسمه وأرى أنه ناقد يحترم رأيه وينظر فيه وينتفع به

وأما صاحب القول الثاني فلعله نظر الى رجل من طلاب الكمال أولع به وأحبه له ولغيره فهو يهدى من حاد عن الجادة ويبين للعاملين مكان النقص من أعمالهم واذا أقدم على العمل خشى ما أخذه على غيره فيعمل حذراً متأنياً فظنه لهذا عاجزاً وهو قدير ان عمل بزّ العاملين فان كان عمله قليلا فهو كبير الأثر

أما اذا أراد من يعيب الشئ لانه ليس على ذوقه ولم يرق لديه فاذا استوضحته القول وطلبت البرهان لم تجده عنده فمثل هذا وان كان كثير الكلام فليس من جماعة الناقدين فلا يؤاخذون به ولا يحاسبون عليه

وكل ما اشترط للناقد ألاّ ينقد حتى يفهم وأن يقيم الدليل المقبول اذا نقد

نظر الناس الى النقد

رأيت كراهة النقد تشتد حيث يكون الاحساس بالتقصير ورأيت النقد حبيباً الى الكامل والى من يطلب الكمال

فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسمع للناقد ويعدل عن رأيه ليعمل برأى الناقد المصيب مثنياً عليه داعياً له وهو الذى يقول الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

وكان من بعده من الراشدين وهم أقرب الناس الى الكمال يحبون أن تنقد أعمالهم وأن يراقبهم المسلمون ويحمد الله عمر ان رأى فى المسلمين من يقوم اعوجاجه بالسيف لا باللسان

ولما أحس من بعدهم من الخلفاء بنقص فى سياستهم بجملهم دون من قبلهم سمعنا معاوية بن أبى سفيان يضع حداً للناقدين ويتوعد من يشتد فى نقده حيث يقول فى بعض خطبه

أيها الناس انا قدمنا عليكم وانما قدمنا على صديق مستبشر أو عدو مستتر وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون

ولست واسماً كل الناس فان كانت محمدة فلا بد من مذمة فلوما هونا

وايا كم والتي ان أخفيت أوبقت واذ ذكرت أوثقت

وقد قصرت سياسة من بعده عنه وازداد أحساسهم بالنقص حتى وقف عبد الملك بن مروان على المنبر يقول الناس من قال لي اتق الله ضربت عنقه

وهكذا ترى أكثر الناس عيوبا وأكبرهم نقصا أخوفهم للنقد وأشدهم فرقا منه وأحوطهم لمنعه ولهذا ترى ألقاب المدح وأسماء التعظيم لا تكثر الا عند من يرى نقص نفسه فيفزع الى هذا البهرج الكاذب يستتر وراءه كما ترى من يطلب ألا يزينه غير عمله ويلقاك باسمه لا تحيط به هالة الثناء الرسمية ولكن يحيط مجد صاحبه ساكتا غير ناطق

وأنا آسف اذ رأيت القوم في الغرب لا يملون عن النقد ويرغبون فيه يجعلونه رائدهم الى الكمال ومن أهمل منهم فلم ينتقده الناقدون كسف باله وراح حزينا يرى أنه من الخمول بحيث لا يؤبه له وجسد حتى يكون غرض الناقدين

وأرانا نكاد نجمع على بغض النقد كما أجمعنا على حب الثناء حتى صار الناقد عدو من ينتقده وحتى لا تجد للنقد عندنا فائدة

فاذا ذكرت ما افتتحت به هذا الفصل عرفت مكاننا من طلب الكمال ومبلغ حبنا للحق

يقول ناس منا لا ينبغي للناقد ان يترك عبارته جافة خشنة وعليه ان

يتلطف بمن ينقد وان يجعل بين يدى نقده طائفة من المدح ليجذب اليه المنتقد وفى نهايته شيئاً من الثناء ليخفف وقع النقد كأنهم يرون ان مر الحق لا يساغ الا اذا مزج بحلو الثناء ويريدون للناقد ان يكون للمنتقد كالأم لطفلها في الشفقة به والحدب عليه

وأناأرى أن من الخير لنا ان نمرن على سماع الحق وان نعتادالاعتراف بالخطأ وان نقبل من النصيح ولو خشنت عبارته

ولعلهم أعرف منى بما يصلح قومهم لطول ما اختبروا من عاداته وعرفوا من أخلاقه

الى هنا انتهيت من المقدمات العامة التي أردتها وعرفت منها ان للنقد الاشراف على كل عمل ولا يسعنى ان أريك حكمه فى جميع الاعمال وكيف يجد السبيل الى نقدها

ولكني اكتفي ببيان ماينتقده مما يأتى

الرجال — الشعر — المؤلفات

انتقاد الرجال

لايعاب الناقص اذالم يقدر على التمام وفى بعض الرجال نقص ليس من كسبهم لا يرى النقد سبيلا الى مؤاخذتهم به فاذا قلت ان فلانا طويل جداً يحسن أن يكون أقصر من ذلك أو أنه قصير يحسن أنه يطول كان الكلام ضربا من العبث

وكذلك امتداح الرجال بما ليس من عملهم لا يكبرون به فاذا قلت لفلان انه حسن الوجه مليح القسمة تام الخلقة معتدل القامة كان هذا تعريفا به.

لامدحاله . وترى العرب يتمدحون بصفات فى الجسم فيقول قائلهم مادحا

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الانوف من الطراز الأول

ولكنهم لا يقفون بالمدح عند تلك الصفات بل يريدون ما يلازم صفات الجسم من أخلاق صاحبه فقد كانوا يدّعون الحلم لواسع الصدر والعزة للطويل والذكاء للانزع والانفة للاشم وكانوا يرجون الخير عندحسان الوجوه ونفهم من قول القائل

الا يكن عظمى طويلا فانني   له بالخصال الصالحات وصول

ولا خير فى حسن الجسوم ونبلها   اذا لم يزن حسن الجسوم عقول

انهم ما كانوا يتمدحون بتلك الصفات لنفسها ولذا تراهم قد ساد فيهم من لم يرزق حظا من الوسامة فضرب المثل بالاحنف فى السيادة وما كان منظر يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان وكان برجايه حنف ولم يمنعه ذلك ان يكون سيد قومه ورئيس ناديه اذا غضب غضب له مائة الف سيف لا يسألون فيم غضب

فنقد الرجال بعد هذا تكون وجهته الاخلاق والأعمال وقد اراد من قال

جبلت على ما فىّ غير مخير   هواى ولو خيرت كنت المهذبا

الا تحمل تبعة اخلاقه ولو علم ان بيده تغيير ما ساء منها لما دفع النقد عن اخلاقه بأنه مضطر غير مختار

ولا نجيز لك اذا بحثنا نقد الاخلاق والاعمال ان تقول اذا حكمت على من نقدت ان فلانا أثيم لانه قتل أوسرق أو كذب حتى تنظر الى غايته وترى ان كان ما يجنيه المجتمع من ثمرة عمله يعدل جنايته عليه وحتى تقرنه برجل غيره له مثل تلك الغاية وترى أيهما كان أقل اجراما في سبيل الوصول الى غايته

فاذا رأيت سيرة زياد والحجاج وكان كلاهما والي العراقين يريد ضبطهما وكلاهما قتل وسفك الدماء وعذب المجرمين والابرياء ثم رأيت زيادا قد استقام له الأمر وخافه الناس ، حتى أمن بعضهم بعضا ولم يعن التاريخ بتعداد من قتلهم لانه ما ارتاع من كثرة الدماء التي سالت كما هاله ما أراقه الحجاج فأحصى له مائة ألف قتيل صبرا ثم لم يستقم له الامر وكانت البلاد أياه تضطرب وتثور بالفتن المرة بعد المرة ولم يضبط الكليات ليفرغ للجزئيات فللناقد أن يقول ان الحجاج أثيم اذا قاسه بزياد

وقد يرى الناقد مثل عبد الرحمن الاموى الذي فر من العباسيين وأسس الدولة الاموية بالاندلس ولم يجن فى سبيل تأسيسها ماجنى عبيدالله مؤسس الدولة العبيدية بالمغرب من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغرير بعامة المسلمين بدعوى المهدوية وشعوذة اتباعه الذين سبقوه للتمهيد له والتبشير به ثم فتكه بهم لما خافهم فيعد عبيد الله آثما بجانب عبد الرحمن

وقد تختلف الغاية ويقرن بين الرجلين يفاضل بينهما فللناقد ان يزن الغايتين ثم يحكم لصاحب الغاية السامية على اخيه اذا كان طريقهما اليها واحدا

فاذا مر بك عمر بن الخطاب وعامت عدد من قتل فى فتوحه وحروبه التى شب نارها واضرم جمرها فاتهمت خلقا كثيرا من الناس ومر بك نابليون وقتلاه تزيد عن قتلى عمر وكانت غاية الأولى اصلاح الناس واخراجهم من ظلمة الى نور ومن ضلال الى هدى وتخليصهم من جور الملوك الذين استعبدوهم واستبدوا بأموالهم وأجسادهم فسعى اليها سعيه حتى أدرك من غايته الكثير ونابليون ان كانت له غاية كانت حب الفخر والزهو وترسيم سلطانه لا ليدفع

عن الناس بلاء واقعا ولكن ليقول انى ملكت الارض ولهذه الغاية اضرم أوروبا وجعلها جذوة تشتعل زمناغير قليل حتى التهمت جذوتها ناسا كثيرين ذهبوا صرعى شهوة باطلة وغاية كاذبة فاذا قيس نابليون الى عمر كان شريرا ولو وجدت من وصل الى ما وصل اليه عمر من غير ان يريق الدماء التى أراقها عمر كان فى نظر الناقد خيرا منه

وان قرن رجلين اتحدا فى غاية لا يرضى بها الاخلاق كنابليون والاسكندر كان كلاهما آثما شريرا وكان اقلهما شرا اقلهما سفكا للدماء

هكذا يصنع الناقد ان كان لمن ينتقد غاية فان كان ينتقد رجالا لا غاية لهم فقد انتقلنا الى رجرجة الناس الذين لا يأتون بعظيم لا فى الخير ولا فى الشر واؤلئك هم أصحاب الاخلاق الضعيفة يتأثرون بكل شئ ولا يصنعون شيئا والمنتقد لهؤلاء ينظر الى الباعث لهم على العمل فاذا اجترم أحدهم جرما لباعث كبير كان اقل إثما ممن اجترمه لباعث ضعيف وكلاهما أثيم ان وجدبدا منه ثم فعله هذا ان نظرا اليهم من جهة الجرائم والذنوب

فان نظر من جهة الحسنات فانه يعدها عداً فان زاد عديدها عن عديد السيئات كان صاحبها اقرب الى الخير منه الى الشر

هكذا تنتقد أعمال الرجال ولو قصر نظر الناقد فحكم على الرجل لعظم جريمته كان ضعاف الاخلاق من الناس الذين لا يجترمون كبيرة خيراً من عظماء الرجال ثابتى العزائم الذين يجترمون كبير الجرائم فى طريق غاياتهم الكبيرة وهذا حكم بيّن مكان الخطأ فيه

أما انتقاد الاخلاق فالناقد يعرف مجموعة أخلاقية جاءت بها الشرائع وتعارف الناس انها فاضلة ويجانبها مجموعة نهت عنها الشرائع واتفق الناس

على ذمها والنفرة منهـا ولا يجد تعبا فى تمييز ما يرجع الى احدى المجموعتين فاذا وجد فى انسان خلقا من المجموعه الثانية كان له ان ينتقده ويطلب اليه تغييره ولـكن لا يعده اثيما الا اذا استقصى ما عنده من الاخلاق ورأى فاضلهـا أقل من مذمومها أما اذا كانت الاخلاق الفاضلة اكثر فهو رجل قريب من الفاضلين ولا يمنعك هـذا ان تنقد ما عنده من تلك الاخلاق وتحثه على التخلص منها ما استطاع

ولكن هناك خلقا دونه الاخلاق فاذا وجد الناقد رجلا ليس له هذا الخلق فحكم عليه بالسقوط لا يكون جائراً فى حكمه وذلك هو خلق التدين فانك ترى من يسمي أحمد أو محمداً او عليا أو غير ذلك من أسامي المسلمين واذا أحصوه فى احصاء البلد عـدوه واحداً منهـم ثم لا تجده يقوم بفروض دينه فان كان ذلك لزلزلة فى اعتقاده به ولا يعلن رجوعه عنه فهو منافق غاش يحتقر نفسه باظهاره غير ما يبطن وهـذا لا يرجى منه خير وان كان لكسل واهمال تعوده فهو مهمل لأنفع الاخلاق وماذا عسي أن يكون لباقيها من القيمة

مقدمة تاريخية لنقد الشعر

النقد عند العرب — كان العرب أغنى الناس فى مادة اللغة وكانت صناعتهم صـناعة الكلام وكان أنفس كلامهم الشعر فكان خلق النقد متجليا فى تمييز الشعر وتقديم بعضه على بعض وكان لذلك النقد أثر عند الشعراء فكان الشاعر يخفى ما استطاع ما يشك فيه من شعره ولا يظهر الا ما وثق به واستشار فيه يخاف ان تحفظ له كلمة ساقطة يسقط معها

وكان من فائدة ذلك النقد معرفة الشعراء بمنازلهم بعضهم من بعض

فقد وقف أعرابي على حسان بن ثابت وهو ينشد، فقال له كيف تسمع يا اعرابي فقال لا أسمع بأسا فغضب حسان وقال لاصحابه الا تسمعون لما يقول الاعرابي ما كنيتك أيها الرجل فقال أبو مليكة فقال ما كان أهونك على قومك اذ كنوك بامرأة فما اسمك قال الحطيئة فسكت حسان وأطرق

ويمتاز النقد عند العرب بالسكوت عن الساقط واطراحه والثناء على الجيد وتقديمه ولم أرهم تعرضوا لتبيين مواضع الخطأ حين ينتقدون الا فيما نقلوه عن تحاكم امرئ القيس وعلقمة الفحل الى أم جندب أيهما اشعر فاقترحت عليهما شعراً يصفان فيه الخيل فقال امرؤ القيس

خليليّ مرّابي على أم جندب   نقضّ لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة

ذهبت من الهجران في كل مذهب   ولم يك حقاً كل هذا التجنب

ثم أنشداها فقالت لامرئ القيس علقمة أشعر منك لانك قلت

فللسوط ألهوب وللساق درة   وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فاجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك — وقال علقمة

فأدركهن ثانيا من عنانه   يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجر

وما ينقلونه عن الخنساء في نقد بيت حسان حين أنشده النابغة وأمرها النابغة بنقده فقالت قلت

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى   وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقللت الجفان غراً ولو جعلتها بيضاً لكان أجود وقلت يلمعن بالضحى

وأى شئ لا يلمع بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أحسن وقلت يقطرن من نجدة دمافدللت على قلة القتلى ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم وقلت الجفنات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أبلغ

وفى النفس شئ من نسبة هذا النقد الى الخنساء فهو كما تراه متكلف لا يلتئم مع ما نسمعه من جرى العرب وراء الفطرة وجموع القلة والكثرة انما عرفناها من النحاة .

وقال قدامة بن جعفر يرد وجوه النقد هذه . انه لم يرد بالغر اللون وانما أراد الشهرة والذكر نقول يوم أغر أى مشهور وقول القائل على لسانها وأى شئ لا يلمع بالضحى خلاف الحق وعكس الواجب لانه ليس يكاد يلمع بالنهار من الاشياء الا الساطع النور الشديد الضياء فأما الليل فأكثر الاشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه وهذه الكواكب تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى وكذلك السرج والمصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار وأما قوله أن يجرين خير من يقطرن لان الجرى أكثر لانصباب الدم فلم يرد حسان الكثرة وانما ذهب الى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع القاتل بقولهم سيفه يقطر دماً ولعله لو قال يجرين دما يعدل عن المألوف المعروف

وفى كلام قدامة ما يدل على شكه فى نسبة النقد وأكبر ظنى أن تلك القصة موضوعة واضعها غير حاذق فانه وضع على لسان قوم لم يراع ذوقهم فيما نسبه اليهم

ومما يلاحظ فى أحكامهم اذا نقدوا الشعر أن الناقد منهم يعجبه البيت

من الشعر فيقول لقائله هو أشعر العرب وقد يتعدد هذا الحكم من واحد لعدة شعراء كما نقلوا عن الحطيئة أنه سأل من الذى يقول

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

قالوا الشماخ قال أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب ثم قال أبلغوا أهل ضابئ أنه أشعر العرب حيث يقول

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد الموت غير لذيذ

وكما ينقلون عن النابغة الذبيانى أنه قال للبيد حين أنشده

عفت الديار محلها فمقامها بمني تأبد غولها فرجامها

اذهب فأنت أشعر العرب. وقال للخنساء حين أنشدته فى عكاظ لو لا أن أبا بصير أنشدنى آنفاً لقلت انك أشعر الجن والانس

وأنت ترى تضاربا فى هذه الاحكام وأسهل ما يجاب به عنها انكارها أو انكار بعضها ولكنى أرى أنها أحكام وقتية شعورية فقد يعجب المرء بالبيت ويصادف هوى فى نفسه فيحكم حكمه فاذا زال أثر ذلك البيت من نفسه وحضره بيت لشاعر آخر يأخذ من نفسه ذلك المأخذ حكم له ما حكم للأول وقد يراد ببعض هذه الاحكام أن الشاعر أشعر العرب فى هذا البيت فى ذلك المعنى فاذا رأى لغيره بيتا في معنى آخر أجاد قائله فيه ما أجاد الاول قال ان صاحبه أشعر العرب يريد فى ذلك البيت فى هذا المعنى

ومن أحسن ما يلاحظ فى نقدهم ان أخلاق الشاعر كانت تؤثر فى شاعريته فاذا ساءت أخلاقه كانت سببا فى تأخره عن المبرزين كما نرى فى جواب الحطيئة حين سأله ابن عباس من أشعر الناس قال من الماضين أم من الباقين قال من الماضين قال الذى يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم

وما بدونه الذى يقول

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا (يعنى نفسه) والله ياابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين .

وهذا خلق فى النقد وددت لو كان فينا ولكنا نهمل السؤال عن أخلاق المرء اذا أعجبتنا منه مقالات يحبرها وكلمات ينمقها حتى أصبح ساقطو الاخلاق منا كبيرى المنزلة فى قلوبنا

وبقى لنقد الشعر تلك الحياة حتى جاء الاسلام فوقفها واشتغل الناس عنه بنوع آخر من النقد هو نقد الدين والاخلاق وبعد ان هدأت ثائرة النقد الدينى وبلغ المصلحون مايريدون كان العرب لايزالون بعيدين عن الاشتغال بأنواع العلوم والصنائع فاذا أتى الرجل منهم سينه قافلا من الجهاد أمضى أيامه فى عبادة وتحنث أو فى صيد وقنص أو فى ذكر مآثر وتعداد مفاخر وفيما بين ذلك يستمعون أقوال الشعراء ويتداولونها ثم يتناولها عارفهم بالنقد وهكذا عاد الانتقاد الى ما يشبه حاله فى عصر الجاهليين وينقلون عن عمر بن الخطاب كثيراً من المجالس كانوا يفاضلون فيها بين الشعراء الاقدمين وينشدون أجود ما يروون . قال عمر بن الخطاب لابن عباس هل تروى لشاعر الشعراء قلت ومن هو قال الذى يقول

ولو ان حمداً يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت ذاك زهير قال فذاك أشعر الشعراء قلت وبم كان أشعر الشعراء

قال لانه كان لا يماظل فى المنطق وكان يتجنب وحشى الكلام ولم يمدح أحداً الا بما فيه

عصر الامويين — واستمر النقد قريبا من هذا عصر الامويين الا أنه كثر وكان محور حركة جريراً والفرزدق والاخطل ويعاصرهم جميل وكثير ونصيب وعدي بن الرقاع والعرجي وذو الرمة وكثيرا ما كان يفاضل بين الثلاثة الاولين ويشتد فيهم الجدال وتأخذ العصبية مأخذها فى النفوس حتى قال يونس ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما

وكان للخلفاء يد فى حياة النقد ينقدون الشعراء ويسمعون لمن ينتقد بحضرتهم ويصل صدى أقوالهم للناس فيتردد بينهم ويتناقلونه

أنشد كثير عبد الملك قوله فيه

على ابن أبى العاص دلاص حصينة أجاد المريثى نسجها وأذالها
يود ضعيف القوم حمل قتيرها ويستظلع القرم الاشم احتمالها

فقال عبد الملك قول الاعشى أحسن من قولك

واذا تجيء كتيبة ملمومة شهباء يخشى الرائدون نزالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال وصفتك بالحزم ووصفه بالخرق

وأنشد عبد الملك قول كثير فيه

فما تركوها رغبة عن مودة ولكن بحد المشرفى استقالها

فأعجب به فقال الاخطل ما قلت لك ياأمير المؤمنين أحسن منه

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملك لاطريف ولاغصب

قال صدقت . وأرى ان هذا النقد قاصر فان كثيراً صادق والاخطل كاذب كما أنبأنا التاريخ ولكنهم كانوا يرون الجودة فى المعنى المبالغ فيه ثم لا يسألون أصدق أم كذب

ومن جيد النقد نقد كثير لعدى بن الرقاع حين أنشد قصيدته التي يقول فيها

وقصيدة قدبت أجمع بينها حتي أقوم ميلها وسنادها

فقال كثير لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج الى تقويمها ثم أنشد

نظر المثقف فى كعوب قناته حتي يقيم ثقافه منآدها

فقال كثير لا جرم ان الايام اذا تطاولت عليها عادت عوجاء ولان تكون مستقيمة لا تحتاج الى ثقاف أجود لها ثم انشد

وعلمت حتى ما اسائل واحدا عن علم واحدة لكى ازدادها

فقال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك أمير المؤمنين (وكانا بحضرة عبد الملك) بأن يسألك عن صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك

ويعجبني من النقد فى هذا العصر محاسبة الشاعر على أقواله اذا لم يعمل بها فقد وفد عروة بن أذينه على أحد خلفاء بنى أمية يطلب العطاء قال الخليفة ألست القائل

لقد علمت وما الاشراف من خلقى بأن رزقى وان لم أسع يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه وان قعدت أتانى لا يعنينى

أراك قد سعيت اليه فلم يسعه الا أن يكر راجعا ولم ينتظر العطاء

ووقفت عليه امرأة وقالت له أنت الذى يزعم الناس انك امرؤ صالح وأنت القائل

اذا وجدت اوار الحر فى كبدى ذهبت نحو سقاء الماء ابترد
هذا بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الاحشاء تتقد

والله ما خرج هذا من قلب سليم

وكان جرير يختم مجلسه بالتسبيح ويطيل فقال له شاب ما يغنى عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات فقال ياابن أخى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم والله ياابن أخى انهم يبدءوننى ثم لا أحلم وليت تلك الملاحظة اضطردت فتقل مخالفة الاعمال للاقوال

عصر العباسيين — جاء هذا العصر الذى تفتقت فيه الاذهان وتناولت طوائف العلوم بحثا واختراعا وتعريبا وكان النقد ممن انتفع بتلك الحركة فهو فى الحياة العلمية محور تدور عليه دائرتها وكان انتفاع نقد الشعر انه امتاز بشئ من دقة النظر فى تبيين مواضع الخطأ كما تراه فى نقد بشار لكثير حين سمع قوله

الا انما ليلى عصا خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال لله أبو صخر جعلها عصا خيزرانة أما انه لو قال عصا زبد لهجنها الا قال كما قلت

اذا قامت لمشيتها تثنت كان عظامها من خيزران

ولعله انما تنبه الى خطأ كثير حين نبه الى غلطه فى قوله

انما عظم سليمى حبتي قصب السكر لا عظم الجمل
واذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

وكما تراه فى نقده لابى العتاهية وكان جالسا عند المهدى وأبو العتاهية ينشد والمحفل حافل

الا ما لسيدتي مالها تدل فاحمل ادلالها
والا ففيم تجنت وما جنيت سقى الله اطلالها
الا ان جارية للاما م قد أسكن الحب سربالها

فقال بشار لمن بجانبه ما أدرى من أي أمريه أعجب من ضعف شعره أم من تشببه بجارية الخليفة يسمع ذلك بأذنه فلما قال

أتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الارض زلزالها

قال بشار وقد اهتز طربا ترى الخليفة لم يطر عن سريره طربا لما يأتى به هذا الكوفي

وكان الشعراء المتنافسون في أوائل هذا العصر بشار وحماد وابن مناذر وأبو العتاهية ثم والبة وابو نواس ومسلم بن الوليد وعباس بن الاحنف والحسين بن الضحاك ثم دعبل وأبو تمام ثم البحترى وبين ابى تمام والبحترى كتب الطائى موازنته بينهما وهى من أمتع ما كتب فى نقد الشعر

وقد اوجدت السياسة او الاستبداد نوعا من الانتقاد ما وجد قبل بشكله فى هذا العصر ومن ذلك ان شاعراً مدح ابا دلف بقوله

انما الدنيا ابو دلف بين باديه الى حضره
فاذا ولى ابو دلف ولت الدنيا على أثره

وبلغت الابيات المأمون فغضب على الشاعر أن بالغ في ممدوحه ولم يقبل للشاعر عذراً وسفك دمه ولم يبلغ الامويون هذا المبلغ فقد قال جرير للحجاج

من سد مطلع النفاق عليكمو أم من يصول كصولة الحجاج

وبلغت أبياته عبد الملك فلم يقل الا كلمة عتاب قالها لجرير حين استأذن في انشاد مدحه ما عسى أن تبلغ فينا بعد ما قلت للحجاج

وقال أبو نخيلة يمدح مسلمة بن عبد الملك

أمسلم انى يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض

فنعته بوصف لو وصف به انسان فى زمن المأمون لعوقب هو ومادحه ولكننا لم نسمع أن أبا نخيلة عرض له أحد ولا بعتاب

وبقى النقد فى هذا العصر كما كان فى العصور التى تقدمته يدور على الالسنة ولا تحتويه الكتب حتى ذهب الشعراء الذين سميتهم فى هذا العصر ثم جاءت بعدهم فترة جاء بعدها المتنبي فشغل الناس فى حياته وبعد مماته بشعره ولم يعن بشعر أحد ما عنى بشعر المتنبي فقد شرح شروحا كثيرة وكتب فيه الادباء فصولا طوالا تبين عيوبه وتعد سرقاته . وفى ظني أن المتنبي كان من أكبر الاسباب فى تدوين النقد وقبله ما عرف أنه كتب فيه الا الشيء اليسير

واذا حاشينا الشريف الرضى وأبا العلاء لم نجد بعد المتنبي من الشعراء من يلفت الابصار نحوه ولذا اشتغل الادباء بعدهم بتداول شعر المتقدمين ونقده ولما كانت ملكة الشعر فيهم ضعيفة كان نقدهم ضعيفاً قاصراً على اللفظ ووقف عند ما كتبه علماء البديع من النظر فى المحسنات والجناس ثم أخذه الرقاد الذى بدأ ينتبه منه منتصف القرن الماضى

وكانت أثناء الحياة العلمية عصر العباسيين فى الشرق حياة أخرى فى الغرب في بلاد الأندلس كان لنقد الشعر فيها عمل كثير لا يتسع لى الوقت لبيان أطواره ولكن من يقرأ كتاب العقد الفريد وكتاب الامالى الذى أملاه هنالك القالي وكتاب العمدة عرف طريقة نقد الشعر ومنزلته فى تلك البلاد

أما النقد فى عصرنا فأرجو أن أفيدك عنه فائدة فيما أكتبه تحت عنوان نقد الشعر (يتلى)

المواسم والاعياد

« فصل فى ذكر ما اتخذه بنو اسرائيل عن الكنعان وأعيادهم الاولى »

قال (مسبرو) فى تاريخه المذكور ما ملخصه ان عقائد الامتين كانت قريبة جداً فى أول الامر مما يدل على ان أصلهما من بلد واحد فالكل كانوا يقولون بتصرف الملائكة وسكان السموات . وبنو اسرائيل كانوا يعتقدون ان لكل جماعة ملكا كما لكل فئة من الكواكب ملكا وان للسماء ملكا وان (يهوا) هو ملك الملوك رب بنى اسرائيل كما كان (ملكرت) ملك سور ويصفون ربهم بالغيرة وكثرة الغضب وتسلطن غضبه على حلمه ورحمته وشدة انتقامه ممن يكفر به ويزعمون أنه يحب تصويره على هيئة انسان وثور وثعبان من خشب أو معدن أو طين أو عمدان ويقولون بظهوره فى الريح الشديدة والعواصف لمن أراد من عباده وأن الصاعقة صوته والهواء نفسه والنور رداؤه واذا غضب على قوم حبس عنهم المطر ومنع مجارى المياه التي في السماء من النزول الي ارضهم ولا يمطرهم الا اذا انصرف غضبه عنهم قالوا وفى أول الامر كان عرشه فوق جبل سيناء وسعير ثم تحول الى المدن بعد الفتوحات فغلب سلطانه على الارباب التى كانت معبودة فى (فنوئل) و (شيلوح) و (سخيم) وقد تصوروا أسبابا لتغلب اسمه على أرباب هذه المدن

تناسب المقام فقالوا ان ذلك تم لان ابراهيم كان نزل مدينة (عبرون) ويعقوب نزل فى (شيلوح) و(سخيم) و(بنوئيل) و(محانائيم) الخ ولم يكن للعبرانيين قبل نزولهم أرض كنعان أعياد خلاف الاعياد التى توافق معيشة رعاة الاغنام وأحوالهم مثل عيد (جذ صوف النعاج) أما الكنعانيون فاتخذوا أعياداً توافق معيشة الفلاحين والمشتغلين بزراعة الكروم وعظموا المحصولات والحصيد وقطف العنب وفصول السنة الزراعية وفرضوا على أنفسهم تقديم بكر المحصولات لربهم كأجرة لارضه التي أنعم الله بها عليهم

قال ولما اشتغل بنو اسرائيل بالفلاحة مثل الكنعانيين قلدوا احتفالاتهم الدينية واتخذوا المعابد وتعودوا الاعياد والمواسم والالعاب التى كانت عندهم الخ

ونقل فى سيرة الملك يوشيا اليهودي الذى تولى الملك حوالى سنة ٦٤٠ قبل التاريخ المسيحى ماذكره التوراة في سفر الايام الثانى بالباب الرابع والثلاثين من اعتناء هذا الملك بأمر الدين وتطهيره بلاد (يهوذا) ومدينة (أورشليم) عاصمة مملكته من المرتفعات والسوارى والتماثيل والمسبوكات وأمره بهدم مذابح البعليم وتماثيل الشمس التى عليها من فوق قطعها وكسر السوارى والتماثيل والمسبوكات ودقها ورشها على قبور الذين ذبحوا لها واحراق عظام الكهنة على مذابحهم ثم انه أرسل (شافان) بن (أصليا) وجماعة من الرؤساء لترميم بيت الرب الهه فجاؤا الى حلقيا الكاهن العظيم وأعطوه الفضة المدخلة الى بيت الله التى جمعها اللاويون . وعند اخراجهم الفضة المدخلة الى بيت الرب وجد (حلقيا) الكاهن سفر الشريعة المكتوب بيد (موسى) وسلمه لشافان الذى أوصله الى الملك يوشيا الى آخر ماهو مذكور في أخبار هذا الملك فليراجع في محله من السفر

ثم قال (مسبرو) بعد هذا النقل : ولا أزيدك علما بغرض أهل الشرق من قولهم ان هذا أو ذاك الكتاب وجد فى بيت الرب الفلانى فان هذه العبارة لا تفيد سوى أن مؤلف الكتاب تحايلا منه لكي يصدق الناس ما كتبه فيه ينسبه للاله أو للوحى السماوى فقد كان قسس قدماء المصريين يزعمون أنهم تلقوا من الوحى أسفار كتاب الاموات المقدسة وتفاسيرهم التى يكتبونها من افكارهم. وكذلك زعم بعض علماء اليهود الذى لم يعرف اسمه أن ما كتبه من الشريعة فى كتابه هو من عمل موسى لانه رأى أن اليهود كانوا يقولون إن موسى خاص أجدادهم من مصر فاستحسن ان ينسب اليه الكتاب وزعم أن موسى لما دنا أجله أمر بكتابة الشريعة التى أوحاها الله اليه ليتبعها بنو اسرائيل بعده (الى أن قال) والاعياد الكبيرة التى فرضت فى كتاب الشريعة المذكور لا تزيد عن ثلاثة أعظمها عيد الفصح فى شهر أبيب شهر السنابل وهذا العيد معتبر عندهم تذكارا لخروجهم من مصر أما العيدان الآخران فلا علاقة لهما الا بفصول السنة فأولهما وهو عيد البذور يكون بعد سبعة أسابيع من تاريخ أول الحصيد والثاني وهو عيد المظلات « الخيم » يكون فى آخر زمن المحصولات وقد جعل لرجال الدين نصيب مما يذبح فى هذه الاعياد والعشر على القمح والنبيذ وبكر المواشي كل سنة أو كل ثلاث سنوات الخ

قال ولا يزال سفر الشريعة الذي زعموا أنه أنزل على موسى موجوداً محشوراً ضمن السفر الذى يطلقون عليه اسم « سفر تثنية الاشتراع الخ انتهي ملخصا من تاريخ مسبرو من الصحفة « ٥٨٩ » وبعدها

« فصل فى ذكر أقدم بقاع الارض مظهراً لملة التوحيد والشرك وأعيادهم »

نقل المؤرخ « مسبرو » في تاريخ أمم الشرق القديمة أقوال المؤرخين فى ديانة قدماء الكلدان وعباداتهم المختلفة واعتقادهم فى أرباب السماء ودرجاتهم وفى الملائكة والشياطين وتعظيمهم للقمر والشمس والنور وتصويرهم للافلاك والارض ورأيهم فى تصرف الارباب فى الكائنات وعلاقة أرباب السماوات بمملكة الارض واعتقادهم فى الموت والروح والآخرة والعذاب وماشابه ذلك من العقائد ثم قال بالصحيفة «١٦٧» أن الساميين وقت دخولهم بلاد الكلدان كانوا يعبدون الشمس ويعظمونها فوق كل معبود سواها وكانوا يصفون الارباب بالذكورة والانوثة ويقولون أن لكل رب قدرة على ايجاد الطبيعتين فالرب «أنو» ملك السماء مؤنثه «أناث» والرب «بعل» المولى مؤنثة (بعليت) أو (مردوح) أو (زربنيت) ثم اختلطت عقائدهم ودياناتهم بديانة وعقائد الامم السابقة عليهم فى سكن بلاد الكلدان بطول المعاشرة فتحول المعبود (أنو) صاحب النور الى رب الشمس واسمه عند الساميين (ساماس) وتحول اسم المعبود (انليل) الى (بعلو) واسم المعبودة (أزارى) أو عسارى الى (مردوخ) وهكذا من أنواع الخلط بين القديم والجديد

ولم يكن فى أول الامر نظام وترتيب لدرجات الارباب والملائكة من حيث علاقاتهم ببعضهم وتفضيل بعضها على بعض فلذلك كانت كل جهة تقيم الاعياد للمعبود الذى تستحسنه أو يستحسنه الغالبون ففى زمن تغلب قوم (أور) تغلب رب القمر على سائر الارباب وفى زمن تغلب قوم (لارسام) تغلب رب الشمس وقد حصل مثل هذا الامر في مصر قديما حيث كان لملك الدنيا والسلطنة دخل فى رفع ذكر الارباب وخفضه حتى أن الناس كانوا

يدخلون على معبودهم الاصلى صفات معبود المتغلبين عليهم تبعا للحوادث .

وقد ظهر فى مدينة (عريدو) الكلدانية فرقة من علماء الاديان قالت بتوحيد الذات الالهية ووجهوا عبادتهم لله وحده الا أنهم لم يظهروا على عبادة الشرك ولم يتغلبوا على المشركين نخفى دينهم

ويتبين من أخبار تلك الازمان أن علماء الدين رأوا وجوب ترتيب درجات الارباب وجعل بعضهم فوق بعض وذلك ظاهر من احوال الكلدان فى عصر الملك (شرجينا الاول) وابنه (نارامسين) قبل التاريخ الميلادي بأربعة آلاف سنة وفى سيرة الملك (حمورابي) ما يدل على أن مملكة الكلدان اتخذت دينا حكوميا يدين به الناس كلهم تبعا لملكهم بدلا من كثرة الارباب

وهذا الدين الذى اتخذوه مبنى على تثليث الذات الالهية العظمى فقالوا أنها عبارة عن ثلاث ذوات وهى (انو وبعل وايا اوعيا) وكانوا يصورون (انو) رب السماء القديم ابا الارباب ملك الدنيا وصاحب العدم ورب خزائن الغيب على صورة انسان بذيل نسر لابس جلد سمكة على رأسه وكتفه ووسطه . ويصورون (بعل) احد نصفى الذات الالهية ملك الدنيا وسيد الممالك جميعها وملك الارواح كلها على هيئة ملك جالس على عرشه واهل بابل كانوا يعرفون ذاته بوصفين أحدهما « بعل مردوخ » والثانى « بعل دجان» ويصورونه على هيئة سمكة بوجه انسان .

أما الذات الثالثة وهى ذات « ايا » أوعيا الدالة على صفات العلم المتصرفة فى المرئيات وواهبة الفهم والعظمة والحياة التى جعلت الروح فى الماء فكانوا يصورونها ملكا بأربعة اجنحة كملائكة الكروبين وكل واحد من هذه الثلاثة ذوات ينبعث منه ذات مؤنثة مثله فى الصفات وهى « أنات وبعليت ودمكينا »

ولكن اسم « بعليت » غلب على الاسمين الآخرين لانه الجوهر الاصلى للكائنات الموصوف بالرطوبة والخصوبة . هذا وصف تثليث الكلدان من الوجهة المعنوية أما من الوجهة الحسية فانهم جعلوا للذوات الثلاثة مظاهر رمزية من الكائنات المرئية وهى القمر والشمس والسحاب ثم يتلوهم أرباب خمسة متصرفة في الكواكب الخمسة « لنينو » وهو زحل و « مردوخ » وهو المشترى و « نرجال » وهو المريخ و « عشتار » وهو الزهرة و « نابو » وهوعطارد . الخ

أقول ان ما ذكره « مسبرو » يقرب كثيراً مما قاله ابن خلدون فى الكتاب الثانى فى ذكر أمم العالم حيث يقول : وليس لدينا من أخبار آدم وذريته الا ما وقع فى المصحف الكريم وهو معروف من الائمة واتفقوا على ان الارض عمرت بنسله أحقابا وأجيالا بعد أجيال الي عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياء مثل شيث وادريس وملوك فى تلك الاجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنحل مثل (الكلدانيين) ومعناه الموحدون ومثل السريان وهم المشركون . وزعموا أن أمم الصابئة منهم وأنهم من ولد صابئ ابن لامك بن اخنوخ وكان نحلتهم فى الكواكب والقيام لها كلها واستنزال روحانيتها وان من حزبهم الكلدانيين أى الموحدين . وقد الف ابو اسحاق الصابئ الكاتب مقالة فى انسابهم ونحلتهم . وذكر اخبارهم ايضا (داهر) مؤرخ السريانيين والبابا الصابئ الحرانى وذكروا استيلاءهم على العالم وجملا من نواميسهم الخ

اقول ايضا ان الملك (حمورابى) المذكور هو من ملوك العرب الذين تغلبوا على ملك بابل فى قديم الزمان وشهرتهم بالشرائع وتنظيم

الحكومات لا تحتاج لبيان. ولهم في بلاد الكلدان والفرس آثار باهرة تشهد للجنس العربي بالسبق في مضمار الحضارة والعلوم والشرائع

واقول كذلك ان الزمن الذي يقول «مسبرو» بظهور مذهب التوحيد فيه وهو زمن الملك (شرجينا) يوافق على حساب مؤرخي التوراة زمن ظهور آدم وبنيه لغاية قتل قابيل لهابيل سنة ٣٨٧٥ قبل التاريخ المسيحي ولكن المشهور ان اول من نزل بلاد بين النهرين وبابل هو نوح وبنوه بعد الطوفان وزمن نزولهم يوافق سنة (٢٣٤٨) قبل الميلاد فالحال لا تخلو من احد امرين فاما أن التوحيد قديم في بلاد الكلدان من قبل نوح واما ان حساب اهل التوراة خطأ لا سيما وأنه لا يوجد في التاريخ تعيين مضبوط لمحل ظهور آدم وبنيه لغاية نزول نوح ارض السوس والكلدان وبابل والمشهور ان ملك اولاد آدم كان جهة سيحون وجيحون شرقي بلاد الفرس بين بلاد الترك والهند والمغول والتاريخ الذي يعينه اهل التوراة لتشييد اولاد نوح لبابل هو سنة ٢٢٤٧ قبل الميلاد فكل ذلك مما يوجب الشك في تاريخ اهل التوراة لعدم موافقته تاريخ السريان والفرس والهنود وابحاث المتأخرين وتحقيقاتهم لمعرفة صدق تاريخ التوراة من عدمه

(الباب الخامس)

في ذكر دخول علوم صابئة اليونان ثم الروم على عقائد التوحيد وتاريخه

(فصل في ذكر أول من أدخل ديانة اليونان)

المشركين على محللات ومحرمات الموحدين بالاكراه قبل ظهور المسيحية بنحو جيلين نقلا عن كتاب تاريخ يوسف بن كربون بالفصل الثاني منه .

قال في ذكر ملك انطيوخس المكدوني اليوناني وما جرى على اليهود في أيام ملكه:

ثم ارتحل انطيوخس راجعا الي بلاده وخاف على أورشليم رجلا من أصحابه يقال له فليكس وآمره ان يطالب اليهود بالسجود لاصنامه ويأمرهم بأكل لحم الخنزير ويمنعهم من الختان ومن حفظ السبت وأن يقتل كل من خالف أمره ويحسن الى كل من اطاعه ففعل فليكس كما امره انطيوخس وطالب اليهود بذلك فامتنعوا منه فقتل منهم خلقا كثيراً وأحسن الي أولئك القوم الاشرار والى من تشبه بهم فى طاعته وقبول أمره ورفع منزلتهم فانبسطت يدهم على الناس وعظم شرهم وكانوا على اليهود أضر من كل أحد وسببا لكل ما جرى عليهم من المكروه الخ

(فصل في ان انطيوخس أول من أكره الموحدين)

(على قبول عقيدة تأليه الادميين كالصائبة وعذبهم عليها)

قال يوسف فى سيرة انطيوخس : ثم سعى الى فليكس بسبعة اخوة من اليهود فأمر بالقبض عليهم ووجه بهم الى انطيوخس لانه لم يكن رحل عن أورشليم الى ذلك الوقت . فلما وصلوا اليه أمر باحضار أكبرهم . فلما مثل بين يديه أمره بترك ديانته وقبول ما قد أمر الناس به من السجود لصورته وتسميته الها الخ فهذا المارد طالب الشاب المتقدم فى السبعة وكان يسمى (افقيم) بأن يسجد لتماثيله ويأكل من ضحاياه فدحض أمره ورد عليه قائلا (أيها الملك انما تجب علينا طاعتك ان أمرتنا بما ليس فيه مخالفة لشريعتنا . وأما ما لا يجوز لنا فعله فلسنا من الطائعين له ولا لديانتنا من المضيعين . وذلك أنا لسنا نعرف سوى التمذهب بدين (الله) عز وجل وما تقلدناه من نبيه موسى ولا نسجد لما ليس (بأله) عند ذلك احتد انطيوخس وتزايد غضبه وأمر باحضار قدر كبير من نحاس وأمر بوضعه على النار فلما حميت أمر أن تقطع يداه

ورجلاه ولسانه وأن يسلخ جلده ووجهه ورأسه ثم يلقى جسده بالقدر . فلما صار ما أمر به ذلك الجبار فعلا وقارب (اقفيم) الموت أمر بأزالة النار من تحت القدر ليطول عذابه فبقى كذلك الى أن مات وانما أراد بذلك تخويف أمه واخوته فما زادهم الا شجاعة وتشديدا وقوة منه وتأييداً الى أن استظهروا على المتجبر العنيد. ثم احضروا الثاني وهكذا (الى أن قال بعد ذكر عذاب الباقين)

ثم ان أمهم سألت الله عز وجل أن يقبل نفسها فماتت وذلك أنها لما شاهدت أعضاء بنيها متفرقة طرحت ذاتها فى النار المضطرمة ولم تنتظر أن يطرحها فيها انسان. فعلى هذه الكيفية استكمل هؤلاء حياتهم الخ

ثم ان انطيوخس رحل عن أورشليم راجعاً الى بلاده بعدما استخلف صاحبا له يقال له (فيلكس) على بلد اليهودية وتقدم اليه والى جميع عماله المتولين اعماله أن لا يبقوا على أحد من اليهود الا من قبل أمر الملك ولم يخالفه. ففعل أصحاب انطيوخس كما أمرهم وأكثروا من قتل اليهود فأهلكوا من الامة خلقا كثيراً. الخ

فمن ذلك يعلم ان اليونان لما حكموا اليهود أخذوا فى اكراههم على الدخول فى ملة الشرك وقبول القول بتأليه بنى البشر والسجود لهم وأكل لحم الخنزير وتحليل محرماتهم وتغيير حكم السبت والختان. وقد أفلحوا ووجد لهم أنصار نشروا دينهم بين الاهالى فى زمنهم وزمن الروم وحكمهم على اليهود بعد اليونان كما سترى ذلك مما يأتي ذكره لتعرف كيف تمتزج الاديان وتختلط العقائد وان الذين تربوا على الدين المبدل يتمسكون به على جهل بما أصاب المتمسكين بالحق قبل التغيير

وقال يوسف بن كريون فى ذكر فرق اليهود بعد كلامه على تداخل

الروم في أمور اليهود : كان اليهود فى ذلك الزمان ثلاث فرق الواحـدة تسمى (الفروسيم) وهم الفريسيون ويسمون أيضاً المعتزلة والفرقة الثانيـة يسمون الصدوقيين نسبة الى رجل فقيه من أصحاب العلماء يسمى صادوق . أما الفرقة الثالثة فيسمون الحسديم وتأويل هذا الاسم الصالحون لأنهم كانوا يذهبون الى العمل بما هو أفضل وهو الاخـذ من هذين المذهبين بما هو أحوط في الدين واسلم في التقوي وهم المشتغلون بالتسبيح المنعكفون على العبادة . وكان الصدوقيون يعادون الفريسيين عداوة شديدة ويباينونهم . وكان هركانوس وآباؤه من الفريسيين ثم انه انتقل بعد ذلك الى الصدوقيين وباين الفريسيين وعاداهم الخ

وكانت العامة بأسرهم وبعض الخواص مع الفريسيين فعظمت الشرور منذ ذلك الوقت في اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضاً الخ

﴿ فصل في الوقت الذى بدأ فيه رؤساء اليهود بالتظاهر ﴾
(بتقليد حكام الروم فى أمورهم ودينهم)

قال يوسف في الفصـل السادس فى كلامه على أيام الامبراطور أوغسطس ملك الروم :

فلما كان بعد أيام يسـيرة ورد قائد من اوغسطس قيصر الى اورشليم فقبض على ارخلاوس وقيده وحمله الى رومية فمات فيها وكانت مدة ملـكه سبع سنين وملك بعده انطيقوس أخوه ابن هيرودس

ولما ملك أوغسطس انطيغوس بعد أخيه سماه هيرودس أيضاً باسم ابيه وكان هيرودس هذا أشر من اخيه ارخلاوس واقبح افعالا وكان مسرفا في النسوة والملاهي وهو الذي اخذ امرأة فيلبس اخيه وهو حي وله منها

ولدان واسم المرأة هيروديا . فلما انكر علماء اليهود وأئمتهم عليه ذلك قتل منهم جماعة كثيرة وقتل يوحنا بن زكريا الحبر الاعظم والكاهن الاكبر لما انكر عليه اخذ امرأة اخيه وهو حي خصوصاً لان له منها ولدين . ويوحنا هذا هو الذي ابتدأ يعمل المعبوغات لليهود والتطهيرات والتكفير للخطايا وهو المسمى عند النصارى يوحنا المعمدان بن زكريا .الخ

فمن هنا يظهر لك ان ديانة الوثنيين دخلت فى دين اليهودية فى زمن أو غطس وصار لها أنصار من رؤساء الدين . ولا يخفى ما وراء ذلك من التأثير على عقول العامة والاميين واتباعهم دين الرؤساء كما هي العادة

(فصل فى ذكر أساس ديانة التعدد)

(وما بينها وبين التوحيد من الشبه فى طرق العبادات مع اختلاف الأساس)

قال الامام ابن حزم فى الكلام على من قال ان فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد بالجزء الاول من كتاب الفصل في الملل والنحل بالصفحة ٣٤ :

وقد يضاف الى جملة من قال مدبر العالم أكثر من واحد الصائبون وهم يقولون بقدم الاصلين على ما قدمنا من نحو قول المجوس الا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ويصورونها فى هياكلهم ويؤتون الذبائح والدخن ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين ويصومون شهر رمضان ويستقبلون فى صلاتهم الكعبة البيت الحرام ويعظمون مكة والكعبة ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرائب ما يحرم على المسلمين . وعلى نحو هذه الطريقة تفعل الهند (بالبدة) في تصويرها على أسماء الكواكب وتعظيمها . وهو كان أصل

الاوثان فى العرب والدقاقرة فى السودان حتى آل الامر مع طول الزمان الى عبادتهم اياها . وكان الذى ينتحله الصابئون أقدم الاديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا الى آن احدثوا فيه الحوادث وبدلوا فى شرائعه بما ذكرنا فبعث الله عز وجل ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام الذى نحن عليه الآن وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التى أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى الخ

(فصل فى ذكر بعض محللات ومحرمات الصابئة)

(الذين منهم اليونان والروم مؤسسى المسيحية)

قال الشهرستانى بالجزء الثانى من الملل والنحل صحفة ١٥٤

الصابئة كلهم يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت وحرموا أكل الخنزير والجزور والكلب ومن الطير كل ما له مخلب والحمام ونهوا عن السكر فى الشراب وعن الاختتان وأمروا بالتزويج بولى وشهود . ولا يجوزون الطلاق الا بحكم الحاكم ولا يجمعون بين امرأتين . انتهى .

هذا أصل دين الصابئة في بلاد الشرق الا أن اليونان والروم كانوا احدثوا فيه كثيراً من البدع وأحلوا لحم الخنزير واتخذوا (التعميد) بالماء الذي يقابل الختان . وقد قبلت المسيحية الرومانية كثيراً من هذه القواعد التى ذكرها الشهرستانى على خلاف ما كان عليه اليهود . ولم يرد فى كتاب يوسف بن كربون ما يدل على أن المسيح عليه السلام أحل أو حرم شيئاً من أحكام التوراة في هذه الامور

ويوسف هذا من رؤساء اليهود وكبرائهم وقد أدرك حروبات الرومان كلها وكان يحاربهم الى أن غلب ووقع فى أيديهم وشاهد خراب القدس

وسافر مع الرومان الي رومية بعد الخراب فى الجيل الذى يقال بظهور السيد المسيح فيه فهو أدرى الناس بما جرى لملته فى الوقت الذى تغير فيه دينهم على يد ملوك الروم المشركين ولم يثبت عنه ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام جاء بأحكام توافق ملة اليونان والروم ومحللاتهم ومحرماتهم ولم يذكر ظهوره

وعلى ذلك صح قول القس بنيامين شنيدر بأن كل البدع التى دخلت على المسيحية الصحيحة من عمل الوثنيين ومن التقليد الباطل

(فصل في ذكر بعض ما كان عليه اليونان والروم)

(من العقائد الفاسدة أيام اختلاطهم بالموحدين)

قال المسعودى فى مروج الذهب في ذكر الكهانة وما قيل فى ذلك وما اتصل بهذا الباب مما نراه وحد النفس الناطقة : تنازع الناس فى الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن . وكانوا يدعون العلوم من الغيوب . فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت . فهى مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم في النفس الكلية . وصنف منهم أدعى ان الارواح المنفردة وهي (الجن) تخبرهم بالاشياء قبل كونها وان أرواحهم قد صفت حتى صارت تلك الارواح من الجن متفقة . وذهب قوم من النصارى ان السيد المسيح انما كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس فى غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب . ولا أمة خلت الا كان فيها كهانة . ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانة واشتهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي اصفاء نفسه وتجردها من ادران هذا العالم . والصابئة تذهب الى ان

(ازرياسيس)و (اواسيس)و (اويس الثانى) وهما هرمس و (اغا ممنون) كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا انبياء عند الصابئة . ومنعوا ان تكون الجنة اخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم . وطائفة ذهبت الى ان التكهن سبب نفسانى لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ونظافة الحس . الخ فمن ذلك ترى خلل ديانات هذه الامم التى دخلت على أساس التوحيد والاعتقاد فى الانبياء واختصاص فطرتهم لتلقي علوم الوحى بنعمة الهية

فصل في ذكر بعض آثار الوثنية

اليونانية والرومانية فى ديانة الانبياء الموحدين

قال الامام ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والنحل جزء ٢ ص ٧٣:

واعلموا انهم كلهم باجمعهم متفقون على ان يصوروا فى كنائسهم صورة يقولون هى صورة البارى عز وعلا وأخرى صورة المسيح وأخرى صورة مريم وصورة بطرس وصورة بولس والصليب وصورة جبريل وميكائيل واسرافيل ويسجدون للصور سجود عبادة ويصومون لها تدينا وهذا هو عبادة الاوثان بلاشك والشرك المحض وهم ينكرون عبادة الاوثان ثم يعبدونها علانية وحجتهم فى هذا حجة عبادة نفساً وهي أنهم يتقربون بذلك الى تلك الصور لا الى الصور بأعيانها

وأعلموا أنهم لم يزالوا بعد المسيح بأزيد من مائة عام يصومون فى شهر كانون الآخر أثر عيد الحجيج أربعين يوما متصلة ثم يفطرون ثم يعيدون الفصح مع اليهود اقتداء بالمسيح الى أن أبطل ذلك عليهم خمسة من البطاركة أجمعوا على ذلك وتقلوا صيامهم وفصحهم الى ما هم عليه اليوم (الى أن قال)

وقولهم كلهم ان المسيح أتي ليأخذ بجراحته آلامنا وبكلومه ذنوبنا

ليت شعري أي ألم آخذ بجراحته أم كيف تؤخذ ذنوب الناس بكلوم المسيح ما نراهم ألا يألمون ويذنبون كما يألم غيرهم ولا فرق (الى أن قال)

ودعواهم أن هيلانة والدة قسطنطين أول من تنصر من ملوك الروم بعد ازيد من ثلثمائة عام من رفع المسيح وجدت الخشبة التي صلب فيها المسيح والشوك الذى جعل على

رأسه والدم الذي طار من جنبه والمسامير التي ضرب بها في يده. فليت شعري أين وجدوا هذا كله وأهل ذلك الدين كلهم مطرودون مقتولون حيث وجدوا والمدينة خالية أزيد من مائتي عام لا أنيس بها .

ثم من لهم بانها تلك وأين يبقى أثر الدم ومسامير وشوك وخشبة تلك المدة العظيمة في البلاد الخالية المتنفرة . ولا شك انه اذ صلب كما يقولون كان أصحابه مختفين وأعداؤه لا يلتفنون الى أمره . انتهى .

وقد سبق لنا ذكر ما يقوله عقلاء المسيحين من البروتستانت في أمر الصليب وفي تقليد محللات ومحرمات الصابئة و الوثنية فليراجع ليعلم صدق رواية يوسف بن كربون

فصل في ذكر مايقوله مؤرخو الاديان من الفرنجة المتأخرين في تشابه دينهم ودين البوذية

قال الاستاذ ماكس مولر في كتابه تاريخ الأديان بالصحيفة (٣٠١) ضمن كلامه على البوذية ومؤسسها (بوذا) مامعناه : ان اعظم الاصلاحات التي أتى بها دين البوذية جاء في أحكام المعاملات الدنيوية وتهذيب الأخلاق والحكم والمواعظ لافي العقائد ولا في علوم الغيب ولا في الامور الغير المرئية

فأقواله في الاخلاق والحكم من احسن ماجاءت به الشرائع في العالم كله : وقد شهد له بذلك الكل حتى مخالفوه وأعداؤه فمن أعدائه الذين أعجبوا به المبشر المسيحي (سبنس هاردي) الذي قال في كلامه على كتاب (ضما بادم) أي الخطوات الشرعيه ان المواعظ التي في هذا الكتاب لو جمعت لكانت أعظم كتاب مواعظ في الاديان الوثنية وقال العلامة (لابولاي) أحد اعضاء جمعية العلماء الفرنسية الاعلام فيما كتبه عن هذا الدين بصحيفة الاخبار المعروفة باسم (ديبا) بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٨٥٣ ما معناه (انه لمن المتعذر على عقولنا أن تدرك كيف يمكن للبشر الوصول الى هذا المقام العالي والدنو من مكان الحكمة بهذا المقدار من غير مدد الوحي) الى أن قال المؤلف بعد ذكر محاسن شرع بوذا وأحكامه : ان العلماء كانوا يظنون بوذا اسم على غير مسمى وان الهنود أخذوا أقوال يسوع المسيح ونسبوها لبوذا . وكان أتباع (مانو) يعتقدون أن (بوذا) و (يسوع المسيح) و (مانو) شخص واحد وقد استمر هذا الخطأ لغاية الجيل التاسع عشر بعد ميلاد المسيح والعلماء يزعمون أن (بوذا) عبارة عن واحد من مشاهير أصحاب الاديان في غير الهند مثل توت المصريين أو

(عطارد) اليونان أو (ودان) الجرمان أو (زردشت) الفرس أو (فيثاغورس) اليونان ولكن ظهر الآن للعلماء أن (بوذا) ذات على مسمى ظهر فى الهند بالدين المنسوب له مخالفا للبراهمة واتبعه الناس وكان له شأن عظيم . انتهى ملخصا . والذى يستنتج من أقوال هذا العلامة (ماكس مولر) ان الدين اليسوعي والبوذى والمانوى والتوني والعطاردي والزردشتى تكاد تكون واحدة بعد الذى أصابها من الخلط من وجوه واحدة

وقد حقق المؤرخون تاريخ ظهور (بوذا) فوجدوه سابقا على ظهور المسيح بجملة أجيال

فيحسن بنا أذن ذكر قواعد هذا الدين الاساسية من عقائد ومواعظ لمقارنتها بمثلها ونظائرها نقلا عن الثقات من المؤلفين فنقول!

ذكر المؤلف (جاكو ليوت) بالباب الثامن عشر من كتاب (خرستنا) معبود الهنود ما معناه ان بعض العلماء الأورباويين أخطأوا فيما قالوه عن تعظيم الهنود لأمر النسل واعضاء التناسل حيث زعموا أن تصويرهم للاعضاء وتعظيمهم لها والاحتفال بها في معابدهم وما يحصل منهم من القبائح فوق الازهار والنباتات المنشورة فى المعابد أثناء الاحتفال يدل على أن اعتقادهم فى أمر الخلق والخليقة فاسد وأنهم يقولون بتناكح الارباب فى السماء وأن الكائنات السماوية والارضية تتبع طريقة واحدة فى تولدها وتناسلها وتخلقها .

قال: وهذا الاستنتاج الذي زعمه الباحثون فى غير محله وهذه العادة الهندية هي أصل العوائد التي من قبيلها فى الاديان القديمة وما هي الا رمز وتعبير حسى عن آراء علمية فى مسألة التكوين والخليقة والتناسل لان كتب علمائهم تذكر أن ذات الخالق منزهة عن الجسمية وأنها لا تدرك بالحواس .

قال: أما تعظيمهم لاعضاء التناسل وتصويرها فى المعابد وسائر ما يفعلونه من هذا القبيل فقد اتخذه عنهم قدماء المصريين واليونان وكثير من الامم القديمة كما يشهد بذلك عيد (البالوص) في (مصر) قال واتخاذ الرموز كان عاما عند الامم لتفهيم العوام العقائد وهو كتحفيظ كتب العلوم وتعليقها فى ذهن المشتغلين بالعلم ويؤيد ذلك عادة قدماء المصريين فى تخصيص العلوم بالجماعات ثم نقل ما ذكره (كليمان) الاسكندري في كلامه على احتفال قدماء المصريين بعيد معبودتهم (ازيس) وما كان لكل جماعة من النصيب فى حفظ العلوم وهاك ما قاله (كليمان) :

(فى موكب ايزيس كان الرئيس الذى عليه النشيد يحمل آلة من آلات الطرب رمزا للنشيد والغنا وسفرين فيهما حكمة المعبود عطارد فى أحدهما الاناشيد التي تقال للمعبودات

وفى الثاني أسماء الملوك . ثم يأتى بعد الرئيس العالم المخصوص بعلوم الطالع والنظر فى الزمن وفى يده قصبة الكتابة أى القلم ومزولة رمزا لعلم الفلك . ويشترط فى هذا العالم حفظ أربعة أسفار من أسفار عطارد فى أحدها علم ترتيب الافلاك وفى الثانى مطالع الشمس والفجر وفى الثالث والرابع مطالع الكواكب الاخرى وهيئاتها ثم يأتي خلفه الكاتب المقدس وعلى رأسه الاقلام تقليد الصور المعبود كنيب وفى يده سفر وقصبة كتابة ويشترط فيه أن يكون عالما بالكتابة المستعملة فى النقش والتصوير على الاحجار وعلم وصف الكائنات وسير الشمس والقمر والسيارات وأسماء السنة وثلاثين مديرية ومجرى النيل واستعمال الآلات ثم الزينات المقدسة وأسماء المعابد والمحلات المعظمة والمقاييس والموازين والمكاييل . ثم يأتى خلفه حامل الفرجية ومعه ذراع الحق أو مقياس النيل وقدح فيه الشراب المقدس ويشترط فى هذا العالم أن يكون حافظا للعشرة أسفار الخاصة بالقرابين والاغانى والصلوات والتقدمات والاحتفالات والاعياد

ثم يأتى وراءه النبي حاملا على صدره قلة مكشوفة وخلفه حملة خبز ويشترط فى هذا النبي أن يكون حافظا عشرة أسفار مقدسة حاوية الشريعة وديانة جميع الارباب ونظام القائمين بخدمة الدين . وهذا النبي مكلف برئاسة الاسرار الدينية

فجميع تلك الاسفار اثنان واربعون سفرا منها ستة وثلاثون يحفظها أرباب المناصب من هؤلاء فى صدورهم غيبا . والستة الاسفار الباقية من واجبات الحملة الآخرين وهي تشتمل على علوم الطب وعلم تركيب الجسم البشري والكلام على الامراض ووصف الآلات الطبية واستعمالها والادوية واستعمالها انتهى كلام كليمان الاسكندرى من علماء النصرانية بالجيل الثالث بعد الميلاد .

قال جاكوليوت فأنت ترى مما ذكر أن حفظ العلوم في الصدور كان من طرق المحافظة عليها عند الاقدمين ليتيسر لهم اعادتها الى بطون الاوراق والصحف اذا مد الزمان اليها أيدى الحدثان . انتهى كلام جاكوليوت

أقول أن هذا المؤلف يرمى بكلامه هذا الى بعيد لأنه ينكر النبوات ويقول بوضع جميع العقائد والعبادات ولا يؤمن بشيء منها غير القول بالخالق جل وعلا وهذا شيء لا نتعرض له فيه وانما فى كلامه كثير من الحقائق التاريخية فى موضوع التقليد الدينى وفى الكلام على أقدم الاديان فى العالم فاكتفينا بما نقلناه عنه للدلالة على الباقى

وقال صاحب دائرة المعارف العربية فى شرح الديانة البوذية وما بينها وبين الديانة المسيحية من وجود التشابه :

يقولون ان (صمذي) رأس الحيوة الروحانية وهو يقوم بأربع درجات وهي (١) الاعتقاد بوحدانية الاشياء (يريدون وحدة الوجود) و يميز كل شيء عن الآخر تميزا تاما. وفي هذا الاعتقاد ضمانة وكفالة لنوال الخلاص من الخطيئة (٢) الاعتقاد بجواز استحالة أشياء كثيرة الى شيء واحد مع اللذة في ذلك (٣) عدم المبالاة بالتمييز بالحكم حال كون الشعور والذكر لايزالان عاملين مع شعور ضعيف محسن الحالة الجسدية (٤) الزهد التام وعدم المبالاة وتجريد النفس من كل شعور للذة أو ألم .

وعندهم ان صفاء الذهن والتفكر يوصلان الانسان الى السماء الثامنة والعشرين . ومتى تأمل الانسان لا بد له من الوصول ولا يعوقه عائق . هذا قولهم في الصمذية . ويقولون ان ما وراء السماء الثامنة والعشرين سماء تحجب دون (الترفانا) لايدرون هل هي دار النعيم الازلي أو نهاية (الخلاص) و (الاستحقاق) والخير كله . ويقولون ان ثمرة (صمذى) العلم والاحاطة بكل شيء والقدرة على كل شيء . وهذا هو نهاية (الخلاص)

ويعتقدون أن البوذية أكبر نعمة على العالم لأنها أدخلت جميع الخلق في حكم الخلاص وجمعتهم بالكهنة . وقد كان الناس قبل ذلك محرومين من هذه النعمة الكبرى وهذه العقيدة لها نظير في العقائد المسيحية مع اختلاف أساس الديانتين

(الوصايا البوذية التي جعلت باسم مسيحية)

وقال في ذكر الوصايا البوذية :

وقد أخذ النصارى من تعاليم البوذية قولهم (احبوا أعداءكم واحسنوا الى مسيئكم) وقد علمتهم تجنب الشر ما أمكن الخ

(فصل في ذكر ماحققه المؤرخون الاثريون المتأخرون من ان الملك قسطنطين جمع العلوم والشرائع ومزجها ببعضها)

ذكر العلامة (اوجين ريفيلو) الفرنسي معلم الشرائع في مدرسة لوفر بمدينة باريس في مقدمة كتابه الموسوم (بالعقود في شرائع قدماء المصريين والامم القديمة) مامعناه: ان الشرائع الرومانية تهذبت واتسعت بعد احتكاك الرومان بالامم الشرقية ومعاشرتهم لهم وأن حكام الرومان استفادوا كثيرا من معاشرتهم للشرقيين فأخذوا في تغيير شرائعهم القديمة شيئاً فشيئا مما أستفادوه من شرع الاجانب

قال: وكنا نظن ان التحسين الذي طرأ على أحكام الالواح الاثنى عشر من ابتكار الافكار الرومانية قبل عثورنا على آثار الامم الشرقية كالمصريين والكلدان والسريان وسائر أولاد

سام . ولكن ظهر للناس فيما بعد أن لا فضل لعلماء الرومان فى هذا التحسين بل الفضل كله للشرائع الشرقية التى أخذتها حكام الرومان بعد اطلاعهم عليها

وقد ذكر المؤلف كثيرا من الاحكام التى نقلها ملوك الروم وأمروا الناس بالعمل بها . الى ان قال

ومن ذلك اكرام المعلمين وتشديد العقاب على من يسىء اليهم واعفاؤهم من الحضور أمام الحكام كما يحضر سائر الناس ورفع المغارم عنهم. والذى أمر بذلك هو الامبراطور (قسطنطين) الشهير بحبه للعلوم والمعارف

ومن مآثر هذا الامبراطور ما ذكره عنه العلامة (أوبيرت) المؤرخ الباحث فى علوم الاقدمين حيث يقول ان قدماء الكلدان كانوا يتخذون اشارة مثل اشارة الصليب تماما كما ظهر ذلك من مراجعة كتبهم القديمة العهد جدا وكان اسمه فى لغاتهم (لاباروم) . فلما امر قسطنطين بتصوير علامة الصليب على الاعلام والبنود أطلق عليها اسم (لاباروم) كما هو فى لغة قدماء الكلدان مع التقليد الاصلى . ولم يغير شكله القديم الذى وجد مصورا على صدور ملوك السريان .

ومعنى (لاباروم) باللغة السريانية الازل والقدم والسرمد كما أن الصليب المصري القديم ذي الحلقة المصور على حيطان معبد (سرابيوم) وكان سببا فى تغيير ديانة كثير من الخلق فى عهد (تيوفيل) كان رمزا الى الحياة . انتهى

فمن ذلك يظهر لك جليا أن الحاكم الرومانى الذي اتخذ الديانة المسيحية واكره الناس على اتباعها والعمل بها وتعليم عقائدها للاهالي وانتشارها فى جميع البلدان الخاضعة لحكم الرومان أخذ هذا الدين من علوم الشرقيين وخصوصا من علوم البابليين الصابئة الذين كانوا يعتقدون فى رب الشمس والنور والحرارة ويقولون بالمخلص الذى يظهر لتخليص النور من الظلام والخير من الشر

(فصل فى ذكر اقرب الاديان المجوسية الى ديانة الروم وقت ظهور المسيحية)

قال صاحب دائرة المعارف الفرنسية في تعريف ديانة الرب (مهر) : الرب (مهر) من معبودات الهنود وله ذكر فى كتاب الحق المقدس الهندي وهو اسم معبود الايرانيين ووارد ذكره فى الديانة (المزدية) وربما كان المعبودان فى الديانتين ذاتا واحدة فى الاصل الا أن الذات التي اشتهرت عبادتها فى العالم شهرة واسعة هى ذات الرب (مهر) المزدى

(تعريف مهر فى دين قدماء الفرس)

(مهر) و(اهرمن) و (اناهيتا) عبارة عن الذوات الثلاثة التي تتألف منها الذات الالهيه فى ديانة ملوك دولة الفرس الاولى الذين اشتهروا بانقاذ بلادهم من حكم (المادين وقد ورد ذكر هذا المعبود فى كثير من كتب الدين القديم وفي كتب قدماء مؤرخي (الاغريق) ذكرا يدل على قدم عبادته و كثرة انتشارها وعظيم شأنها .

وهو الذى نسب اليه الشهر المسمى باسمه (مهر) ويه يحتفلون بعيد احتفالا عظيما جدا وقد يحتفلون به لغاية الآن فى بلاد العجم بعد ظهور الاسلام ويسمون عيده عيد المهرجان)

وهو في عقيدتهم عبارة عن نور الشمس ونور القمر وسائر النجوم ذلك النور الذى تصدر منه الحياة والخصبة وكل شيىء خير وطيب فى عقيدتهم (نور السموات والارض)

وقد ورد وصف طبيعته فى كتب الزردشتية بأنه النور المطلع على كل شيىء وأنه عنوان الحقيقة . فهو ذات الحق المطلع بنور بصيرته على أحوال الكائنات الظاهرة والباطنة وهو خير الشاهدين المطلع على حال الموفين بالعقود والناكثين لها والمنتقم ممن يحيدون عن طريق (نور) أى عن طريق الحق ورب الحق وذات الحق

(فى انتشار ديانة مهر فى العالم)

لما ظهرت عقائد (زرد شهت) في بلاد الفرس تغلبت على دين (مهر) في بلاده ألا أن دينه كان انتشر في بلاد الامم السامية والاغريقية واللاطينية وحل محل عبادة (اهرمن) وغيره من الأرباب الذين كانوا معتقدين وقت انتشاره وظهر في البلاد الغربية من بلاد العجم ديانة (مهروية) داخلها شئ من العقائد غير الفارسية الاصلية . ولما توغل الفاتحون من العجم فى أسيا اتبعهم رؤساء الدين الفارسى ونشروا عقائدهم في البلاد التي حلوابها . فدخلت فى بلاد الموصل عبادة (مهر) وامتزجت بعبادة (اناهيتا) امتزاجا كليا حتى أن بعض المؤرخين غير العالمين بأصل الديانتين يظنون أن المعبودين من دين واحد سرياني الاصل . وقد اقيم لمهرا معبد فى مدينة بابل وعندما دخل الرومان بلاد الكلدان وجدوا الكلدان يقصدون تلك البلاد للتبرك والحج باعتبار أنها الارض المقدسة عند عبدة (مهر)

وكذلك اشتهرت عبادة (مهر) فى بلاد (الارمن) وفى بلاد (كبدوش) وبلاد (القوط) حتى اتخذ ملوك اسيا الصغرى القابا معظمة انتسبوا بها للرب مهر تعظيما لشأنهم — ولعل لقب (مهران) من تلك الاسماء (كقول ملوك العرب عبد شمس وقول ملوك الفراعنة رعمسيس) ومن بلاد أسيا الصغرى سرت عبادة (مهر) الى بلاد اليونان ثم الى بلاد الشام ثم الى

مصر وهكذا . وقد عرف الرومان عبادة مهر بعد تغلبهم واختلاطهم بأهالي تلك البلاد فسرت الى بلادهم وتأصلت وصارت من الاديان المعتبرة . ذكر المؤرخ (تلوطرخس) أن جماعة الملاحين اتخذوا عبادة الرب (مهر) واشهروها فى جبال (اوليا) المقدسة عند اليونان ومن ذلك ظن المؤرخون أن هؤلاء البحارة هم الذين أشاعوا هذا الدين فى بلاد المملكة الرومانية

والظاهر أن هذا القول ضعيف ولكن على كل حال قد حصل ان هذه الديانة اشتهرت فى مملكة الرومان قبل التاريخ الذي اصطلحوا على جعله ميلاد المسيح عيسى بن مريم بنحو مائة سنه تقريبا

واول ظهورها فى الهيئة الحاكمة الرومانية كان على يد العساكر والجنود المجموعة من اطراف المملكة : واشهر المعابد التي اتخذت لهذه العباده كانت بالبلاد الغراقية على نهر الطونة وشواطىء نهر الرين وفى اقليم بريطانيا من فرنسا وغيرها. وزاد اشتهار هذه العبادة في عصر الامبراطور (طرخان) من كثرة العبيد والاسرى الذين وقعوا في حروباته فكانوا كرسل لنشر هذه الديانة فى جميع البلدان التى وجدوا بها . ومن العامة انتقلت عقائده الى الخاصة شيئا فشيئا حتى صار من الاديان المعظمة وزاد تعظيمه بدخول الامبراطور (قومود) فيه وبصدور الأوامر باتباعه رسخ وقوى . وصار دين المملكة من العامة للخاصة بعد ظهور المسيحية حتى بعد أن اختار الملك قسطنطين دين المسيحية وأمر الناس باتباعها والخروج من دين (مهر) وترك سائر الاديان المخالفة للمسيحية اليهودية .

أما اعتقاد الامم فى (مهر) فكان محشوا بعقائد سائر الارباب القديمة عند الامم التي اتخذتها ودخلت في دينه . فكل جماعة دخلوا ديانة مهر كانوا يصبغونها بصبغة معبوداتهم وعقائدهم القديمة

فلذلك نجد لهذا الرب فى كل بلد معجزات وخوارق وقصصا كالتي عن سائر الارباب المشهورين فى العالم فبعضهم كان يقول انه مولود من قرآن الرب (اهرمزدة) بوالدته . وبعضهم كان يقول انه مولود من صخرة مباركة . وآخرون أنه امر الصخر والاحجار بأن يلدوا فولدوا ومن معجزاته انه رمى صخرة بقوس فنبع منها ماء الخ

ومن اشهر التماثيل التي وجد الباحثون الرب مهرا مصورا بها صورته وهو واقف وبيده سكين وبيده الاخرى تبعث نور الشمس على رأس ذات ساجدة بين يديه وتفسيرذلك ان الساجد هو الشمس ومهر ربها يفيض عليها النور

ومن الرموز المصورة على تماثيله ما تعبيره انه صاد ثورا وركبه وذبحه فى المغارة

المقدسة بمشاهدة غراب مرسل من قبل الشمس . والسبب فى تصوير ذلك هو أن عقيدة الزدية مؤسسة على القول بأن الثور هو أول المخلوقات التي خلقها (اهرمزد) وان ذبح الثور هو أصل الخليقة وان النباتات أصلها من جسده وأن الحيوانات خلقت من جسده ولكن بعد أن طهرها القمر . وبقية الصورة التى فى التمثال المذكور مرسوم عليها عقرب رمز الى (اهرمن) أي الشيطان وهو يحاول منع ذبح الثور لكى لايتم القربان . فيلدغ الثور فى خصيته . ولكن لدغه لايأتي بفائدة حيث يذبح (مهر) القربان فيسيل من جسد الثور الدم ويشرب منه الكلب والثعبان . ولايخفى أن هذه العقيده كانت عامة فى ديانة عبدة الكواكب حيث زعموا أن اصل الخليقة من دم القربان الذي خلق اولا وذبح بعد حرب الثور مع الظلام والصلح الذي اعقبه هلاك المخلوقات التي كانت على وجه الارض وتجديدها من دم ثور ودم (ريباس) . ومن ذلك ماكان يقال عن الرب (اريسته) ابن الشمس انه ابعد الطاعون عن اهل (سيوس) بقربان ذكر المؤرخ (ميرجيل) أنه كان ثورا . ومن عقائد دين (مهر) انه الخلاق وأن خلاص العالم سيكون على يده وانه سيقدم عجلا قربانا للخلاص وفداء للخلق وانه هو الذى يبعث من فى القبور ويدخل الناس الدار الآخرة ويشفع ويغفر وهكذا . ومما وجد مصورا فى مغارة (مهر) المخصصة لعبادته صورة اناء ماء رمزا الى الرطوبة وصورة أسد رمزا الى النار وصورة ثعبان رمزا الى الارض وهكذا أما اعياده فاعظمها عيد ميلاده الواقع فى ٢٥ ديسمبر وبقية الاعياد مجهولة الاصل والتاريخ . والمعابد التي كان يعبدنها عبارة عن مغارات فيها صورة (مهر) وهيئة ذبح الثور وحوض لنزول الدم واحواض فيها مياه مقدسة . والصلوات عبارة عن دعوات وخشوع بارشاد اصحاب الوظائف المخصصين لخدمة العبادة والارشاد فى المعابد اما خارج المعابد فكان يوجد موظفون آخرون لأداء الرسوم والقيام بفرائض الدين المهروى فى الجنازات والمآتم وغيرها . ولهم درجات ورتب مختلفة . وحاصل القول أن الدين المهروى وعلومه وطقوسه وعباداته تكاد تكون عبارة عن الديانة المسيحية النصرانية من كل وجه . ولما ظهرت وجوه الشبه للناس بين الديانتين فى الجيل الثالث بعد تاريخ ميلاد المسيح ارتابوا ودخلهم الشك فى المسيحية . فلذلك كان رجال الدين المسيحى يقولون لهم ان هذا من فعل الشيطان خوفا على خروجهم من دينهم ومنعا لتفضيلهم دين مهر على المسيحية اما أسباب المشابهة بين الديانتين طبيعية لأن المروجين للديانتين من بلاد واحدة ومن جنس واحد واحوالهم واميالهم واحدة من اصل الفطرة واختلاطهم فى المعيشة والمعاملات واطلاعهم على افكار وعلوم بعضهم . فكانوا اذا استحسن بعضهم شيأ من

دين الآخرين أضافه على دينه وعلمه لاتباعه حتى اختلط الدينان ببعضهما وصارا كأنهما دين واحد (انتهى ملخصا من دائرة المعارف الفرنسية)

(فصل فى ذكر ما اتخذه الروم من الاعياد المجوسية الفرسية)

(نقلا عن دائرة المعارف الفرنسية)

كان قدماء الفرس فى آخر السنة يقدمون قرابين عظيمة لطالب الغفران والرحمة في الشهر الذي يوافق شهر فبراير في حساب الاوروباويين وعيدهم هذا يشبه العيد الذي اتخذه الرومان فى مثل ذلك الوقت لزيارة الاموات . وقد حافظت الفرس الثانية (الدولة الفارسية الثانية) على الاعياد التي اتخذها اسلافهم على حساب حركة الشمس . وتلك الاعياد موفقة على تقدير ان السنة ستة فصول وان لكل فصل عيدا ولايام الكبس عيدا خاصا بالارواح . وأكبر تلك الاعياد أربعة مجعولة لاحوال الشمس فى الاعتدال والانتقالات ومدة كل عيد منها ستة أيام . أما أعياد الفصول الستة فكانت تمكث خمسة أيام وينسب كل عيد منها الى رب ومعبود من معبوداتهم كالاعياد الرومانية التي يطلق عليها اسم الخماسية . فمنها عيد تعظيم النار . وعيد انتصار (ايران) على (توران) . وانتصار افريدون على الضحاك . وعيد الفتك بالشياطين . وعيد الكروم . وعيد (البو) الذى كان عبارة عن احتفال سخرى بصورة متخذة على هيئة انسان راكب على برميل . وهذا العيد يشبه عيد المسخرة (الكرنفال) الذى يحتفل به الاوروباويون فرحا بدخولهم في الصوم . ثم عيد الاموات الذى كان يقع فى أوائل شهر نوفمبر

وقد كان لهذه الاعياد الفارسية دخل عظيم فى أعياد الامم المجاورة لهم . ولما انتشرت ديانة الرب (مهر) الفارسى فى بلاد آسيا الصغرى انتقلت منها بأعياده الى جميع البلاد التابعة لمملكة الرومان .

وأكبر الاعياد فى هذا الدين كان عيد ميلاد (رب الشمس) الموافق الآن لعيد ميلاد المسيح عند النصارى الاوروباويين الواقع فى الخامس والعشرين من شهر دسمبر .

وقد كان هذا العيد معظما فى جميع البلاد الشرقية والغربية الى أن استبدل بعيد ميلاد المسيح . ولا يخفى ان معظم الاعياد النصرانية أصلها أعياد فارسية قديمة . الخ

مطاردة النصرانية للاسلام

يدهش المرء أيما دهشة اذا رمى بنظره الى تلك الحرب الهائلة التى يقيمها المبشرون بالنصرانية على الدول الاسلامية وتزيد دهشته وحيرته اذا علم بما تبذله جمعيات التبشير من الهمة فى تنصير المسلمين وما تتخذه من الوسائل المتنوعة للوصول الى غايتها الخطيرة

ولقد بلغ من شدة الثقة فى نجاح تلك الجمعيات ان القائمين بالامر فيها ينشرون كتباً ضخمة فى نتائج أعمالهم ويظهرون للعالم النصرانى انهم لا يدعون وسيلة من وسائل تنصير المسلمين الا اتوها حتى انهم اعتبروا الاشتغال بتنصير المجوس والوثنيين وغيرهم من أصحاب الاديان الاخرى انما هو اشتغال بالعبث فى جانب تنصير المسلمين وبرهنوا على ذلك بان الخطر الاسلامى هو العامل الوحيد فى انشاء تلك الجمعيات النصرانية فيجب ان يكون له من العناية ما يستحقه ولو ادى ذلك الى ترك الاشتغال بكل شئ غيره

ترى تلك الجمعيات النصرانية ان الاسلام هو الخطر الهائل ولذلك فهى تنشر فى أقطاره مبشريها وقساوستها مزودين بالمال محملين بالكتب معضدين بالحكومات المحلية والقنصليات المختلفة

ترسلهم ليستميلوا الضعيف ويخلبوا عقل المرأة والصغير ويفسدوا على الناس ابناءهم وبناتهم فى مدارسهم النصرانية

ترسلهم لينشئوا المستشفيات المجانية فيظهروا للناس فى لبوس الملائكة الذين يرسلهم الله لانقاذ الانسان من الامراض والعاهات حتى اذا ما خلوا

به وسوسوا اليه ان الذى ارسلهم واسمعهم صوته الشريف انما هو المسيح

ترساهم لينشئوا النوادى الادبية فيجتمع اليهم المسلم الاديب والحقوقى الباحث والطبيب النطاسي والمهندس البارع والتلميذ المجتهد ويسمعوا من النكات الظريفة والملح اللطيفة ما يروق الاسماع ويسترق القلوب لمن موضوع ادبى الى غناء شعرى ومن فكاهات وملح الى طرائف غريبة وتحف حتى اذا طاب للقوم المقام ولذلهم استماع الكلام قام أولئك القسيسين يصلون صلاتهم النصرانية ! ! فمن كان من الحاضرين نصرانيا اشترك فى الصلاة معهم ومن كان مسلما قضى عليه الذوق وحتمت علية اللياقة ان يراعى احساسهم فيقوم واقفاً على قدميه اجلالا وإعظاما

بعد انقضاء الصلاة وتأدية مراسمها (أمام المسلمين) وقبل انصراف الجمع من ذلك النادى الادبى يذهب كل من حضر الى (البوفيه)

وهناك يجد من أنواع المطاعم والمشارب ما يستهوى القلوب ويحبب الى العودة ! ! فيأخذوا القوم ما شاءوا بغير حساب جزاء لهم على احترامهم للصلاة وموافقتهم على عملها وتحبيباً لهم فى أهل هذا النادى وفى جميع ما يفعلون ومن ذلك (الدين النصرانى) . لم تقتصر تلك الجمعيات على ذلك فى استهواء الانشدة الى الدين النصرانى ومطاردة الاسلام أينما حل بل ذهبت فى السعي الى أكثر من هذا

أرسلت مبشريها الى القرى الصغيرة حيث يقيم الفلاح المسلم ومعه امرأته وأولاده فى راحة بال وهناء من العيش ومع تلك المبشرة أو المبشر أحمال من الكتب المقدسة وغيرها من كتب النصرانية ينثرها على القوم نثر التراب فيأخذها الريح الى حيث لا يعلم لها قرار ولا صلاح . الا أن عزائم

أولئك القوم لم تضعف بعد. بل يتجدد عندهم الامل فى كل يوم بأن يتنصر المسلمون ويكونوا عبدة المسيح. والذى يحرج الصدور ويستفز غضب الحليم ان بعض المدارس النصرانية التابعة لملك الجمعية تختطف أولاد المسلمين من أهلهم اختطافا بين سمع الامة وبصرها فتغير أسماءهم بأسماء نصرانية حتى اذا سأل والد التلميذ عن ابنه باسمه الحقيقى لم يعرفوه به وأنكروا أن عندهم شخصاً بهذا الاسم. وقد حدثت هذه الواقعة مراراً وآخر ما اتصل بنا من نوعها كان فى مدينة الزقازيق

بمثل هذه الطرق تطارد النصرانية الاسلام ويظن القائمون بهذا الامر أنهم ينصرون دينهم ويرفعون من قدره بما يأتون من الاعمال الصبيانية فى مطاردة الاسلام. ويظهر لى أنهم وجدوا النقود وحدها لا تكفى فى شراء دين المسلم منه فصرح رئيسهم فى كتابه الذى نشره أخيراً والذى عربت منه بعض الجرائد نبذاً بأنه لا بد للمبشرين من قوة يلجأون اليها اذا اعترضهم عائق فى تنصير المسلمين. ولا أظن تلك العوائق الا تمسك المسلم بدينه الحق وعدم اصغائه الى خرافات المبشرين بالنصرانية الذين يملأون المدينة سعياً وراء تنصير جاهل من جهلاء المسلمين وما هم بفائزين

يقول الله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى)

ويقرر الاسلام هذه القاعدة العمرانية العالية واثقاً أن الاسلام دين الفطرة وأنه كالشمس فى رائعة النهار لا تكسف نوره السحب ولا تحجبه عن أعين العقلاء ظلمات التشكيك والخلط. لذلك وكل الى عقل العقلاء أمره ولم يجبرهم على الأخذ به كما أنه حببهم اليه ولفتهم الى معانيه الواضحة وأوامره الصالحة

ولو كان الاسلام دين عسف وجور لما بقي من أهل أوربا الآن من يجرأ على مناوأته ومطاردته بمثل هذه الوقاحة واللصوصية

نعم ولو لا الاسلام لبقيت أوربا الآن فى ظلمات الهمجية والوحشية وان كانت هى الآن على تمدينها أقرب الى تلك المرتبة المنحطة

أنا لا أدرى ما الذى صنعه الاسلام من القبيح مع أوربا حتى قامت فى هذا القرن تناصبه العداء وتقف له كل مرصد بل ما ذا عمل المسلمون حتي يكونوا عرضة لسهام أوربا المسيحية وعدوانها

لو عدت أوربا من جناية الاسلام عليها ان أخرجها من طور البهيمية ومنّ عليها بالعلوم الفلسفية والطبية والهندسية والدينية لكان ذلك مما يحير الالباب

ولو عدت من جناياته عليها ان عرفها كيف تحارب الاعداء وتصون دم الاحياء وترفع عنها ثقل العبودية وتخرج من نير الاستبداد الى نعيم الحرية لكان ذلك غاية العجب

اذاً فماذا تحفظ أوربا للاسلام غير هذه المنح والمواهب حتى يقوم أهلها عن بكرة أبيهم باذلين أموالهم حابسين على مطاردته نفوسهم

لقد دفع الغرور أهل أوربا المسيحية الى أنواع من المنكرات يستنكف الادنياء أن يأتوا بها فان الاسلام فى ابان عزه ومجده وفى أيام عظمته وقوته قد حافظ على نفوس النصارى واعتبرهم أهل ذمة لهم ما لنا وعليهم ما علينا وكان فى وسعه وقتئذ ألاّ يكون فى الارض نصرانى ولا يهودى فكان جزاؤه منهم بعد حبه لهم والحنو عليهم ما نراه اليوم من المضايقة

والمعاكسة والاجتراء على الاسلام والمسلمين ساداتهم من قبل وألوا الفضل والنعمة عليهم وعلى آبائهم

من ذا الذى كان يظن أن نصرانياً مشوش العقيدة زائغ العقل مخلوط الفكر يتقدم الى مسلم موحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ثم يجعل يهمس له بأن دينه باطل وان النصرانية خير منه وأقوم ؟؟

بل من ذا الذى يصبر على أن يكون فى بلاد اسلامية كمصر قوم يضللون عقائد العامة ويفتنونهم عن دينهم الحق تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب وآونة بالاغتصاب والسرقة ؟؟

هل كان يخطر على فكر المسلمين فى العصر الاول هذه الحال السيئة وهذا المآل الشنيع وهل كان يخطر على بال المصريين أنفسهم أن يكون بين ظهرانيهم من المجلات النصرانية ما تطفح صحفه بالسب فى دين الاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ؟؟

ان ذلك أمر لم يكن فى الحسبان ولكن الايام سترينا أكثر من هذا ما دمنا مسلمين بالقول فقط

ان الدول الأوربية تعتبر كل مستعمرة لها ربحاً للنصرانية . ولئن استفادت الدول الأوربية من مستعمراتها شيئاً فانما ذلك أمر ثانوى بالنسبة الى ما تستفيده الكنيسة من بث العقائد النصرانية بين سكان تلك المستعمرة وخصوصاً المسلمين منهم

ومعلوم أن الحكومة لا تستقر فى مملكة تخالف عقائد الاهالى فيها عقائد الرؤساء ما دام الاهالى متمسكين بدينهم حق التمسك ولذلك فالحكومة تحتاج الى أهل الكهنوت ليكونوا عونا لها على تثبيت قدمها

بنشر النصرانية . فالحكومة والكنيسة قوتان متساندتان هذه تساعد تلك وكلتاهما تسعى الى نشر النصرانيـة اما قصداً واما وسيلة . على هذه القاعدة جرت فرنسا في مستعمراتها الافريقية وبهـذه الطريقة تجري في كل مستعمراتها التي يسكنها المسلمون ولذلك فهي ترتكب من الفظائع في انتهاك حرمة الاسـلام وأما كنه ما يوقظ في المسلمين الحمية الدينية ويذبهم الى أنهم محكومون بأمة نصرانية تسعى في القبض على رقابهم بكل وسيلة تراها ناجحة وقد ارتأت أنه لا يخضع للنصراني الا النصراني فسعت في تنصيرهم أو على الاقل سعت في جرح احساسهم الديني وانشاء طائفـة من أبنائهم على ما تريد هي من التعاليم والعقائد فجرت على نفسها الوبال الوبيل

أما غير فرنسا من الدول الكبيرة الحاكمة لعدد عظيم من المسلمين فقد رأت ان خير طريق لتثبيت قدمها في مستعمراتها ان تحافظ على معتقدات المسلمين فيها . وليس ذلك منها حبا في المسلمين أو عملا بواجب ترك الحرية الدينية بل هو ما تحتمه السياسة وتقتضيه الظروف الملجئة . وذلك بأن يكون المسلمون في تلك المستعمرة هم الاقلية الجاهلة التي لا تعنى بمصلحة الاكثرية المستنيرة بل قد تخلق المشاكل الدينية الواهيـة جريا وراء الدسائس ورغبة في الشر أو سذاجة وعمى في البصائر والابصار فترك الحرية للمسلمين يحببهم في حكم تلك المملكة الاجنبية النصرانيـة خصوصا اذا علمنا ان منهم أهل المناصب العالية والمراتب الفخمة . وهذا الحب الاعمى له نتيجة خطيرة تلاحظها تلك الدولة في كل ساعة ودقيقة تلك النتيجة ألاّ تقوم للمستعمرة قائمة مادام كل من الفريقـين سيء الظن بالآخر وما دامت الاقليـة شرهة جاهلة والاكثرية وحدها غير قادرة

يدلنا على ذلك ان الحرية الدينية التى يتمتع بها سكان تلك المستعمرة الكبيرة لا تتعدى المباحث الدينية البحتة فاذا خرجت منها الى السياسة كان ذلك هو الشر والبلاء . هنالك تسلب تلك الحرية منهم ويحرمون من لذتها الموهومة ثم ينقلبون على عقبهم وقد خسروا الدنيا والآخرة فلاهم حافظوا على صداقة مواطنيهم فكانوا لهم عونا على العدو المغتصب ولاهم انتفعوا بتلك الحرية الموهومة فى اصلاح بلادهم الذى هو أساس لاصلاح دينهم

على ان تلك الدولة العظيمة لم تقصر فى نشر القسس والمبشرين فى انحاء المستعمرة ولم تأل جهداً فى تنصير المسلمين وغيرهم من أهل الاديان الاخرى كالبوذية والبرهمية.وكانت نتيجة هذه المساعى الكبيرة ان تنصر خمسة أو ستة من المسلمين الهنود وكان منهم أكبر مبشر مسيحى !!!!

وقد أعمى الجهل والغرض السىء شيخاً من مشايخ السوريين فذهب الى الهند كمبشر انجليزى وكانت وظيفته ان ساعد على تمكين تلك الفكرة الخبيثة التى دبت فى عقول الاقلية الهندية فزاد بذلك سخط المسلمين عليه وانكشفت نواياه السيئة وأغراضه الخبيثة وكان أولى له ان يخدم الاسلام باظهار الحقيقة ولكنه أبى الا أن يرجع الى أصله وينمى الى طينته فيخدم الاغراض والاهواء النفسية

كان حقا عليه لو كان مسلما ان ينظر نظرة بسيطة الى هذه الحال السيئة التى أصبح المسلمون يشكون منها وهى تحكم الاجانب فيهم ومراودتهم عن دينهم فيسعى فى تخليصهم من ربقتهم ثم يسعى الى اصلاح الفاسد من الدين والاخلاق

اذ كيف ينمو الدين وهو مضايق بالحكومة أولا وبالمبشرين بالنصرانية

ثانيا والمرء بينهما لا يستطيع حراكا ؟ فاذا تخلص المرء من نير الاجانب استطاع ان يزيل الكابوس الآخر (المبشرون) بمنعهم من دخول بلاده . وكيف لمن بمصر مثلا ان يمنع هؤلاء اللصوص وليس له من الامر شيء ؟ حتى في نفسه فضلا عن غيره ؟؟

اللهم تدارك برحمتك المسلمين وأنلهم طريق الهدى والنجاح

بقي ان نبحث فيما يجب على المسلمين ازاء هذه المطاردة العفينة من دول أوربا جمعاء وازاء هذا الخطر السريع الذى يحمله الينا المبشرون المسيحيون

(١) يجب ان يعلم كل مسلم يغار على دينه ان مدارس الفرنج هى مدارس دينية قبل كل شيء وان مدارس الفرير والجزويت وسنمارى وغيرها كل تلك المدارس تعلم الصغار من المسلمين التعود على مشاهدة الصلاة المسيحية والتعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر — فالمدارس الاهلية كثيرة وناقص سليم العاقبة خير من تام وخيم العاقبة ولنسع فى اصلاح مدارسنا لنستغني عن مدارس الفرنج

(٢) من الواجب على كل مسلم ان يحتاط لنفسه عند دخول المستشفيات الاوربية فانها كنائس وأطباؤها قسس وخدامها كهنة

(٣) المسلم الذى يغار على دينه يجب ألاّ يذهب بأبنته الى مدرسة افرنجية فان شعور البنات ارق من شعور الرجال والفتنة فيهن اسرع

(٤) يجب على كل مسلم ان يتشدد فى التمسك بدينه فان قليل التهاون مدعاة الي كثيره وذلك مدرجة الى الفتنة ومزلق من مزالق الايمان والعياذ بالله. وليكن كل مسلم فى المحافظة على دينه وصلاته وعوائد قومه بحيث يكون ممثلا للمسلم الحقيقي الذى يتخذ منه النصراني انموذجاً للكمال فربما هداه الله الى الاسلام .

(٥) يجب على كل تلميذ مسلم اذا ذهب الى بلده فى المسامحة ان ينذر أهله واهل بلده من المبشرين بالمسيحية وان يدعوهم الى طردهم اورفع أمرهم الى الحكومة والالحاح في طردهم

(٦) يجب ألاّ يصغى المرء الى كلام دعاة السوء وعبدة الشيطان والاهواء من المخرفين الذين يزعمون انهم طبيعيون فانهم قوم تخبطوا فكانوا ضالين عن الدين وعن العقل بل هم قوم أرادوا ان يخلقوا لهم عذرا فى التهتك بالمعاصى فادعوا انهم طبيعيون خروجا من انتقاد قومهم وماعلموا ان عذرهم أقبح من ذنبهم . وانى اختم هذه المقالة بكلمة الى المسلمين علها تصادف منهم أذنا صاغية وقلبا واعيا

ذلك انه لا خير فى الامة ولا رجاء فى صلاحها اذا هى لم تحافظ على دينها وتذود عن حوضه وتتخذ الوسائل لصيانة ابنائها من عبث العابثين وكيد المفسدين

وانى أرى خير وسيلة لهذه المحافظة ان يخرج المسلمون أبناءهم من المدارس المسيحية التى تعلم الاطفال فانها خطر كبير على الدين بل هي انما أنشئت لتنصير المسلمين ثم أنصح للمتفرنجين من أبناء المسلمين ان يدعوا هذا التفرنج فان مضاره على الدين أكثر من مضار الحشيش على العقل السليم . وانى أعجب كيف يستحل المرء ان يترك عادات قومه وأوامر دينه ثم يرجو منه أصحاب دين آخر وعادات أخرى شيئاً من الفائدة . الا أنه اذا فقدت من المرء المحبة لقومه ودينه وعاداته فاولى به ان يرمى بنفسه فى البحر فانه لا خير لاحد فيه بعد ذلك وان نظرة واحدة فى أولئك المتفرنجين تكفى للحكم

قطعاً بأنهم قوم ممن قال الله فيهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة)

ولو ان هؤلاء المتفرنجين قلدوا الفرنج فى حسناتهم لهان الامر وقل الخطر ولكنى لا أراهم يقلدونهم الا في النقائص ولا يجرون معهم الا في ميدان اللذات البهيمية والاغراض الشيطانية فأما ماعدا ذلك من الحسنات فهم عنه بمعزل. فلو أنهم قلدوهم فى حب الدين . فى التمسك بالعادات القومية . في حب الوطن وتقديسه . لقلنا أنهم استفادوا مايزيدهم فى قومهم حبا ولوطنهم خدمة ولدينهم انتشارا ورفعة

ان الفرنج قد قاموا قيام رجل واحد يبذلون المال عن سخاء لارسال المبشرين الى الاقطار الاسلامية فهلا اقتدى بهم فى ذلك المتفرنجون الذين يعدون متابعتهم أحق بالتقديم من كل شيء ؟؟

اذاً لرأينا الاسلام ينشر جناحيه على أهل أوروبا بما فيه من الحكمة المعقولة والمبادىء الصحيحة والاغراض الجميلة والعقبى الصالحة

اذاً لما صرنا الى ما نحن فيه من المطاردة العنيفة والمضايقة فى كل مكان حتى فى منازلنا وبين أهلنا وأولادنا

اذاً لكان كل مسلم مبشراً اسلاميا يجتهد أن يعرّف القسيس النصرانى المسكين حقيقة حاله ويشفق عليه ويدعوه الى الاسلام ليقضي بقية حياته سعيداً بما سيكون له عند ربه وبما يفعله من ارضاء العقل والفطرة باسلامه

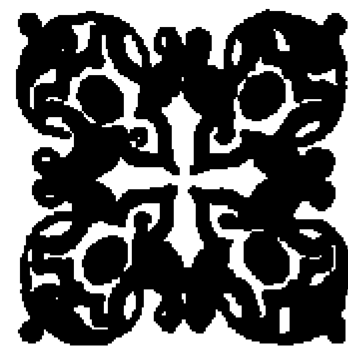
غير ان نحس الطالع قضى بأن يتولى مدرسة (الدعوى) والارشاد قوم ذووا أغراض شخصية ومقاصد خبيثة خفية يسوقهم الى الشر

سياسيون يعرفونله كيف يستفيدون من غفلتهم ان كانو غافلين وينتفعون بخبثهم ان كانوا خبثاء ماكرين

فانه لا يقدم على هذا المشروع المحوط بالشكوك والريب والمملوء بالاغراض والشبه والمغضوب عليه من دار الخلافة الاسلامية صانها الله الا خبيث يريد التضليل أو غرّ جاهل لا يدرى أين يسير

على ان الله قد فضح مقاصد صاحبه فى رحلته الاخيرة وانكشف بها بعض ماخبأه من الغايات والمقاصد وسيظهر المستقبل ان رضيت الامة بالابقاء على هذه المدرسة ما يحقق للناس ان الباطل لا تظهر عليه الشمس حتى تطيره كما تطير الندى والسلام على من سمع القول فاتبع الهدى

(متعلم)



أسئلة وأجوبتها

حضرة الاستاذ منشئ الهداية

نرجو من حضرتكم الاجابة على الاسئلة الآتية

(١) ما هى الادلة التى بنيتم رأيكم عليها فى طلاق الغضبان وهل هو مذهب أحد من الائمة المشهورين

(٢) ما معنى الكلمة الطيبة التى جاء ذكرها فى سورة ابراهيم

(٣) هل المرأة مكلفة شرعا بخدمة زوجها من نحو طبيخ وغسيل ونظافة منزل .... الخ أم الزوج مكلف بذلك

(٤) من هم الذين لا يقدرون على الصيام وتجب عليهم الفدية

(٥) ما الذى وصلت اليه جمعية أم القرى وهل ظهر لها مطبوعات غير محاضر جلساتها التى نشرت فى سنة ١٣١٦ هجرية

محمد عبد العزيز

بالسودان

(الهداية) (١) يدل على عدم وقوع طلاق الغضبان ما روى عن عائشة رضى الله عنها لا طلاق فى اغلاق قال الامام أحمد الاغلاق الغضب وكذلك فسره أبو داود وهو قول القاضى اسماعيل بن اسحاق أحد أئمة المالكية وقد فسره بذلك أيضاً مسروق والشافعي فهذا مسروق والشافعى

وأحمد وأبو داود والقاضى اسماعيل قد فسروا الاغلاق بالغضب وهو من أحسن التفسير لان الغضبان قد أغلق عليه باب القصد بشدة غضبه . ولقد قال بعدم وقوع طلاق الغضبان علىّ وابن عباس

(٢) قال بعض المفسرين ان المراد بالكلمة الطيبة الايمان بالله وانما مثله بالشجرة لان الشجرة لا تستحق أن تسمى شجرة الا بثلاثة أمور عرق راسخ واصل قائم وأغصان عالية كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أمور معرفة القلب واقرار اللسان وعمل البدن

وقال بعض المفسرين نقلا عن ابن عباس ان المراد بالكلمة الطيبة قول لا اله الا الله لانها منشأ كل عمل صالح فهى كالشجرة الطيبة التى تخرج الثمار الطيبة

والظاهر أن المراد بالكلمة الطيبة كل كلمة حسنة فيشمل ما تقدم وغيره

(٣) لا تكلف المرأة شرعا بشئ من الطبخ والغسل ونحوهما بل الزوج وحده هو المكلف بذلك فهو مكلف بنفقات زوجته واعداد مايلزم لخدمتها وتكليفها بشئ مما تقدم ينافى مالها من الحقوق بل يزيدها واجبات لم يكلفها بها الشرع غير أن واجب المجاملة والمحاسنة يقضى بأن يتسامح الزوجان فى المعاملة والمعاشرة فكما أن الزوج قد يزيد فى مقدار النفقة ويوسع على عياله بما لا يلزمه به الشرع كذلك الزوجة قد تسامح فتقوم لزوجها بما يلزمه من طبخ وغسل ونحو ذلك

(٤) قد اختلف العلماء فى تعيين من تجب عليه الفدية اذا لم يقدر على الصوم فذهب بعضهم الى أنه الشيخ والشيخة لا يستطيعان أن يصوما وزاد

بعضهم عليهما الحامل والمرضع اذا خافتا على الرضيع والجنين (١)

(ء) هذه الجمعية خيالية كان يقصد بها صاحبها الشيخ عبد الرحمن الكواكبي وضع نظام اسلامي على مثل ما تخيله لينبه المسلمين الى واجبهم نحو دينهم وما دخله من البدع والسعي في تطهيره منها

*
* *

حضرة الاستاذ منشيء الهداية

ما رأيكم فيمن طلق امرأته ثلاثا بلفظ واحد

(الهداية) كان المطلق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي زمن خليفته أبي بكر وفي صدر من خلافة عمر اذا جمع الثلاث بفم واحد جعلت واحدة كما ثبت ذلك في الصحيح فقد روى مسلم في صحيحه عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وثلاث سنين من خلافة عمر لا يقع الا واحدة ولقد روى ذلك الحديث أيضاً أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه الا أنه رواه بطريق آخر غير طريق طاوس

أما ما حكم به عمر بعد ذلك فلأنه رأى أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق وكثر منهم ايقاعة جملة واحدة فرأى من المصلحة عقوبتهم بامضائه عليهم ليعلموا أن أحدهم اذا أوقعه جملة بانت منه المرأة وحرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره نكاح رغبة يراد للدوام لا نكاح تحليل

وان من يفهم اللغة ويعرف أساليبها لا يفهم من قوله تعالى (الطلاق مرتان) الا وقوعه مرة بعد مرة وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف

(١) نيل الاوطار جزء رابع صفحة ١٢٣ و ١٢٤

ايقاع مراته كلها جملة واحدة كالمان فانه لو قال أشهد بالله أربع شهادات انى لمن الصادقين كان مرة واحدة ولو حلف فى القسامة وقال أقسم بالله خمسين يمينا أن هذا قاتله كان ذلك يمينا واحدة

وقال صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمده ثلاثا وثلاثين وكبره ثلاثا وثلاثين الخ الحديث لا يكون عاملا به حتى يقول ذلك مرة بعد مرة لا يجمع الكل بلفظ واحد

فالكتاب والسنة والقياس والاجماع القديم الذى لم يأتى بعده اجماع يبطله وقوع الثلاث بفم واحد طلقة واحدة فلا نرى غير هذه ما دمنا متمسكين بشريعتنا عاملين بسنتنا وفقنا الله للصواب وهدانا الى ما فيه المصلحة

***

حضرة الاستاذ منشئ الهداية

نرجو أن تذكر لنا من القرآن أدلة تثبت دوران الارض وأدلة أخرى تثبت كرويتها حسن زكى

(الهداية) الدليل على حركتها قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) فانه يقال دحى الصبي الكرة اذا قذفها وتفسير المفسرين الدحى بالبسط لا ينافى ذلك فان المراد بالبسط ما يظهر فى رأى العين او المعنى أنها لا تنقبض على ما يلقي فيها من البذر وما يسير فيها من الماء (أخرج منها ماءها ومرعاها)

ومما استدل به على حركتها قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ» فان أصحاب الرأى السديد من المفسرين لا يتأولون ذلك بادعاء أن يكون قبل القيامة من

تحول الكائنات الى الفناء على نحو ما جاء فى آية (يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً) ونحو (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها) .... وانما يفسرون تلك الآية بسير الجبال على حين أنها تحسب جامدة لا حراك لها بدليل قوله فى ختامها «صُنع الله الذى أتقن كل شىء» ولا يخفى أن هذه الخاتمة لا تلائم حال التدمير والتخريب مما سيكون فى انتهاء هذه الحياة الدنيا

***

حضرة الاستاذ منشىء الهداية

أرجو أن تذكر لنا عقيدتك فى مسألة البعث فان كثيراً من الناس رموك بأنك تنكره

أحد المشتركين

(الهداية) لقد بينا فى الجزء الثانى من السنة الاولى من الهداية رأينا فى هذه المسألة عند الكلام فى قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أُنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) فليرجع اليه من شاء أن يعرف عقيدتنا

***

حضرة الاستاذ منشىء الهداية

نرجوكم أن تجيبونا على الاسئلة الآتية

(١) لِمَ لم يكن النبي عارفا بجميع اللغات وقد أرسله الله للناس كافة وما معنى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه)

(٢) ما السبب فى اختلاف القراءات

(٣) سمعت بعض الناس يقول لم يرد عن العرب (أرض قاحلة) وانه

الذي ورد وصفه بذلك هو النبات فما رأيكم في هذا

(٤) ما هي جمعية الماسونية وما مقاصدها ولم لا تظهر مبادئها ليعلمها الناس كافة حافظ النشاوى

(الهداية) انما لم يعرف النبي عليه الصلاة والسلام غير لغة العرب ليكون ذلك أدل على اعجاز القرآن وأنفى للشكوك التي يثيرها المعاندون فان احاطته باللغات الكثيرة ولو من طريق الوحي تدعو الى الظن بأن النبي أخذ القرآن من الكتب الاخرى . على أننا قد وجدنا بين أهل الشرك والعناد من رموه صلى الله عليه وسلم بأن قد كان يعلمه القرآن بعض أحبار اليهود (وقالوا انما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) . فاذا كان ذلك حظ الرسول من المعاندين الكافرين على أميته المطلقة وعدم علمه بلغة قومه فما بالك لو كان علم بلغات أخرى ولا سيما لغات العلم والفلسفة كلغة اللاطين ولغة الاغريق

أما ارساله للناس كافة فلا ينافي جهله باللغات فانه كان يرسل البعوث الى الناس ممن عرفوا لغاتهم وأحاطوا بلهجاتهم

ومعنى الآية الكريمة أن الله يرسل الرسول بلغة قومه لا بلغة أمة أخرى لكي يستطيع أن يبين لهم من أمر دينه ما يتيسر معه اقناعهم وحملهم على قبول ما جاء به دون مشقة ولا تراخ

(٢) العرب قبائل شتى ولكل قبيلة لهجات مخصوصة ونظام مخصوص في الجمل والتراكيب فقبيلة تميل وقبيلة أخرى لا تميل وقبيلة تنصب الخبر الواقع بعد ما وقبيلة لا تنصب وقبيلة تبدل الحرف بحرف آخر وقبيلة لا تبدل وهكذا من أنواع التبديل فهذه القبائل جميعا كانت تتلو القرآن كانت تلاوة

كل قبيلة تابعة للهجاتها المخصوصة ونظامها الكلامى المخصوص والنبي صلى الله عليه وسلم حينما كان يسمع تلك اللهجات كان يقرها لانه لم يكن يترتب على ذلك تغير في المعنى. فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أحرف ، ان النبي عليه الصلاة والسلام قد أقر قارئي القرآن على تلاوتهم ولهجاتهم فاعتبر ذلك الاقرار نزولا

العالم الاسلامي

مراكش

مكثت بلاد المغرب الاقصى تلك الازمنة الطويلة بعيدة عن المطامع سليمة من الاغتصاب لا يتداخل في شؤونها أجنبي حتى انتقلت السلطنة الى ذلك الغرّ الجاهل عبد الحفيظ فمهد السبل للاجانب حتى ملكوا ناصيته وسلبوه بلاده وملكه

يزعم ذلك الغبيّ انه يدلي بنسبه الى النبيّ وان الرسول ليبرأ من كل خائن يبيع بلاده رغبة فى دراهم يرضى بها شهواته . طالما تشدق ذلك المأفون بأنه أولى بالخلافة من آل عثمان فأين هو من أولئكم الابطال الذين يفدون بلادهم بأرواحهم . وإنا نذكر شيئاً من وصفها الطبيعي وشيئاً من ماضيها وحاضرها ليرى الناس ان دول الغرب يعز عليهم ان يعيش المسلمون فى ربوعهم آمنين وان يتمتعوا بثمار أراضيهم

وصفها الطبيعي

مراكش مملكة واقعة فى الشمال الغربي من القارة الافريقية وهى محدودة من جهة الشرق بمستعمرة الجزائر ومن الشمال بالبحر الابيض المتوسط وبوغاز جبل طارق والمحيط الاطلانطيق ومن الغرب بالمحيط الاطلانطيق ومن الجنوب بالصحراء الكبرى

والبلاد المراكشية غنية جداً بأوديتها الخصبة وسهولها الجمة وجبالها المكسوة بالغابات وفيها مراع جمة للانعام وبها من مختلف المعادن مالو عملت فيه يد الانسان لأغنت به هذه المملكة وجعلتها درة تتلألأ فى افريقيا

ويبلغ مسطح مراكش ٨١٥٠٠٠ ك م م وهى مساحة تعادل القطر المصرى مع السودان المصرى مرتين ولكن الاراضى المنزرعة الآن فى القطر المصرى لا تذكر فى جانب الاراضى العاطلة بسبب تراكم الرمال فيها أو لكونها مستنقعات وبحيرات أو لغشيانها بالجبال والآكام أو لاحتياج تربتها الى تنظيفها من الاملاح المتشبعة بها وان أراضى مراكش وان حرمت من نهر عظيم كالنيل فانها لم تحرم من وسائل الرى ومن الامطار التى تساعد على نمو الحبوب المختلفة وليست أراضيها حافلة بالبحيرات والبرك ولا هي محتاجة الى غسلها من الاملاح وجبالها محتوية على منبسطات مخضلة الجنبات حافلة بالغابات. وبالجملة فان هذه البلاد لا يعوزها الا تنظيم طرق الرى فى المناطق التى يمكن زرع قصب السكر والقطن بها فى المستقبل

ومحصولات البلاد المراكشية أغلبها زراعية أو متعلقة بها

أما الزراعية فهي القمح والشعير والذرة والبرتقال ويوسف أفندى

والليمون والتين والمشمس والبلح والزيتون وبها غابات غاصة بأشجار البلوط والتين ولكن هذه الغابات لم تستغل حتى الآن فخيراتها سيتمتع بها غير أهل البلاد

وأما ما يتعلق بالزراعة فهي الانعام والطيور فأما الانعام فأكثرها الغنم والبقر والخيول والجمال والبغال والحمير وأنواع الطيور كثيرة أهمها الدجاج والبيض كثير فى مراكش وتصدر منه مقادير عظيمة الى البلاد الاجنبية

هذه هى أهم محصولات البلاد وهي المحصولات التي اعتاد أهلها على استغلالها فى الاراضى المراكشية منذ عهود بعيدة وهي بالطبع محصولات لا تكاد تذكر بجانب ما ينتج من القطر المصرى مع ان الاراضى الصالحة للزراعة فى مراكش أضعاف الاراضى الصالحة للزراعة فى مصر ومع قلة أنواع هذه المحصولات فان مجموع الحركة التجارية مابين صادرات وواردات يبلغ ١٠٠ مليون فرنك منها أربعون مليونا فى الصادرات ٦٠٠ مليونا فى الواردات وهذا المبلغ جسيم بالنسبة لبلاد معاملاتها مع الاجانب مقصورة على بعض الثغور ولا يزال الاجانب يخافون من التوغل فى داخل البلاد فكيف اذا ما عملت فيها يد الاستعمار عملها وأدخلت عليها من طرق التحسين والابتداع ومن الآلات الحديثة ما يضاعف هذه المحصولات مراراً عديدة وما يزيد عليها أنواعاً عديدة

ماضيها وحاضرها

لقد أخذت هذه البلاد في عصورها السالفة حظها من المدنية والحضارة

ورفلت في أثواب النعيم وامتد سلطانها على ما جاورها من الأقطار الافريقية كما انبسط على شطر كبير من البلاد الاندلسية

ولكنها عادت الى الوراء ثانية وتغلب عليها الضعف وضربت عليها الجهالة والغفلة فاستكانت الى الجمود ولم تجار الدول العصرية في الاخذ باسباب العلوم والفنون والصنائع وطمحت اليها الدول الاستعمارية حينما ابصرتها لاهية عن مستقبلها غافلة عن كنوزها المدفونة وخيراتها الوافرة ولقد ازداد طمعهم حينما رأوها مجردة من السلاح والقوة

ومنذ سنة ١٤٩٢ اشتبكت الدولة المراكشية مع اسبانيا في حروب كانت سجالا بين الطرفين ولكن نظر الكاردينال كزيمليس طمح الى إنشاء امبراطورية مسيحية فيها وفي سائر بلاد البربر كالجزائر وتونس والصحراء بل لقد وصل شارلكان الى ابواب الجزائر وتونس بالفعل بيد ان الاسبان عادوا فانثنوا عن مراكش وما جاورها موجهين انظارهم الى مناجم الذهب في الهند الغربية فقضوا على مجهوداتهم وثروة بلادهم بالضياع في تلك الانحاء النائية دون ان يرجعوا منها بفائدة ثم التفتوا الى الحروب الصليبية والى اكتشاف العالم الجديد فتلاهوا بهذه المشاغل عن المملكة الخصبة الغنية القريبة ثغورها من ثغورهم والتي لا تكلفهم من العناء غير اجتياز البحر في مدة قليلة

وما انقضى القرن السادس من الميلاد حتى تقلص ظل الاسبان من مراكش الا من سبتة ومليلة اللتين بقيتا في قبضة ايديهم

ومن الغريب أن تحرش الاسبان بمراكش مرة فأخرى لم يلفت المراكشيين الى الاخطار المحدقة بهم بل ظلوا في جهالتهم يعمهون لا همّ لهم

سوى السلب والنهب وقطع السبل على القوافل وافتخارهم بالقوة العضلية وامتطاء الجياد أو الابل وحمل السلاح اما العلوم فقد أخذت تتلاشى من تلك المملكة وبدأ الجهل يضرب بجرانه فى أرضها ولم تعد تنفذ أحكام الشرع الشريف ودب بين القبايل و بعضها دبيب الشقاق فدارت بينهم دوائر المنازعات والمشاجرات وصار كل زعيم قبيلة يدعي السلطة العليا ويحاول أن يخضع القبائل الاخرى لسلطانه وأصبح سلطان مراكش مقيما فى فاس ونفوذه غير ممتد الا على القبائل المحيطة بفاس ومكناسة وبعض ثغور السواحل وكان الريفيون وسكان الجنوب يعتبرون انفسهم مستقلين غير خاضعين لنفوذ السلطان الذى ترك السلطة الفعلية وتشبث بلقب الخلافة ينازع فيه الخليفة الحقيقى الذي أجمع العالم على مبايعته والاعتراف به الا سلطان مراكش وشاه فارس. على الانجليز كانوا قد أحكموا الصلات مع طنجة عقب استيلائهم على جبل طارق وكلما كانت متاجرهم تزداد اتساعا فى هذا الثغر كان خوفهم يزداد من إفلاته من ايديهم لان الدولة الفرنسية أخذت تطمح الى امتلاك الشواطئ الافريقية منذ الحرب الصليبية التى مات فيها سان لويس ورأت نفسها أحق بهذه الشواطئ لأنها أكبر دول العنصر اللاتيني المشرفة على البحر الابيض المتوسط فهى أحق بأن تكون خليفة الرومانيين وعظمتهم. أخذ الانجليز ترتعد فرائصهم كلما رأوا فرنسا أو اسبانيا تاتي بنظرها الى البلاد المراكشية لعلمها بان كل دولة تستولى على مراكش لابد ان تستولى على طنجة وهذا مما يقلل من خطارة بوغاز جبل طارق بالنسبة للانجليز بل يجعل مركزهم فى جبل طارق قابلا للتزعزع. ولم تكن انظار الانجليز متوجهة فى ذلك العهد الى الفتوحات الاخرى ولو لم تكن مشغولة فوق فتوحاتها

بحروبها الداخلية والحروب التى كانت تنشب بينها وبين فرنسا على الدوام لما تأخرت فى الشروع فى احتلال مراكش لتأمن غارة الدول الاجنبية عليها

أما أول عهد اتصلت فيه فرانسا بالعلائق التجارية المنظمة مع شواطئ افريقية فهو عهد السلطان سليمان حينما أحكم فرنسوا الأول روابط الولاء معه وجعل الاسطول الفرنسي يمخر عباب البحر الابيض المتوسط تحت ظل الاسطول العثمانى الذى كان قائده البطل البحرى المشهور خير الدين بربروسا. فمن ذلك العهد شرعت السفن الفرنسية تختلف الى الثغور الافريقية وتنقل اليها المتاجر وتستورد منها المحاصيل. على ان هذه الصداقة لم يطل عهدها فان الولاة الافريقيين صاروا يضربون الضرائب الفادحة على السفن الاجنبية التى تأتى اليهم فلما تبوأ عرش فرانسا لويس الرابع عشر أراد ان يتخلص من هذه الاغلال التى تعيق سير التجارة الفرنسية فاشهر حروبا بحرية كبيرة على العثمانيين الذين كانوا مستولين اذ ذاك على الجزائر وأطلق المدافع على الثغور الجزائرية فتخلصت السفن الفرنسية بهذه الوسيلة مدة طويلة من الضرائب التى كانت تثقلها وكان هذا من جملة الاسباب فى زيادة الصلات التجارية التى قد بدأت تستحكم بين مرسيليا والثغور الافريقية التى تواجهها ثم أخذت فرانسا تهتم بالصيد فبعد أن خلصت فرانسا من وطأة الغرامات الباهظة التى كانت تدفعها لهم عادوا الى مطاردة صيادي المرجان والى تقرير الضرائب الفادحة على السفن التجارية الواردة من مرسيليا

وفى أثناء الثورة الفرنسية الكبرى كان يمكن الانجليز أن يشتغلوا بفتح البلاد المراكشية غير ان الهند فى ذلك الحين لم تكن فى عداد المستعمرات الانجليزية والانجليز كانوا يجدون كل الجد فى التحاقها باملاكهم وبدأ الشركات

الاجنبية الاخرى تعمل فيها وانجلترا لم تكن على يقين من امتلاك الهند كل ذلك كان يحول دون نشوب حرب بين الانجليز والمراكشين لاخذ شيء من المملكة المراكشية

ولقد انتهزت اسبانيا تلك الفرصة التى انصرفت فيها الدول عن مراكش فتمكنت من الاتفاق مع سلطان مراكش على أخذ ترخيص منه باحتلال ايفني

ظلت مراكش آمنة من الاحتلال الاجنبي ومن النفوذ الاستعماري حتى ابتدأت فرنسا تحتل الجزائر وتحارب أهلها وتنتزع من أيديهم بلدانها واحدة بعد أخرى فأخذ كثيرون من الجزائريين ينزحون الى مراكش ويستنجدون بقبائلها واشتبكت بالفعل عدة قبائل من المراكشيين مع الجزائريين بالجنود الفرنسية لان المراكشيين وان كانوا قد ظلوا العصور الطوال غارقين فى بحار الجهل لا يعرفون من الدين الاسلامى الا اسمه فانهم مرتبطون باخوانهم الجزائريين برابطة الدين واللغة فلما رأوا الخطر قد أحدق باخوانهم ساعدوهم لانقاذهم من مخالب ذلك العدو المغير على بلادهم الطامع فى أملاكهم وأراضيهم . فلما رأت فرنسا مساعدة المراكشيين وأبصرتهم يتوقدون غيرة وحقدا على كل مغير على بلاد المسلمين أخذت تتودد الى القبائل المتاخمة للجزائر وتقدم لهم العطايا كي تصرفهم عن مساعدة اخوانهم الجزائريين لترسخ قدمها فى الجزائر . غير ان المراكشين لم ينصاعوا لفرنسا بل ظلوا دائبين على مساعدة الجزائريين وصاروا يشنون الغارات من وقت لآخر على الفرنسيين وطالما دخلت فرنسا معهم فى معارك لم تخرج منها الا خاسرة مهزومة ولم تكن فرنسا وقتئذ تقدر على الدخول مع

مراكش فى معامع لما رأته من قيام قبيلتين مجاورتين لمليلة وتنكيلهما بالجنود الاسبانية الموجودة فى مليلة على عهد السلطان حسن. وفى الحقيقة ان أيام السلطان حسن كان العز والسؤدد حليفي مراكش لما كان عليه الرجل من الشهامة وبعد النظر وكان السفراء يحترمونه ويخشون بأسه كما كانت القبائل تحامى سطوته ولو كان ذلك السلطان تفرغ لترقية بلاده وتنظيم جيشها على الطراز الحديث واستخدم تودد الدول الاجنبية اليه في استخدام بعض كبار الضباط الاجانب لتنظيم جيش كبير من المراكشيين ووضع أساساً منظماً لسير الحكومة فى مملكته لنهضت البلاد ولا مكنها ان تدفع عن نفسها غائلة الاستعمار الاجنبي ولكن السلطان حسن اقتصر على توطيد سلطانه بين القبائل التي عصت على اسلافه

ولكن اذا كان ذلك السلطان قد وقى بلاده من تداخل الاجنبي فانه أيضاً سمح للدول الاوروبية بتوسيع دوائر معاملاتها التجارية وهو أول سلطان اقترض من الدول الاجنبية مالا وعلى كل حال فان فرنسا لبثت تترقب اليوم الذى فيه يموت السلطان حتى تمثل دورها السياسى فما لبثت ان ارسلت مدرعتين الى مياه طنجة بمجرد علمها بموت الرجل

ولما تولى عبد العزيز عرش مراكش أخذت تتحبب اليه وتهديه من التحف والهدايا الثمينة لتوقعه فى الشرك المنصوب ولما رأت انجلترا ذلك أخذت تنافس فرنسا فى استجلاب سلطان مراكش اليها خوفا من بسط فرنسا الحماية على مراكش فتكون عقبة فى طريقها الى الهند فاجتذبت كلتا الدولتين عدداً كبيراً من الاهالى

وبعد ذلك اجتهدت فرانسا في أن تثقل كاهل عبد العزيز بالقروض المتتالية كما أخذت تقرض الاهالى فلم تمض الا بضع سنوات حتى أصبحت أموال فرانسا فى مراكش تعد بعشرات الملايين من الفرنكات وكانت هذه الخطوة فى سبيل التداخل فى مراكش

ولقد انتهز سفراء الدول ضعف عبد الحفيظ وطيشه فزينوا له الضلال وأركبوه أخشن المراكب حتى لم يبق بجانبه وزير ناصح ولما آنس أعمامه واخوته منه الضعف ورأوا الخطر المحدق ببلادهم أرادوا أن يتخلصوا من هذا البلاء المبين غير انهم لم يسلكوا سبل الحكمة والرشاد بل قاموا على بعضهم البعض وزعم كل واحد انه أحق بالسلطان دون سواه

وفى سنة ١٩٠٥ بلغ نفوذ الفرنسيين فى مراكش درجة عظيمة ورأوا انه لا بد من وضع حد لمطامع الانجليز والالمان

ولقد كادت حادثة فشودة تشعل الحرب بين الفرنسيين والانجليز غير ان الفرنسيين رأوا ان من الحكمة ترك فشودة للانجليز لتكون انكلترا عونا لهم فى مراكش أو راضية عن عمل فرانسا .

وفى هذه الآونة كان الانجليز قد أتموا فتح السودان وأصبحوا فى حاجة شديدة الى الاموال اللازمة لتعميره واصلاح مدنه التى خربتها الحروب العديدة وفى صندوق الدين المصرى مبلغ كبير يريدون أن يتصرفوا فيه ولكن لا سبيل الى ذلك الا باسترضاء فرنسا التى لها حظ كبير فى الديون المصرية ولا تنال انجلترا ذلك الا اذا تنازلت عن حقوق لفرنسا تعادل مصالح الفرنسيين فى مصر فكان هذا منشأ اتفاق سنة ١٩٠٤ القاضى بترك مصر لانجلترا ومراكش لفرنسا. غير ان المانيا قد لعبت دوراً مهما في

المسألة المراكشية لان سفيرها المسيو تاتباخ زاحم المسيو ناباندنيه سفير فرنسا هنالك فى التحبب الى السلطان وتسليفه ما يشاء من الاموال فتأخرت سياسة فرانسا وكاد يتقاص ظلها بعد ذهاب غليوم الثانى الى طنجة وتظاهره بموالاة الاسلام والمحافظة على مراكش من غوائل الاستعمار

ولما رأت ان نفوذها فى مراكش أو شك ان يذهب صارت تحرض القبائل ليقوموا بالمشاغبات والفتن ضد السلطان لتتخذ من ذلك سلاحا تقضى به على السلطان فنجحت فى مسعاها وتولى عبدالحفيظ باغراء ومساعى فرنسا

ولقد كادت الحرب تستعر بين المانيا وفرانسا من أجل مراكش لولا ان المانيا رأت ان انجلترا فى استعداد لمساعدة فرنسا فعمدت الى اخف الضررين وهو مطالبة فرنسا بالتقدم الى مؤتمر الجزيرة الذى عقد فى سنة ١٩٠٦

ثم أخذت بعد ذلك فرنسا تبث الشقاق بين القبائل حتى قاموا يحاربون بعضهم ثم تداخلت بحجة حفظ الامن والسلام حتى ملأت البلاد بالعساكر والمدافع ثم أخذت تستهوى ذلك الغرّ المأفون بأنواع الملاذ حتى رضى بان يستظل بحماية فرنسا وأخذ يثنى ويكذب على التاريخ ان اسلافه كانوا أصدقاء فرنسا وأحباءها . ولا ندرى ان كان ذلك الخائن يجهل تاريخ آبائه أو يريد ان يغرر بالناس ويزين سوء عمله. وانا نذكر كلمته التى قالها عند امضاء الحماية ثم نعقبها بشئ من كلام اسلافه ليرى الناس الفرق بين السلف الصالح والخلف الفاسد

قال عبد الحفيظ بعد خطبة المسيو رينو الذى كلف باتمام مأمورية الحماية :

« أهنئ نفسى بالطريقة الودادية اللطيفة التى سلكتموها لاتمام المأمورية

التي نيطت بعهدتكم كما انى مسرور برؤية انجاز هذه المأمورية على غاية ما ترام بواسطتكم

ولا غرو اذا استمرت العلائق الحسنة الموجودة بين الحكومة الفرنسية والحكومة الشريفة لان تلك العلائق كانت من السنن المرعية لدى والدى واسلافى . واتمنى ان يجد المغرب وفرنسا من هذه المشاركة الحكمة ترضية تامة لمصالحهما ». يزعم ذلك الغر الجاهل ان أباه واسلافه كانت الصلة بينهم وبين فرنسا متينة وانه لا يريد الا دوام تلك الصلة . فمن من اسلافه باع ملكه واستقلاله فى نظير دراهم يتقضى بها شهواته . ان آباءك أيها الخائن كانت كلهم عيون ترقب الخطر الذى ينجم من تداخل الاجنبي فى شؤونها . ان آباءك كانت ترتعد فرائص أوروبا منهم لم تقدر دولة من دول أوروبا فى عهد اسلافك على التداخل فى شؤون بلادك . ولكن فرنسا اتخذت من شهواتك سلاحا قتلتك به . أليس من اسلافك سلاطين مراكش يوسف ابن تاشفين الذى أرسل كتابه الى الفونس يدعوه الى الاسلام أو أداء الجزية أو الحرب ويقول : بلغنا يا ألفونس انك دعوت الناس الى الاجتماع بك وتمنيت ان يكون لك فلك تعبر البحر عليها الينا فقد أجزناه اليك وإن جمع الله فى هذه العرصة بيننا وبينك سترى عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » . فانظر الى اسلافك وما كانوا عليه من الشدة والبسالة ووقوفهم امام الاعداء وقفة الاسد الهصور وانظر الى نفسك كيف اضعت بلادك وتراث آبائك وأصبحت تسبح بحمد فرنسا التى ستذيقك العذاب اصنافا وتستدر خيرات بلادك وأنت تتطلع اليها تطلع العطشان الى السراب حتى اذا مددت يدك

تريدان تأخذ شيئا من ثمرات أرضك نهرتك وامطرت عليك عذابها ونكلت بك وستكشف عاقبة جهلك وغرورك مما يجملك تندم حيث لا يجديك ندم ولا تنفعك توبة

مسائل الاتحاد الاسلامى

العالم

ان أوربا تضمن تفوقها على العالم الاسلامي بشيئين

(١) سعيها الحثيث فى منع انتشار العلوم والمعارف والصنائع والمدنية الغربية فى مستعمراتها

(٢) تقهقر العالم الاسلامى في العلوم والمعارف

هذه الخطة تسير عليها جميع دول الغرب بكل جد واهتمام وبناء عليه لو أراد المسلمون استرداد حقوقهم فأول ما يجب عليهم حصر قوتهم وهمتهم فى هذه المسألة وذلك فرض عين على كل فرد منهم ولنكن على ثقة بأن أنجع طريق لخلاص ونجاة العالم الاسلامى من أسره الحالى المعارف والعلوم فبها ترتفع قدره أكثر من الاعتماد على نظريات الموازنات الدولية والانقلابات والاضطرابات والحروب والمؤتمرات الدولية ما دامت أوربا تبز العالم بعلومها وتحرمنا ما استطاعت من المعارف وبذا تسنى لها التسلط علينا وارهاقنا والتجبر فينا فمن انواجب علينا ان نفقه سر هذا التفوق جيداً وندرك ان العلم هو الاساس الوحيد فلنتسلح به ما استطعنا لنضمن فوزنا وظفرنا فى معترك الحياة

ان أخص آمال حكومات أوروبا صاحبة الاموال وغاية أمانيها ان تبقى الحكومة العثمانية فى اغلال الديون أكثر مما هى فيه وان توسع دائرة نفوذ مجلس الديون العمومية الدولى بالآستانة . وبهذه الواسطة تتمكن من تحويل أموالنا المخصصة للدفاع الوطنى والمعارف العمومية الى سداد أقسام الديون وان الاحلام اللذيذة والخيلات الجذابة التى تشغل فكر الغرب الآن هى جعل الدولة العثمانية لا تعمل شيئاً قط فى سبيل المعارف (نشر التعليم) وبهذه الواسطة تتغلغل دول الغرب ساميا بسياستها اللينة الملمس فى احشائنا حتى تصبح بلادنا كأحد أملاكهن غير قادرة على الدفاع عن بيضة شرفها القومى وبذا تنحط وتضعف

وانى لاستطيع ان أبرهن على دعواى هذه بألف دليل ودليل وألف واقعة رواقعة ولكن هل هنالك من حاجة لاعلان واثبات البديهى المعلوم ؟

ان أوربا تذرعت بكل طريقة لمحو المعارف واللغات الاسلامية حتى أنها قد توجد طرقاً وأصولا لا يقبلها العقل ولا تمر بمخيلة الانسان . والى القارئ كنموذج بسيط ان لكل لغة في القرى والدساكر توجد لهجات عامية لا يمكن حصرها فى كتابة أو قراءة ولا تربطها بآداب اللغة أى لحمة فأهالى البادية النائية عن الجهات العامرة الذين حرموا نور المعارف يتكلمون عادة بهذه اللهجات فاذا ما استنار وتعلم الشخص منهم قليلا يهجر هذه اللهجة العامية ويقبل على اللغة الفصحى الادبية بكل ارتياح اذ نفس المدنية تستوجب معرفة اللسان الادبى

ان هذه اللهجات العامية توجد فى كل مكان فنسبة اللغة الكردية الفصيحة الى اللغة العامية (زازا) واللسان العثمانى البليغ الى اللهجة العامية

(اخرى) والاسبانيولية اليهودية واللهجة اليونانية المستعملة في الجزر السبع ولهجات الطليان الرديئة كنسبة لهجات (فالون)و (باسق) و (بروفانسال) الى الفرنسية أو البربرية الى اللغة العربية

وبعض هذه اللهجات محرفة عن اللغات الفصحى الادبية وبعضها لغات قديمة انمسخت وخرج منها اشكال متناسخة

فالآن نرى فرنسا فى شمال أفريقية لكى تبعد المسلمين عن المعارف وتحول دون ارتشافهم سلسبيل العلوم تهجر اللغة العربية وتحاربها بينما نجدها تسعى فى احياء اللغة البربرية وهى لغة كان لها اصل قديم . فقد كانت فى عند الرومان اللغة العمومية للقبائل البدوية القاطنة بشمال افريقيا ولكنها بقيت فى العهد الاخير خاصة بالجهلة وأهل البادية . وقد أصبحت بعض الجهات اليوم تجهل العربيه تماما واندرست منها أدبياتها ولم يبق لها طلاوتها وجمالها فى نظر السكان حتى كأنها ليست بلغة حية وحتى أن العارف بها ليستحى من التكلم بها أمام أحد المتمدنين المتعلمين مع ان كل بربرى يود اثبات تمدينه ورقيه يجب ان يعود لسانه ما استطاع التكلم بالعربية الفصحى . وخلاصة الكلام ان البربرى اذا ما أقام بالمدن والمراكز والعواصم واراد ان يظهر كانسان كامل فاضل يتشبه مجرد تشبه بالعربى فى اللغة واللهجة كما ان الفلاح الاناضولى القح اذا أتى من قسطمونى اوقونية الى الاستانة ودوام على مداسها قليلا وخالط العالم يهجر لهجته العامية الجافة ويقترب من اللغة الفصحى ما أمكن فقرنسا الآن بقتلها اللغة العربية تعمل على احياء هذه اللهجة الغريبة العجيبة . وبما أنها تعلم ان اللهجة البربرية لا يمكن تعلمها فهى تبطل اللغة العربية المهذبة البيان وتجعل مكانها كلاما وحشيا وبهذه

الواسطة تلقى النفرة والتفرقة بين العرب . وترى بعض المنافقين ذوى الاقوال الخيالية يدعون بأنهم سيخرجون سكان افريقا من العرب ويجردونهم من الشعور العربي القومى ولهم أدلة فعلية تبرر دعواهم

وها هي فرنسا أيضا تنفق الاموال الوفيرة والمرتبات الضخمة لبعض الزنادقة الملحدين بافريقيا لكى يبعدوا المسلمين عن أصول دينهم . فالجمهورية الفرنسية تعلن مدها يد المعونة لعلماء المسلمين لتثبت فى الورى حسن نيتها وشريف مقاصدها نحو الاسلام بينما هى تدفع بأموالها أهل الفساد لزرع بذور النفاق والمفاسد بين الموحدين حتى ان جريدة الطان الشديدة الدفاع عن حقوق مسلمى تونس والجزائر ومراكش ازاء المستعمرين تستصوب خطة فرنسا وتراها محقة وتقول بلا تردد فى عددها ١٨٥٦١ الصادر فى ١٧ ابريل سنة ١٩١٢ انه من الواجب على فرنسا ان تزرع بذور الشقاق وتوجد العداوة بين أهالى مستعمراتها لتضمن بذلك دوام سيادتها وحكمها

ونظرا الى ما جاء فى جريدة الطان يكون عدد سكان الجزائر حسب الاحصاء الاخير ٢٧٦ ٢٢١ ٤ من الوطنين بينهم ١٠٨٤٧٠٢ من البربر ولكن أحد مصلحى الجزائر من العلماء المسمى مسيو دونه قام بأبحاث دقيقة حكم بعدها بان احصاء الحكومة غير صحيح اذ عدد البربر الحقيقي ١٣٠٥٧٣٠ وسبب هذا الفرق ان كثيراً من الجزائريين يتكلمون العربية والبربرية معا !! ويقول المسيو وايسجربر مكاتب الطان بمدينة فاس ان ثلاثة اخماس سكان مراكش من البربر بحذافيرهم والخمس بربر مستعرب والخمس الباقي هم العرب الحقيقيون !!..

فالذي يجملنا نضحك هازئين امام تلك المدعيات ان الاسلام عند ما طفت أمواجه وعمت أنواره العالم وحد بين كثير من القبائل والامم التى اتبعته فالحقها جميعها بدينه الحنيف وادخلها فى العائلة العربية الكبيرة جميعها اليوم ما بين عربية أو مستعربة . أماإذا لم نفكر بناء على هذا الاساس ورجعنا الى تعيين منشأ عناصر كل أمة نجدان الامة الانجليزية مثلا قد نقصت كثيراً. واذا اعتبرنا ان القرويين بسبب عدم تكلمهم اللغة الادبية الفصحى لا يكونون مع سكان المدن أمة واحدة فما أعظم سخافة رأينا هذا والا فاذا نظرنا الى الترك والمجر من هذه الوجهة نجدها تين الامتين قد نقصتا جداً ونشأ مكانهما عشرات بل مئات من الامم الصغيرة الجديدة. أظن انى بكتابة هذه الاسطر قد شرحت خطة وسياسة أوربا المرسومة للنكاية بنا وابدت دعواى بمثال البربر فاول واجب على العالم الاسلامى ازاء ذلك ان يصرف قصارى جهده فى اقتباس المعارف ونشر العلوم وان يدافع عن اللغة العربية لسان الدين الرسمى أكثر من كل شيء وليكن هذا اللسان لجميع الموحدين حبلا متيناً فى سبيل توحيد جامعتهم

يكي كوي ٢٠ نيسان ١٣٢٨ جلال نوري

أحوال أفغانستان وفارس

يؤخذ جاء مما فى جريدة (المنشستر جاردين) بتاريخ ١٥ مايو أن الفارسيين استنجدوا بانجلترا على الافغانيين الذين دخلوا فارس بجيوشهم وبمناسبة هذا تقول جريدة (الاستندرد)

« انما يجب علينا ألا نظن أن حاكم أفغانستان يطمح الى التشبه بسلفه القاهر (أحمد شاه) الذي وصل بجيوشه حتى شواطئ بحر (قزوين) ولكن ما يجب أن نقوله الآن هو أن الملك حبيب الله يحصن حصونه التي على حدود (هرات) وان بعض جيوشه قد تعدت هذه الحدود عمداً أو عفواً وأنه بمقتضى نصوص معاهداتنا يجب علينا الاحتجاج اذ قد عاهدت انجلترا نفسها (كذا) بتلافى كل خطر ينجم عن مثل هذه الحوادث . ولذلك حل سهل وهو ان تحبس انجلترا اعانتها عن الحكومة الافغانية. ولكن هذا سبيل وعر لا ينتظر من حكومة تحب المحافظة على صداقتها مع افغانستان »

*
* *

يقال ان الملك حبيب الله هو الذي أصدر الاوامر لجيوشه بالدخول في فارس لما علم بوصول الروسيا الى مشهد لان الحكومة الانجليزية تمده (بالاعانة) ليحافظ على حقوقها ضد الروسيا وبما أن الروسيا قد وصلت حتى مشهد فليس من المستبعد أن تتعدى على حقوق الانجليز

أما السبب فى استغاثة فارس بالحكومة الانجليزية فمبني على معاهدة أبرمت فى باريس يوم ٣ مارس سنة ١٨٥٧ بين الحكومتين بواسطة اللورد (كولى) وسفير فارس. ثم عدلت فى بغداد ومنتشاها توطيد العلائق الودية بين الدولتين

بمقتضى هذه المعاهدة تنازل الشاه عن سيادته على (هرات) وأخذ على نفسه أنه اذا حصل بينه وبين افغانستان خلاف يكون مرجعه الى انجلترا اذ أن المعاهدة ما أبرمت الا من أجل اعتداء فارس على مرسل انجليزى وعلى الحدود الافغانية . وقد أخذت انجلترا على نفسها بمقتضي المادة

الرابعة منها حسم كل نزاع يسببه الافغانيون مع فارس بحيث لا تمس حقوق فارس بأى ضرر

ولا نرى للانجليز شأناً في هذه المسألة اذ كما أن الروسيا دخلت فى فارس لحفظ النظام كذلك يجب على أفغانستان أن تحافظ على النظام فى فارس لانها أولى بذلك من الروسيا اذ الروسيا مسيحية ولا حق لها في التداخل فى شؤون المسلمين أما أفغانستان فاسلامية والمسلمون اخوة يقضي عليهم دينهم باصلاح ذات بينهم اذا ما حدث شقاق أو نفور . إن الافغانيين لا يقصدون كما تقصد الروسيا وانجلترا هدم صروح الاسلام فى فارس بل هى تريد أن تشد أزر أختها الضعيفة التي انتهز المسيحيون فرصة ضعفها وهرولوا للاستيلاء عليها وتقسيمها

أسرار السياسة الأوروبية

— الأمم المسيحية والدول الاسلامية —

— (كشف النقاب عن المكايد المدبرة) —

في سنة ١٨٧٧ كان (كرسبي) رئيس مجلس النواب بايطاليا قد أنفذ الى الدول برسالة سرية لترقم ايطاليا وقتئذ حدوث (مؤتمر برلين) واستماعها سراً أن النمسا ستطالب بالبوسنة والهرسك . فذهب (كرسبي) الى (بسمارك) ليخابره فى المهمة السرية وقال له ان ايطاليا لا تستطيع أن تتسكت على ماتسعى فيه النمسا من امتداد ملكها على بحر (أدرية) . فأجابه بسمارك بقوله « خذوا ألبانيا »

أما مسألة مطالبة النمسا بالبوسنه فأقلقت راحة الايطاليين طول مدة المخابرات (البرلينية) . ولقد شكا أحد مندوبي ايطاليا فى مؤتمر برلين من

هـذه المسألة فأشار عليه لورد (سالزبرى) من طرف خفى بأن تمد ايطاليا ملكها من جهة طرابلس أو تونس (!)

ولقد أشار (فريسينيه) بعد احتلال فرنسا لتونس على ايطاليا أن تلتفت الى طرابلس حيث لا ينازعها لا فرنسا ولا غيرها ولكن ايطاليا لم تكن وقتئذ فى مركز يبيح لها أن تقوم بمثل هـذا العمل الخطير. فوجمت من أفعال فرنسا ولما أن عزمت فرنسا سنة ١٨٩٠ على قلب الاحتلال الى استلحاق ضج (كرسبى) وكاتب لورد (سالزبرى) فى هذا الموضوع قائلا له ان البحر الابيض المتوسط سينقلب عن قريب بحيرة فرنسية. ولا يبعد أن تعقب فرنسا استلحاقها لتونس باحتلالها طرابلس وتصير على بعد سفر ثلاثة أيام من صقلية وهذا يهدد مركز ايطاليا. فاجابه لورد (سالزبرى) بأن قيام فرانسا بمثل هـذا العمل ليس من صالح انجلترا فلا انجلترا ولا ايطاليا يمكنها ان تترك طرابلس لفرنسا. وقد صرح المسيو (ريبو) وقتئذ (١٨٩٠) لسفير ايطاليا «بان باريس تساعد ايطاليا على امتلاك طرابلس اذا ما خرجت من المحالفة الثلاثية»

ان هذه التصريحات المنقولة عن مذكرات (كرسبى) تبدد كل شك عند المسلمين فى أن الدول المسيحية تتمد بعثرة صروح الاسلام ان كان من بين المسلمين من ضرب الله على قلبه وسمعه وبصره لدرجة أنه قد أعمى عن البراهين المحسوسه التى قدمتها فرنسا وانجلترا على دسائسهما السرية التى دستاها لتبديد شمل المسلمين في طرابلس وغيرها.

الطيارات العثمانية

تشكلت لجان لجمع الاعانات لانشاء الطيارات العثمانية بمدائن بيروت وسلونيك ومناستر وادرنه وجناق قلعة وغيرها من أمهات المدن العثمانيـة ومن المؤكد ان غيرة هذه الامة النجيبة وكرم أهلها سيضمن لنا في المستقبل القريب عـددا من الطيارات التي تكون اسطولا هوائيا رهيبا وأنا لنحث جميع البلاد العربيـة وخصوصا القطر المصري على التنافس في هـذا المضمار الوطني المقدس.

مدرسة القضاء الشرعي

انفقت نظارة الاوقاف مبلغ ٨٦٠٠ جنيه عثماني في انشاء مدرسة القضاء الشرعي البالغ مساحتها ألفي متر لوافقة بجوار جامع فابدان باشا بجهة السليمانية وقد قاربت الآن على التمام وتقرر الاحتفال بافتتاحها في يوم عيـد الحرية القادم أي في عشرة تموز

المدرسة النظامية ببغداد

طلب الهمام جمال بك والى بغداد من الحكومة السماح بصرف مبلغ ألف جنيه لانشاء وتنظيم المدرسـة النظامية الشهيرة ببغداد وقد أقرته الحكومة على ذلك

وتفيـد أخبار بغـداد ان الاصلاحات التي ستدخل حالا على نظام الجامعة أو المدرسـة المذكورة ايجاد ثلاثة أقسام رشـدية وثانوية وعاليـة وسيكون التدريس بها جميعه باللغة العربية وسيجبر الطالب بها على تعلم التركية والفارسية وله الخيار في تعلم اللغة الاوروبية وسيدرس بالقسم العالى العـلوم

الدينية مثل فلسفة الاديان وتاريخ الاديان والنظريات والقوانين العمومية والفلسفة المدنية وسيوجد بالمدرسة مطبعة تنشر فيها مجلة شهرية دينية تصدر باللغة العربية والتركية والفارسية

وسيكون لهذه الجامعة مدير ومعاون وبعض الكتبة عدا مايلحق كل قسم فيها من الموظفين والاساتذة

وسيكون عدد طلبة القسم الرشدى ٣٢٠ داخلية و ١٦٠ نصف داخلية (نهارى) وطلبة الاعدادى ٣٠٠ داخلية و١٢٠ نصف داخليــة وطلبة القسم العالى ٣٦٠ داخليــة و١٨٠ نصف داخلية وسيكون بالجامعة غرفة للخطابة تستوعب ١٨٠٠ نفسا وسيؤسس بالجامعة مكتبة كبرى ومتحف للآثار القديمة ومعمل للكيميا وملعب للحركات الرياضية

وسيعين المتخرجون من القسم العالى بها قضاة ومأذونين شرعيين وأساتذة وبعد زمن قليل سينشأ بالجامعة شعبة للحقوق وأخرى للطب ويكون التدريس بهما باللغة التركية

مصرف الاوقاف الاسلامية

رأت نظارة الاوقاف الاسلامية ان الاموال المتوفرة لديها يمكن انماؤها واستثمارها بطريقة تعود على البلاد بالخير الوفير بأن تنشئ مصرفا اسلامياً تودع فيه أموالها عنه اقراض العثمانيين بشرائط معقولة مقبولة فوضعت لائحة لنظامه وبعثت بها الى باب المشيخة الاسلامية لتعرضها على قسم الفتاوى الشرعية حتى اذا ألفتها طبق الاحكام الشرعية اعادتها اليها ومن ثم ترسل

فوراً الى الباب العالى ليصدق عليها ثم تعرض على جلالة مولانا السلطان لتقترن بالارادة السنية وتصبح قانونا يعمل به واننا لنشكر خيرى بك مدير الاوقاف الهمام على هذا المشروع المفيد

الاحاديث الموضوعة

اذا طنت أذن أحدكم فليصل عليّ وليقل ذكر الله بخير من ذكرني.

من سبق العاطس بالحمد وقى وجع الرأس والاضراس.

عليك بالعسل فوالذى نفسى بيده مامن بيت فيه العسل الا وتستغفر ملائكة ذلك البيت له فان شربه رجل دخل جوفه ألف دواء ويخرج منه ألف داء وان مات وهو فى جوفه لم تمس النار جلده

شكا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره بأكل البيض فقال يارسول الله وأى بيض قال كل بيض ولو بيض النمل

كلوا التمر على الريق فانه يقتل الدود

لو علم وجدى بالرطب لعزوني فيه اذا ذهب

من لقم أخاه لقمة حلواء لا يرجو بها خيره ولا يتقى بها شره لا يريد بها الا الله وقاه الله مرارة الموقف يوم القيامة

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخلل بالقصب والآس وقال أنهما يسقيان عرق الجدام

لاتدعوا العشاء ولو بكف من تمر فان تركه يهرم من ابتدأ غداءه بالبلح أذهب الله عنه سبعين داء

أكل العشاء والنوم عليه قسوة فى القلب

من سره ان يجلس مع الله تعالى فليجلس مع أهل الصوف

ان الله تعالى خلق فى الارض ألف أمة من الخلق ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر

ان الله تعالى خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما محشوة خلقا من خلق الله لا يعلمون الا الله تعالى ولا يعصونه طرفة عين

من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

من كتب آية الكرسى بزعفران سبع مرات على راحته كل ذلك يلحس بلسانه لم ينس شيئاً واستغفرت له الملائكة

أنزلت علىّ سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه برىء من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له طول حياته

من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء

ان الله خلق ديكا تحت العرش وله جناحان اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فاذا كان آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح ويقول سبحان الملك القدوس فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها مجيبة له وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ

فضل حامل القرآن على غيره كفضل الخالق على المخلوق

ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان

ان الله تعالى خلق درة بيضاء وخلق من الدرة العنبر الاشهب وكتب بذلك العنبر آية الكرسي واقسم بعزته وجلاله من قرأها خلف كل صلاة مكتوبة فتحت له أبواب الجنة الثمانية فيدخل من أيها شاء

ان الله تعالى يسمع قراءه (لم يكن الذين كفروا) فيقول ابشر عبدي فوعزتي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى

يؤتى بالرجل في قبره من قبل رأسه فيقول ليس لك على سبيل قد كان يقرأ على سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقول ليس لك على سبيل قد كان يقوم بسورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقول ليس لك على سبيل قد كان أوعى في سورة الملك قال وهي تبارك الذي بيده الملك المنجية تنجي صاحبها من عذاب القبر

ان الله اختص لخواص عباده شرابا فاذا شربوا سكروا واذا سكروا طابوا واذا طابوا طاشوا واذا طاشوا طاروا واذا طاروا بلغوا واذا بلغوا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا انفصلوا واذا انفصلوا فنوا واذا فنوا بقوا واذا بقوا صاروا ملوكا وهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر

فهرست

{ الجزء الرابع والخامس من مجلة الهداية }

صحيفة

الى القراء الكرام

نرجو المعذرة عن الخطأ المطبعي الذى حصل فى هذين العددين وعن عدم نشر الذيل


امين صالح السرجاني واخوه محمد نور
محل تأسس في سنة ١٣١٥
متجر مصوغات وورشة صياغة
اساور . غويشات
كرادين . حلقان
خواتم . لب
محمديات . قربات
خلاخيل
محلنا المذكور يبيع كل المصوغات الذهبية والفضية بعيارات مضمونة واسعار تهاوده مع الصدق والأمانة في جميع المعاملات
والورشة التابعة لمحلنا تقوم بعمل كافة ما يطلب منها من الاشغال المتعلقة بالصياغة
باول شارع الجواهرجية بمصر
ويباع أيضاً كتاب
العنوان التلغرافي
امين ونور السرجاني
بمصر